

بَيِّنَاتُ الْمَجْهُودِ فِي حَلِّ سِتِّينِ ابْنِ دَاوُدَ

تأليف

الإمام المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري
(ولد سنة ١٢٦٩ هـ وتوفي سنة ١٣٤٦ هـ)

مع تعليقات

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المدني
(ت ١٤٠٢ هـ)

اعتنى به وعلوه عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين السدوي

الجزء الأول

طبع هذا الكتاب على نفقة سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان
نائب رئيس مجلس الوزراء و دولة الإمارات العربية المتحدة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي حَلِّ

سُئِنَاتِ أَبِي دَاوُدَ

١

الطبعة الأولى
مُحَقَّقة وَمُنَقَّحة
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
حقوق الطبع محفوظة للمحقِّق

SHEIKH ABUL HASAN NADWI CENTER
For Research & Islamic Studies
MOZAFFAR PUR, AZAMGARH, U.P.(INDIA).

مركز الشيخ أبي الحسن الندوي
للبحوث والدراسات الإسلامية
مظفرنور، أعظم جراه - يوب - الهند

0091-5462 270786 الفاكس: 0091-5462 270638

البريد الإلكتروني: nadvi@emirates.net.ae

الهاتف: 0091-5462 270104

متحرك: 0091-9450876465

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأتباعه أجمعين، وبعد:

فإنّ كتاب «سنن أبي داود» هو الكتاب الثالث من كتب الأصول الستّة، وهو أشمل كتابٍ لأحاديث الأحكام؛ لذلك عُني بشرحه والتعليق عليه منذ ظهور الكتاب في القرن الثالث إلى عصرنا هذا كثيرٌ من المحدثين والعلماء، وكلٌّ منهم شرح الكتاب حسب اجتهاده.

ولم يكن هناك شرحٌ يتناول جميع جوانب الكتاب من: بيان تراجم الرجال، ومذاهب الأئمة الأربعة وأدلّتهم، والمناقشة بين آراء شراح الحديث، ومشكلات الكتاب، وبيان درجة الأحاديث لبيان الراجح من المرجوح والصواب من الخطأ.

ولذلك، قام في القرن الرابع عشر الهجري الإمام المحدث الفقيه شيخ العلماء والمحدثين الشيخ خليل أحمد الأنصاري السهارنفوري (المتوفى سنة ١٣٤٦هـ) بخدمة هذا الكتاب، وشرّحه شرحاً وافياً، وحل المشكلات والمعضلات فيه.

وسيطّلع القارئ الكريم على مزايا هذا الشرح وخصائصه في تقديم سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي وفي تقديم شيخنا العلامة المحدث محمد يوسف البنوري - رحمهما الله -.

وقد طبع هذا الكتاب بالهند طبعة حجرية عدة مرات، وكانت رغبة أستاذنا الإمام العلامة المحدث الجليل الشيخ محمد زكريّا الكاندهلوي - صاحب «أوجز المسالك» وغيره من الكتب النافعة - أن يطبع هذا الشرح طباعةً جديدةً في ثوبٍ قشيبٍ، لتسهيل قراءته والاستفادة منه لطلبة العلم.

وكان شيخنا الإمام محمد زكريّا الكاندهلوي من أخصّ تلامذة الإمام المحدث خليل أحمد السهارنفوري، وكان مساعداً له في تأليف هذا الشرح، ولذلك اهتمّ بطباعة هذا الكتاب طباعةً جديدةً، وبدأت طباعته في مطبعة ندوة العلماء بالهند، ولكن لاستعجال طباعته طُبع أكثره في القاهرة وببيروت، ثم صوّر الكتاب وانتشر في العالم العربي.

وقد كلفني شيخنا الإمام المحدث الشيخ محمد زكريّا بخدمة هذا الكتاب، والإشراف على طباعته، فأقمت عنده مدة سنة، ثم أرسلني لمدة سنة أخرى إلى القاهرة لطباعته، وقد ساعدني بعض أصدقائنا في هذا العمل الجليل، لكن وقع في نقل الكتاب من الطباعة الحجرية إلى الطباعة الجديدة أخطاء وسقطات.

وقد طبع الكتاب أول مرة سنة ١٣٩٢هـ الموافق سنة ١٩٧٢م بمساهمة كريمة من صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة - حفظه الله - وباهتمام سماحة الشيخ أحمد بن عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعي بـ أبو ظبي (المتوفى سنة ١٤٠٩هـ) - رحمه الله -.

وبعد طبع الكتاب اطلع سماحة الشيخ أحمد آل مبارك على الأخطاء المطبعية في الكتاب، وتأسف على ذلك، وأمرني أن أقوم بخدمة هذا الكتاب من جديد، وكلفني بذلك، ولكن لانشغالي بالتدريس في جامعة

الإمارات العربية المتحدة آنذاك لم أتمكن أن أقوم بهذا الواجب، ثم لما تفرغت اشتغلت به، وعرضت بعض أعمالي من خدمة الكتاب على أستاذنا الكبير سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي (المتوفى سنة ١٤٢٠هـ) - رحمه الله -، فشجعني على ذلك، ونشطت لخدمته، واستغرق هذا العمل عدة سنوات.

ثم عرضت موضوع طباعة هذا الكتاب على صاحب السمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان - حفظه الله ورعاه - نائب رئيس مجلس الوزراء لدولة الإمارات العربية المتحدة، فأمر بطباعته، وسهّل لي جميع ما يتعلق بها، فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

عملي في هذا الكتاب

اشتغلت بهذا الكتاب من عدة نواح:

١ - المقارنة بين الطباعة المصرية والطباعة الهندية، وتصحيح الأخطاء التي وقعت في الكتاب.

وفيما يلي نماذج بعض الأخطاء الواقعة في طبعة الهند القديمة التي قمنا بتصحيحها في الطبعة الجديدة:

«مقدمة بذل المجهود»

الطبعة الجديدة		طبعة الهند	
ج/ص/س	الصواب	ج/ص/س	الخطأ
١/٢٦/١ (هـ)	تأليفه	١/١٠/١ (هـ)	تأويله
١/٣٨/٥	صناعة التعليم	١/١٣/١٥	صاعة التعليم
١/٤١/١٢	وهب للمدرسة	١/١٤/١٧	وهب المدرسة
١/٤٥/٣	ذكر أنها	١/١٥/١٩	ذكر في أنها
١/١٤١/١٢	عن رجل	١/١٧/١٧	على رجل
١/٧١/١٧	دثاره التقوى	١/١/١٢	ثاره التقوى

«بذل المجهود»

طبعة الهند		الطبعة الجديدة	
الخطأ	ج/ص/س	الصواب	ج/ص/س
يحيى بن كثير	٢٧/١٠/١	يحيى بن أبي كثير	٧/٢١٣/١
لام معشر	١٥/١٥/١ (هـ ٨)	لام مبشر	٢٣٧/١ (هـ ٢)
عبيد الله بن عمر	١١/٤٢/١	عبيد الله بن عبد الله بن عمر	١٦/٣٨٤/١
تلك الماء	١٤/٤٤/١	ذلك الماء	١٧/٣٩٥/١
رواه ابن عربي	٢٩/٤٦/١	رواه ابن عدي	٩/٤٠٩/١
ابن أبي علي	١٧/٦١/١	ابن أبي عدي	٨/٤٨٦/١
المجدابادي	١١/٩٧/١	المحمد آبادي	١٤/٦٧٧/١
ابو محمد بن سودة	٧/١٠٠/١	أبو محمد بن شاذب	٢/٦٩٣/١
فاليه	١٣/١١٧/١	فإليها	٦/٩١/٢
محمد بن مطرف	١٧/١٣٣/١	محمد بن مطرف بن داود بن مطرف	٧/١٧٦/٢
لعل شريح	١٢/١٥٤/١	لعل شريحا	١٨/٢٨٤/٢
حيضتها	٢٣/١٧٦/١	استحاضتها	١٩/٣٩٣/٢
لا تنقطع	٧/١٨٥/١	إلا أن تنقطع	٥/٤٣٣/٢
الاختصار	٢٢/٢٣٥/١	الاقتصار	١٠/٥٦/٣

وفيما يلي نماذج بعض الأخطاء الواقعة في طبعة مصر وبירות التي قمنا بتصحيحها في الطبعة الجديدة:

«مقدمة بذل المجهود»

طبعة مصر		الطبعة الجديدة	
الخطأ	ج/ص/س	الصواب	ج/ص/س
ابن الهادي	٥/٨/١	ابن عبد الهادي	٨/٣١/١
في أصل السند	٨/١٩/١	في أصل الحديث	٨/٤٥/١
فغرسها	٨/٣١/١	فدرسها	٥/٧٨/١

«بذل المجهود»

طبعة مصر		الطبعة الجديدة	
الخطأ	ج/ص/س	الصواب	ج/ص/س
الجوزاني	٥/٣/١	الجوزجاني	١١/١٦٦/١
للاتقاء	١٠/١٩/١	للإنقاء	١٥/١٨٧/١
ضم السين والسين والكسر	٢٣/١/ (٣هـ)	ضم السين والفتح والكسر	١٩٣/١/ (٣هـ)
خالد بن زيد بن كلب	٢/٢٥/١	خالد بن زيد بن كليب	١٠/١٩٥/١
في عذاب القيامة	٦١/١/ (١هـ)	في عذاب القبر	٢٤٥/١/ (٢هـ)
استسلام الحجر	٨/٨٢/١	استلام الحجر	٨/٢٧٣/١
من لفظ الاسناد	١٢/١٠٥/١	من لفظ الأستاذ	١٩/٣٠٣/١
ونقل ابن حاتم الرازي	١٢/١١٧/١	ونقل أبو حاتم الرازي	١٧/٣١٩/١
سنة ٦٤٥	٦/٤٤/٢	سنة ٢٤٥هـ	٩/٦٨٩/١
يسح	١١/٦٩/٢	يسبح	١٠/٣١/٢
إذ المرابد	٩٩/٢/ (١هـ)	إذ المرابض	٧٢/٢/ (٢هـ)
ابن يعني بلال	١٩/١٠٣/٢	يعني ابن بلال	٢٠/٧٨/٢
أشروا أخبث	١١٦/٢/ (٢هـ)	أشر أو أخبث	٩٤/٢/ (٢هـ)
من الإبتداء	١٥/٧/٣	من للابتداء	٧/٤٦٢/٢
ولا يرفع ذلك	١٢/٣/ (١هـ)	ولا يدفع ذلك	٤٦٧/٢/ (١هـ)
البحث	١٩/١٨/٣	الحديث	١٤/٤٧٥/٢

٢ - خلال هذه المقارنة لمسنا أن الكتاب يحتاج إلى أن نرجع إلى الأصول والمصادر التي أخذ منها الشارح. وبعد المقارنة بقدر الإمكان وجدنا أن الأخطاء والسقطات وقعت في جميع الطبعات، وعلى رأسها طبعة بيروت والقاهرة، ولعلّ السبب في كل هذا أن كثيراً من المصادر قد طبعت سابقاً بدون تحقيق ومقارنة بينما ظهر كثيرٌ منها الآن محققاً ومقارناً مع نسخ عديدة، فاستفدت منها لتقويم النصوص والسقطات، واخترتُ لذلك أن توضع الكلمة بين المعقوفتين []، وأذكر لذلك بعض الأمثلة:

(ط: الهند)	(ط: مصر)	(ط: جديدة)
ج/ص/س	ج/ص/س	ج/ص/س
وكذلك رواه إسماعيل بن علي عن رجل	٢٣/٤٢/١	١٠/١٦٩/١
وكذلك رواه إسماعيل بن علي [عن عاصم بن المنذر] عن رجل	١٠/١٦٩/١	٣/٣٨٧/١
في اسناده يحيى بن هشام هكذا	١٩/٦٣/١	٤/٢٥٦/١
في اسناده يحيى بن هشام [السماز] هكذا	١٩/٦٣/١	٤/٢٥٦/١
قال أبو الحسن القطان	١٠/٨٠/١	١٤/٣٢٨/١
قال أبو الحسن [بن] القطان	١٠/٨٠/١	١٨/٥٨٨/١
وفي التقريب بفتحها وسكون القاف وفتح الراء ثم ياء النسبة	١٠/٨٧/١	٩/٣٥٧/١
وفي «التقريب»: بفتحها وسكون القاف وفتح الراء [وبعدهما همزة] ثم ياء النسبة	١٠/٨٧/١	٩/٣٥٧/١
من حديث عمرو بن أمية الضمري وابن مغيرة بن شعبة	٢٦/٨٧/١	١٥/٣٥٩/١
من حديث عمرو بن أمية [وبلال] والمغيرة بن شعبة	٢٦/٨٧/١	٩/٦٢٨/١
فحديث أبي أوس	١٩/٩٨/١	١٥/٣٩/٢
فحديث [أوس بن] أبي أوس	١٩/٩٨/١	١٨/٦٨٣/١
أبو إسحاق بن معاوية	٣١/١٢٦/١	١٢/١٥٠/٢
أبو إسحاق بن [أبي] معاوية	٣١/١٢٦/١	١٥/١٤١/٢
محمد بن مطرف بن عبد الله	١٧/١٣٣/١	١٢/١٧٧/٢
محمد بن [مطرف بن داود بن] مطرف بن عبد الله	١٧/١٣٣/١	٧/١٧٦/٢
وليس بطعن	١٢/١٣٥/١	١٠/١٨٤/٢
وليس [هذا] ليس بطعن	١٢/١٣٥/١	٤/١٨٦/٢
هذا الحديث رواه	٣/١٣٧/١	١١/١٩٢/٢
هذا الحديث [الذي] رواه	٣/١٣٧/١	٤/١٩٧/٢
سمع القول والاشارة	١٧/١٤٣/١	١٨/٢١٨/٢
سمع القول و [رأى] الإشارة	١٧/١٤٣/١	٦/٢٣٠/٢
أسماء بنت شكل أو أسماء بغير نسب	٣١/١٨٨/١	٦/٣٩٥/٢
أسماء بنت شكل [كما في مسلم] أو أسماء بغير نسب	٣١/١٨٨/١	١١/٤٥١/٢
لم يمنعهن الحياء	١٩/١٨٩/١	١١/٣٩٧/٢
لم [يكن] يمنعهن الحياء	١٩/١٨٩/١	٢١/٤٥٣/٢
والقياس دليل	١١/١٩١/١	١٠/٨/٣
والقياس [على الوضوء] دليل	١١/١٩١/١	١٦/٤٦٢/٢
الضحاك بن عثمان عن ابن عمر	٢٦/٢٠١/١	٤/٤٨/٣
الضحاك بن عثمان [عن نافع] عن ابن عمر	٢٦/٢٠١/١	٤/٤٨/٣
١٨/٥١٤/٢		

وكذلك يجد القارئ الكريم في «رسالة أبي داود إلى أهل مكة» التي نقلها المصنف قد وقعت فيها سقطات كثيرة، قد زدناها بين المعقوفتين أيضاً.

٣ - إن المؤلف - رحمه الله - قد استفاد من النسخ المخطوطة والمطبوعة في تصنيف هذا الكتاب، منها: «نسخة سنن أبي داود بشرح عون المعبود» التي قورنت بعدة نسخ كما هو مذكور في الكتاب، ومنها: «النسخة الخطية المقروءة على مسند الهند الإمام المحدث الشيخ محمد إسحاق الدهلوي»، وهي العمدة في التأليف، وكذلك: «نسخة شيخ الهند محمود الحسن لسنن أبي داود»، وكانت أيضاً مرجعاً لتقويم النصوص، وغيرها من النسخ التي ذكرها الشارح في مقدمته، وقد أشار إلى بعض النسخ الخطية التي حصل عليها أثناء إقامته بالمدينة المنورة في شرحه.

وكان من جملة أعمالنا في خدمة هذا الكتاب الرجوع إلى «تحفة الأشراف» للمزي الذي اعتمد على نسخ عديدة لـ «سنن أبي داود»، فاستفدنا منها^(١)، وزدناها.

ولا شك أن «نسخة الشيخ محمد إسحاق» - الذي هاجر في آخر حياته إلى مكة المكرمة وأقام فيها -، هي نسخة قد قورنت بعدة نسخ، كما هو مذكور في الكتاب^(٢)، ويبدو أنها قورنت بنسخة الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي المتوفى سنة ١١٣٤هـ. فالشيخ خليل أحمد السهارنفوري - رحمه الله - كان له عناية خاصة بذكر اختلاف النسخ في الشرح وعلى هوامش الكتاب.

(١) وكما استفدت أيضاً في أثناء تحقيق هذا الكتاب من طبعة فضيلة الشيخ محمد عوامة لـ «سنن أبي داود».

(٢) وهذه النسخة لا نعلم مصيرها اليوم.

٤ - إن الشارح يذكر ترجمة كل راو حتى تبين درجته، فإذا وجدنا في كلامه إبهاماً بيّناه. ومن أمثلته: انظر ترجمة محمد بن إسحاق (٢٠٧/١)، و ترجمة عروة بن الزبير بن العوام (٢٢٧/١)، و ترجمة عبد الرزاق الصنعاني (٢٥٧/١)، و ترجمة عطاء بن زهير (٤٨١/٦)، و ترجمة أبي بكر الحنفي (٤٩٢/٦) وغيرهم.

٥ - استفاد المصنف ممن سبقه من الشراح المتقدمين والمتأخرين في إثبات ما نقله منهم، وقد أثبت مواضع هذه النقول، وكذلك أثبت مواضع النقول التي أشار إليها شيخنا محمد زكريا الكاندهلوي.

٦ - إن المصنف - رحمه الله - يشرح أقوال أبي داود في كتابه، ويعتمد في بعض الأحيان على كلام شيخه الإمام الرباني رشيد أحمد الجنجوهي (المتوفى سنة ١٣٢٣هـ)، وحاول تخريج الروايات التي أشار إليها الإمام أبو داود، فإذا لم يجد تخريجها فإنه يصرح بأنه تتبع كتب السنة فلم يجدها، وأسباب ذلك ترجع إلى عدم وقوفه على بعض مصادر السنة التي لم تظهر في زمنه، منها: «المعجم الكبير» للطبراني، و «مسند الحميدي»، و «مصنف عبد الرزاق» وغيرها من الكتب، وقد حاولنا بقدر الإمكان تخريج هذه الروايات.

٧ - إن أستاذنا الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا علّق على هذا الكتاب، وتعليقاته نشرت على هوامشه، وقد نقل أكثرها من «شرح ابن رسلان»، وهو مخطوط، وقد حصلنا على مخطوطة هذا الكتاب، وقارنا بينها وبين ما جاء في الشرح لتصحيح التحريفات من الناسخ، والشيخ لخص هذا الكتاب تلخيصاً مفيداً في تعليقاته من أول الكتاب إلى باب في الخرص. وحصل

الشيخ خليل أحمد على نسخة خطية من هذا الشرح في المدينة المنورة أثناء إقامته فيها أيضاً، واستفاد منه في آخر شرح الكتاب، ورجعنا إليه في تقويم عباراته.

٨ - قمنا بترقيم وتشكيل الأحاديث والأبواب والكتب.

٩ - خَرَّجْنَا روايات «سنن أبي داود»، وذكرناها مع المتن، أما الروايات التي أشار إليها المصنف في أثناء الشرح فإننا نتولى تخريجها في الهامش بقدر الإمكان. وهذه رموز الكتب للأحاديث المخرجة مع المتن:

(خ) لـ «صحيح البخاري»، (خت) لتعليقات البخاري، (م) لـ «صحيح مسلم»، (د) لـ «سنن أبي داود»، (ن) لـ «سنن النسائي»، (سي) لـ «عمل اليوم والليلة» للنسائي، (ت) لـ «سنن الترمذي»، (تم) لـ «الشمائل» للترمذي، (جه) لـ «سنن ابن ماجه»، (ط) لـ «موطأ مالك»، (حم) لـ «مسند أحمد بن حنبل»، (دي) لـ «سنن الدارمي»، (ك) لـ «مستدرك الحاكم»، (ق) لـ «السنن الكبرى» للبيهقي، (حب) لـ «صحيح ابن حبان»، (خزيمة) لـ «صحيح ابن خزيمة»، (طب) لـ «المعجم الكبير» للطبراني، (طس) لـ «المعجم الأوسط» للطبراني، (ش) لـ «مصنف ابن أبي شيبة»، (عب) لـ «مصنف عبد الرزاق»، (ع) لـ «مسند أبي يعلى الموصلي»، (قط) لـ «سنن الدارقطني».

١٠ - ألحقت ما وجدناه من كلام مفيد في المصادر والمراجع، وذكرناه في الهامش مختصراً، وما كان من شيخنا أشرنا إليه بـ «ش»، وما لم يذكر فيه «ش» فهو منسوب إليّ.

١١ - قمنا بعمل فهرس فنية تكشف عن مضامين هذا الكتاب الجليل.

وأخيراً ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل ، ويتجاوز
عما وقع منا من الخطأ والزلل ، وينفع الله بهذا الكتاب الباحثين
والدارسين ، آمين يا رب العالمين .

كتبه

تقي الدين الندوي

ليلة الخميس ٢٥ / رمضان المبارك ١٤٢٥ هـ
في المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام

تقديم

بقلم:

سماحة الشيخ العالم الجليل محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء بالهند

على الطبعة الجديدة

لكتاب «بذل المجهود في حل سنن أبي داود»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، أما بعد!

فإني أرى نفسي أصغر وأحق من أن أقوم بكتابة تقديم على الطبعة الجديدة هذه لكتاب شرح سنن أبي داود العظيم «بذل المجهود في حل سنن أبي داود»، الذي قام بتأليفه العالم الجليل كبير المحدثين في هذه العلامة الشيخ خليل أحمد الأنصاري السهارنفوري، وكان في مساعدته تلميذه العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي - رحمهما الله -.

فإن جلالة موضوع هذا الكتاب وشرحه وعظم المسؤولية في أداء الواجب من التعريف بهما يجعلان الأمر صعباً ومسؤولية ضخمة.

ولكن أخي في الله الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي المظاهري الذي بذل جهده الكبير في خدمة هذا الكتاب بإخراجه أحسن إخراج قد أصرّ عليّ

بأن أكتب لطبعته الجديدة تقديماً يحصل لي به شرف وبركة بمشاركتي بكلماتٍ أقدم بها للطبعة الجديدة لهذا الكتاب الجليل ، فقبلت إصراره رجاء حصول بركة وخير لهذا الفقير إلى رحمة الله ، وقد قال قائل :

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ
لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي صَلاحاً

وبعد :

فإنه لا يخفى على كل مطلع على أهمية كتب الصحاح في الحديث الشريف أن كتاب «سنن أبي داود» الذي نحن أمام شرحه هذا إنما له قيمة كبيرة بين كتب الحديث لخصائص وميزات تخصه ، وللاهتمام الذي قام به مؤلفه الإمام أبو داود في اختيار أحاديث الأحكام ، ولالتزامه بخصائص وميزات أصبح به هذا الكتاب يسدّ مكاناً يجعله منفرداً في جوانب مهمة عديدة في علم الحديث الشريف ؛ أما في أهمية مكانته من بين كتب الصحاح الستة والاهتمام بما يتعلق به من مهمات في الإسناد وما يتعلق بالمتن ، وبذلك نال تقديرًا كبيراً من المهتمين بعلم الحديث ، وأصبح مما لا يستغني عنه مشغل بهذا العلم .

وقد كتب مؤلفه بنفسه عن أهمية هذا الكتاب في رسالة أرسلها إلى أهل مكة ، يقول فيها :

«وهو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ بإسناد صالح إلا وهو فيه ، إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث ، ولا يكاد يكون هذا ، ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ، ولا يضر رجلاً أن لا يكتب من بعد ما يكتب هذا الكتاب شيئاً ، وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه علم إذاً مقداره» .

وقال أبو سليمان الخطابي صاحب «معالم السنن» :

«واعلموا - رحمكم الله - أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنّف في علم الدين كتاب مثله، فقد رزق القبول من الناس كافة، وصار حَكَمًا بين فرق العلماء وطبقات القراء على اختلاف مذاهبهم، فلكل فيه ورد، ومنه شرب، وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من المدن في أقطار الأرض».

ولقد شرح هذا الكتاب كثير من العلماء السلف والخلف.

وكان نصيب علماء الهند من خدمة هذا الكتاب وشرحه نصيباً غير منقوص، كشأنهم في خدمة علم الحديث عامة، وخدمة الصحاح الستة بصفة خاصة.

وقد قام بشرحه أخيراً المحدث الكبير العالم الرباني الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وكان كبير أساتذة الحديث الشريف في جامعة مظاهر العلوم، ورئيساً للقسم، وكان من أعظم علماء عصره، والربانيين الكبار في عهده، وكان اعتناؤه بـ «سنن أبي داود» - تدريساً وتحقيقاً - كبيراً وطويلاً.

وكانت فكرته لشرح هذا الكتاب تراوده منذ أيام الطلب وعنفوان الشباب، وكان يتمنى على الله أن يُوفّق لهذا العمل الجليل.

ولما بلغ الشيخ أربعاً وستين سنة من عمره، وذلك في سنة ١٣٣٥هـ، جاء الوقت المقدّر له من الله لتحقيق أمنيته القديمة التي لم تفارقه طيلة مدة اشتغاله بتدريس الحديث الشريف السابقة.

ونظراً إلى ضعف صحته وشيخوخته أراد أن يكون في التعاون معه في هذا العمل الجليل بعض خيرة تلاميذه ممن كانوا يشتغلون في المدرسة معه بتدريس الحديث الشريف ومتعلقاته، ووقع اختياره لذلك على تلميذه النابغ سماحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ابن صديقه الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي - رحمهم الله -، وكان من أقرب المتصلين به، فلم يستجب

فضيلة الشيخ محمد زكريا لطلبه استجابة فحسب، بل وجد في ذلك مطلوبه، الذي كان في أمنيته وهو تلميذه النجيب، وكان يشتغل بتدريس الحديث الشريف ويهتم به تحت إشراف أستاذه أيضاً، في الجامعة نفسها، فأراد منه أستاذه الشيخ خليل أحمد المساعدة في هذا العمل الجليل، بالمراجعة والتحقيق فيما يلزم في شرح هذا الكتاب، ليتمكن بمساعدته أستاذه الشيخ الجليل من إنجاز هذا العمل المهم الضخم بإتقان وكمال لائقين رغم ضعف صحته وشيخوخته العائقة من جهد شاق وعمل كثير جاد.

على كل، فقد اشتغل الأستاذ بشرح السنن وعكف تلميذه الشيخ محمد زكريا على التعاون معه بجهد مخلص وعمل دؤوب واهتمام متواصل بمراجعة وتحقيق وتعليق مهم حتى بلغ العمل إلى نهايته.

وكان إكماله في مهبط الوحي في مدينة الرسول ﷺ، وجاء الكتاب في خمس مجلدات كبار في ألفين من الصفحات بالقطع الكبير باسم «بذل المجهود في حل سنن أبي داود».

وامتاز الكتاب باهتمامه على فوائد كثيرة معتمداً على شروح مختلفة ومراجع شتى، وبالالتزام ما يلزم من البحث والتحقيق في هذا العلم المهم الشريف على نهج كبار الشراح الذين تلقت الأمة شروحهم بقبول عام. وبلغت مساعدة الشيخ محمد زكريا لأستاذه الشيخ في جهده ذلك إلى أبعد حد، فجاء هذا الشرح القيم الجديد مشتملاً على تعليقات قيمة في أسماء الرجال وأصول الحديث، وقد عارض مؤلفه الحجة بالحجة، وكان عكوفه في أكثر الأحيان مختصاً بصناعة الحديث وحده وبمترابطاته من الفنون، ونال الشيخ تقديرًا عظيمًا وقبولاً حسناً جداً من المتخصصين في فن الحديث، وكان مشتملاً على مقدمات في أول الكتاب لعدد من كبار العلماء النابغين في الحديث الشريف.

وطبع الكتاب مرات عديدة، وكان طبعه على الحجر حسب ما كانت عليه الطباعة آنذاك في الهند، ونال قبولاً عظيماً بين المشتغلين بعلم الحديث الشريف تدريساً ودراسة.

ولما تيسّر استخدام الحروف الحديدية بطباعة الكتب العربية في البلدان العربية وبخاصة في مصر والشام أراد فضيلة الشيخ مولانا محمد زكريا الكاندهلوي - رحمه الله تعالى^(١) - أن يخرج كتاب أستاذه ذلك إخراجاً أحسن من السابق على الحروف الحديدية، وبمراجعة أوسع، وأراد أن يتولّى تصحيح الطبعة الماضية وإعدادها للطبعة الجديدة تلاميذه، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي المظاهري أستاذ الحديث في دار العلوم لندوة العلماء لكهنؤ، (الهند)^(٢).

فنشط الدكتور الشيخ تقي الدين لهذا العمل مع بعض تلاميذ الشيخ محمد زكريا الأجلاء، وقام بخدمة هذا الكتاب: بإعداده للطبع على الحروف الحديدية بمراجعة وتحقيق أكثر، وتصحيح الأخطاء المطبعية التي ظهرت عند التحقيق والمراجعة، وبإيضاح ما غمض من الكلمات في الطبعة السابقة، حتى جاء الكتاب في مظهر جميل، ونالت طباعته تقدير أهل العلم جميعاً، وامتازت الطبعة الجديدة بمزيد من الفوائد.

(١) وذلك بعد وفاة شيخه مؤلف هذا الكتاب، وقد حلّ محلّ شيخه في رئاسة قسم الحديث الشريف في جامعة مظاهر العلوم، وأحرز مكانة مرموقة في خدمة الحديث الشريف، وصدرت له كتب عديدة في شرح الحديث الشريف مثل شرح «أوجز المسالك إلى موطأ مالك» في مجلدات كبار، وكتاب «لامع الدراري على جامع البخاري» و «جزء حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ» وغيرها من كتب أخرى، واستمر سماحته تعلو مكانته في الحديث الشريف بين رجال العلم والدين، ولقب بلقب «شيخ الحديث»، ونظراً إلى ما كان بذله من مساعدة في إخراج كتاب أستاذه -

(٢) ثم صار أستاذ الحديث الشريف وعلومه بجامعة الإمارات العربية المتحدة مدة لا بأس بها.

وبعد مدة من الزمن خطر ببال الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي المظاهري الذي كان سهمه كبيراً في الاهتمام بطبع الكتاب بالحروف الحديدية أن ينظر في هذه الطبعة كذلك نظرة فحص واستعراض ومراجعة، وقد مضى وقت على تداول الكتاب، فوجد أن الكتاب بحاجة إلى طبعة جديدة وبمراجعة أوسع وأحسن للمصادر التي ظهرت حديثاً، فأراد الشيخ تقي الدين الندوي أن يقوم بخدمة هذا الكتاب من جديد، وتشجع لهذا العمل الجليل، واشتغل به عدة سنوات بالتصحيح والتحقيق، وخدم هذا الكتاب بعدة نواح.

وذكر فضيلة الشيخ تقي الدين نفسه نقاطاً منها في مقدمته لطبعة الكتاب، منها:

١ - مقارنة بين الطباعة الهندية والطباعة المصرية ليعرف مدى صحة الطباعة المصرية.

٢ - تصحيح الأخطاء التي وجدها في هذه الطبعة كذلك، فقد رأى عند المقارنة بعد قيامه بفحص الطبعة الجديدة أن هذه الطبعة من الكتاب تفتقر أيضاً لتصحيحها إلى أن يراجع الأصول والمصادر التي أخذ منها الشارح، ووجد أن عديداً من المصادر التي كانت قد طبعت في الماضي جاءت طبعتها الجديدة في صورة أحسن وأكمل.

٣ - رأى أن الشارح - رحمه الله - كان قد استفاد من النسخ المخطوطة أيضاً، وكانت منها نسخة «عون المعبود»، وقد ذكرها الشارح في مقدمته، فكان من الضروري النظر إلى النسخ الجديدة منها.

٤ - رأى أن الشارح حاول تخريج الروايات التي أشار إليها الإمام أبو داود، فإذا لم يجد صرح بقوله: «إني تتبعته كتب السنة فلم أجد»، وكان من جملة أسباب عدم وجدانه لها أن بعض مصادر السنة لم تظهر في عصره، منها: «المعجم الكبير» للإمام أبي القاسم الطبراني، و«مسند

الإمام الحميدي»، و «مصنف الإمام عبد الرزاق»، وغيرها من الكتب، فحاول الشيخ تقي الدين بقدر الإمكان تخريج هذه الروايات.

٥ - كان سماحة الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي قد علق على هذا الكتاب، وتعليقاته نشرت على هوامشه، ومنها ما هي مأخوذة من «شرح ابن رسلان» وهو مخطوط، فحاول الشيخ تقي الدين المقارنة بينها وبين ما جاء في الشرح لتصحيح الأخطاء التي حصلت من انتساخ الكتاب.

٦ - اعتنى الشيخ تقي الدين بترقيم وتشكيل الأحاديث والأبواب والكتب، وفي ترقيم الأحاديث أضاف في الترقيم المسلسل الأحاديث الزائدة من «بذل المجهود».

٧ - قام الشيخ أيضاً بتخريج روايات «سنن أبي داود» من الكتب الستة وغيرها من كتب السنن.

٨ - حاول بيان المواضع وأرقام الصفحات مما جاءت في الشرح أو الهامش من المصادر والمراجع، وحاول ذكر إحالاته إلى المراجع والمصادر، وقام بعمل الفهارس الفنية، وهذه أمور ذكرها الشيخ تقي الدين في مقدمته.

* على كل، فقد بذل الشيخ تقي الدين منتهى جهده في خدمة هذا الشرح الجليل لكتاب السنن المهم العظيم، وبذلك أدى حق شيخه سماحة الشيخ العلامة محمد زكريا رحمه الله تعالى خير الأداء، وزاد في صحة الطبع والتحقيق لما غمض أو خفي مما ورد في الطبقات السابقة من الكتاب، وذلك بمراجعته لما صدر حديثاً من كتب المراجع في هذا الفن، والاقتباس من فوائد متعلقة من مضامين الكتب من المراجع المطبوعة الجديدة.

هذا، وقد أدى بذلك الشيخ تقي الدين الندوي بالإضافة إلى خدمته لكتاب «بذل المجهود» خدمة كبيرة أخرى في التحقيق والمراجعة لطباعة

كتب الحديث المختلفة، وكان عدد من هذه الكتب من تأليف سماحة الشيخ محمد زكريا رحمه الله، وعدد لبعضها كان لغيره، جزاه الله تعالى أعظم الجزاء على خدمته لعلم الحديث الشريف.

وكان مما حفز همة الشيخ تقي الدين لإخراج هذا الشرح الجليل إخراجاً أجمل وأحسن: أن صاحب السمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان - حفظه الله تعالى ورعاه - نائب رئيس مجلس الوزراء لدولة الإمارات العربية المتحدة قد تولّى بذل ما يتأتى من نفقات لطبع هذا الكتاب طبعة جديدة، فهو يستحق التقدير على هذه المبرّة، وسينال جزاءً خيراً عليها من الله تعالى، فلو لم يكن تولّى نفقات الطبع لم يكن سهلاً ظهور هذه الطبعة رغم كل الجهود التي بذلت في التصحيح والمراجعة لهذا الشرح الضخم ذي المجلدات الكبيرة العديدة في مظهرٍ من الطباعة الجميلة، فهو يستحق من كل معتنٍ بحديث الرسول ﷺ التقدير الكبير والشكر.

وإن الجهد العظيم الذي قام ببذله فضيلة الشيخ تقي الدين لأداء حق شيخه سماحة العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وشيخه المؤلف لهذا الشرح، وواصل ليله بنهاره فيه إنما هو جهد يستحق عليه التقدير من جميع المشتغلين بالحديث تدريساً ودراسة وتأليفاً، وخاصة لأن سعة الموضوع وكثرة التأليف فيه ووفرة المعلومات في المراجع والمصادر لهذا الفن تجعل العكوف على المراجعة والتحقيق أمراً صعباً ومستنفداً للجهد.

وقد نجح الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي في هذا المجال، وأخرج الكتاب بقدر ما يمكن من الجودة والكمال، تقبل الله منه سعيه وجزاه أعظم الجزاء، والله المنة والفضل.

وكتبه

محمد الرابع الحسني الندوي

الرئيس العام لجامعة ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

١٤/ رجب ١٤٢٦ هـ

٢٠/ ٨/ ٢٠٠٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمُ الْكِتَابِ

بقلم: سماحة العلامة

الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي^(١)

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين
وخاتم النبيّين محمد، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم
الدين.

أما بعد: فيسعد كاتب هذه السطور أن يقدّم لكتاب «بذل المجهود في
حل أبي داود» للعلامة المحدث الكبير، والمربّي الجليل، مولانا خليل
أحمد السهارنفوري - رحمة الله عليه -، وقد سعد الكاتب ووُفّق لتقديم عدة
كتب قيمة ومؤلفات عظيمة لتلميذه الأبرّ الأكبر شيخنا العلامة محمد
زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي السهارنفوري^(٢)، كـ «مقدمة أوجز
المسالك» و «مقدمة لامع الدراري» و «جزء حجة الوداع وعمرات النبي ﷺ»
و «الأبواب والتراجم للبخاري».

(١) قد انتقل - رحمه الله - إلى جوار ربه يوم الجمعة ٢٢ من شهر رمضان ١٤٢٠هـ
الموافق ٣١ من شهر ديسمبر ١٩٩٩م، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(٢) تُوفي إلى رحمة الله تعالى في غرة شعبان ١٤٠٢هـ، انظر ترجمته في: «كتاب تذكرة
حياته» لسماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي بالأردية، والمجلة
الأحمدية العدد السابع - ٢٠٠١م الصادرة من دبي بعنوان «الإمام المحدث
محمد زكريا الكاندهلوي وآثاره في علم الحديث» لولدي العزيز الدكتور ولي الدين
الندوي.

وكاتب هذه السطور يشهد الله على أن هذه الكتابات لم تخذعه عن نفسه، وقد كان يتقدم إليها في كل مرة متهيّباً خاشعاً أمام جلال الموضوع، ومكانة الكتاب العلمية، ومنزلة المؤلف الدينية، وعلو كعبه واختصاصه في علم الحديث، مؤمناً بضالة قدر نفسه، وقلة بضاعته، وبأنه متطفل على مائدة هذا الفن الشريف، يعتبر - عَليمَ الله - أن إقدامه إلى هذا التقديم جسارة تكاد تكون وقاحة وإساءة أدب وقلة حياء، وبأن في القطر الهندي وحده، فضلاً عن شبه القارة الهندية، فضلاً عن العالم الإسلامي، من هو أجدر وأقدر وأولى بهذه التقديمات، والتعريف بالتأليف والمؤلف.

ولا يستطيع الكاتب أن يُعلّل هذا التكريم المتكرر إلا بحكمة إلهية خفية، وأسلوب من أساليب التربية، التي خص الله بها كبار المربين وحُذّاق المعلمين، وأن لهم في ذلك مرامي بعيدة ومقاصد دقيقة ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١)، ولعلّ ذلك لإثارة كوامن الشوق وتشحيذ العزم الفاتر، والهمّة الكليلة في دراسة هذا الفن الشريف، وإعادة الخيط النوراني الذي يربط القلوب بهذا العلم، والذي ضعف وكاد ينقطع.

وعلى كلّ فالكاتب يعتقد كل ذلك من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى عليه، التي لا يستوفي حق شكرها.

فلو أن لي في كل منبت شعرة لساناً لما استوفيت واجب حمده وكتاب «بذل المجهود» هو واسطة العقد بين هذه الكتب التي أمرت بالتقديم لها، واهتمام شيخنا العلامة محمد زكريا بنشره في الحروف العربية ووصوله إلى أيدي علماء الحديث والمشتغلين بتدريسه وتحقيقه، وانتشاره في الأوساط العلمية والمدارس الدينية، وحلوله المحل اللائق به من بين شروح الحديث التي ألّفت في العصور الأخيرة أعظم وأكثر، إذ هو ليس مجرد تأليف لشيخه - الذي أحبه واقرنت حياته العلمية بحياته، وليست

(١) سورة المدثر: الآية ٣١.

إِلَّا ظِلًّا ممدوداً لهذه الشجرة الطيبة المباركة - بل هو فلذة كبده وقطعة نفسه، وأحبُّ أعماله إليه كما سيقراً القارىء في السطور الآتية.

فأصبح خروج هذا الكتاب في الثوب القشيب والمظهر الجديد أعزَّ أمانيه وأكبر آماله، يتلذذ بالحديث عنه ويتسلَّى بالتفكير فيه، وقد طابت له الحياة، وهانت عليه المحن والخطوب في سبيل نشر هذا الأثر العلمي العظيم، وتذكار شيخه الأثير الحبيب، وانتظار خروجه واكتماله.

ومن دواعي الغبطة والسرور لكاتب هذه السطور أن يكون له نصيب في هذا العمل، وأن يكون عاملاً صغيراً في تحقيق هذه الأمنية العزيزة وإظهار هذه المأثرة الخالدة.

وكلمة وجيزة عن مكانة «سنن أبي داود» ومنزلته من بين دواوين السنَّة ومجاميع الحديث، وإن كان هذا الموضوع قد استوفي في كتب أصول الحديث، ومقدمات علم الحديث، وتاريخ تدوين السنَّة، ولم يترك الأول للآخر شيئاً، ولا يجاوز عمل كاتب مثلي إعادة ما قيل، وإجمال ما فُصِّل، ووقفه قصيرة عند شروح هذا الكتاب وتعليقاته، ونظرة إجمالية في هذا الشرح، ومكانته من بين الشروح، والثغرة التي يسدها، ولماذا احتاج المؤلف إلى وضعه؟ ومدى ارتباط المؤلف بهذا الكتاب وتفانيه فيه، وتعلقه به، ومدى نجاحه في هذا العمل، وكيف تم تأليف هذا الكتاب، وما هو سهم تلميذ المؤلف النابغة في تأليفه؟ وما فضله وتأثيره في حياته ونجاحه ونبوغه؟ فلكل ذلك قصة ممتعة مفيدة، فيها عبرة لمن اعتبر، ودروس مفيدة لتلاميذ المدارس النجباء، ورواد العلم الأذكياء، وأولي الهمم من المؤلفين والعلماء ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

أما «سنن أبي داود» فهو من كتب الحديث التي تلقىها الأمة بالقبول، وتلقاها علماء الصناعة وأئمة الفن بالاعتناء التام، وعليه المعوّل والاعتماد

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

قديمًا وحديثًا، وهو ثالث الأركان أو الرابع - في قول بعض المحققين - التي قام عليها بناء السنّة.

ونبدأ بكلام الإمام أبي داود نفسه في وصف كتابه وذكر خصائصه، فهو الثقة الصدوق فيما يقول، ولا يصف كتاباً ولا يعرف غوامضه مثل مؤلفه.

* قال - رحمه الله - في رسالة أرسلها إلى أهل مكة في صفة كتابه:

«وهو كتابٌ لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ بإسنادٍ صالحٍ إلّا وهو فيه، إلّا أن يكون كلام استخرج من الحديث ولا يكاد يكون هذا، ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب، ولا يضر رجلاً أن لا يكتب من بعد ما يكتب هذا الكتاب شيئاً، وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه يعلم مقداره»^(١).

* وقال أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي - وهو أحد كبار تلاميذ الإمام أبي داود وصاحب النسخة المشهورة للـ «سنن» - : «لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلّا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب - وأشار إلى نسخة «السنن» وهي بين يديه - لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بته»^(٢).

* وقال أبو سليمان الخطابي صاحب «معالم السنن»: «واعلموا - رحمكم الله - أن كتاب «السنن» لأبي داود كتاب شريف، لم يصنف في علم الدين كتاب مثله، وقد رُزق القبول من الناس كافةً، فصار حَكَمًا بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، فلكلّ فيه ورْدٌ ومنه شرب، وعليه معوّل أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب، وكثير من مدن أقطار الأرض.

(١) مقتبس من (رسالة أبي داود السجستاني في وصف تأليفه لكتاب «السنن» ص ٦ - ٧) رواية أبي الحسين بن جميع عن محمد بن عبد العزيز الهاشمي عنه، طبعت في مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري.

(٢) ذكره الخطابي في مقدمته سماعاً من ابن الأعرابي «معالم السنن» (١/١٤).

فأما أهل خراسان فقد أولع أكثرهم بكتاب محمد بن إسماعيل ومسلم بن الحجاج ومن نحا نحوهما في جمع الصحيح على شرطهما في السبك والانتقاد، إلا أن كتاب أبي داود أحسن رصفاً وأكثر فقهاً، وكتاب أبي عيسى أيضاً كتاب حسن، والله يغفر لجماعتهم، ويُحسن على جميل النية فيما سعوا له مثوبتهم برحمته.

إلى أن قال: وكان تصنيف علماء الحديث - قبل زمان أبي داود - الجوامع والمسانيد ونحوهما، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً.

فأما السنن المحضة فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها، ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة، ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود، ولذلك حل هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محل العجب، فضربت فيه أكباد الإبل ودامت إليه الرحل»^(١).

* وقال شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - شارح «صحيح مسلم» وصاحب المؤلفات الكثيرة الشهيرة -، في قطعة كتبها في شرح «سنن أبي داود»: «وينبغي للمشتغل بالفقه وغيره الاعتبار بـ «سنن أبي داود» بمعرفته التامة، فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه وبراعة مصنفه واعتناؤه بتهذيبه»^(٢).

* وقال العلامة الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب «زاد المعاد» والمؤلفات المقبولة، في شرحه لاختصار المنذري - لـ «سنن أبي داود» -: ولما كان كتاب «السنن» لأبي داود سليمان بن الأشعث - رحمه الله - من الإسلام بالموضع الذي خصه به، بحيث صار حكماً بين

(١) «معالم السنن» (١/١٢ - ١٣).

(٢) العبارة منقولة من «الحطة في ذكر الصحاح الستة»، للأmir العلامة صديق حسن خان القنوجي (ص ١٠٦)، المطبعة النظامية كانفور طبع ١٢٨٣هـ.

أهل الإسلام، وفصلاً في موارد النزاع والخصام، فإليه يتحاكم المنصفون، وبحكمه يرضى المحققون، فإنه جمع شمل أحاديث الأحكام، ورتبها أحسن ترتيب، ونظمها أحسن النظام مع انتقائها أحسن الانتقاء واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء»^(١).

وفيما نقلناه بلاغ ومقنع للدلالة على مكانة الكتاب وأهميته.

وكانت نتيجته الطبيعية ومقتضى إجلال العلماء له واحتياج الفقهاء والمحدثين إليه أن يكثّر الاهتمام بشرحه وخدمته، والتعليق عليه، فتناوله بالشرح كبار علماء الأمة وأئمة علم الحديث في كل عصر ومصر.

- ومن أقدم شروحه وأشهرها، وأغزرها مادة، وأكثرها فوائد وأصولاً ونكتاً شرح «معالم السنن» لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى سنة ٣٨٨هـ).

ولا يعزبن عن البال أن الخطابي - رحمه الله تعالى - لم يشرح جميع الأحاديث، بل يأتي إلى الباب الذي تعددت فيه الروايات، فإذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً، وكأنه بذلك شرح جميع الباب، وإلاّ شرح أكثر من ذلك على حسب ما يترأى له، وإلى ذلك الإشارة بقوله: من باب كذا^(٢).

إلا أن الكتاب مجمع على فضله واحتوائه على فوائد كثيرة تنير السبيل للمستفيدين، وتنشئ فيهم ملكة الاستنباط وفقه الحديث، وقد جاءت في ثنايا الكتاب ثروة ذات قيمة من مقاصد الشريعة وأسرارها كما نوّه بذلك شيخ الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي في مقدمة «حجة الله البالغة»^(٣).

(١) «تهذيب مختصر سنن أبي داود» لابن القيم (٨/١).

(٢) مقتبس من مقدمة الشيخ الراغب الطباخ على «معالم السنن» للخطابي، طبع حلب.

(٣) وفي مكتبة دار العلوم «ديوبند» مقدمة للشيخ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، كتبها بطلب من جماعة للفقهاء حين إملائه لـ «معالم السنن» في سنة =

- وشرحه الشيخ قطب الدين أبو بكر بن أحمد بن دعين^(١) اليمني الشافعي (م سنة ٧٥٢هـ) في أربعة مجلدات كبار.

- وقد تناوله بالشرح شيخ الإسلام محيي الدين النووي (م سنة ٦٧٦هـ)، إلا أن هذا الشرح لم يتم، ولو تم لكانت له مكانة مرموقة؛ لاقتدار صاحبه على الشرح والإيضاح، ورسوخه في علوم الحديث وسلامة ذهنه.

- وشرحه الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج (م سنة ٧٦٢هـ) ولم يكمله، وهو كتاب عظيم كثير الفوائد.

- وشرحه شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي (م سنة ٧٦٥هـ) سماه «انتحاء السنن واقتفاء السنن».

- وشرحه الشيخ سراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي (م سنة ٨٠٤هـ).

- وشرحه الشيخ العلامة ولي الدين أبو زرعة أحمد ابن الحافظ أبي الفضل زين الدين العراقي (م سنة ٨٢٦هـ).

قال السيوطي: هو شرح مبسوط جداً كتب منه من أوله إلى سجود السهو في سبع مجلدات، ولو كمل لجاء أكثر من أربعين مجلداً.

- وشرحه الحافظ شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملي

= ٥٤٦هـ للتعريف بصاحب «السنن» الإمام أبي داود وبشارحه أبي سليمان الخطابي، يقول في هذه المقدمة: وقد أردت أن أقدم هنا فصلاً في التنبيه على جلالة أبي داود وما صنّفه، وفضل أبي سليمان وشرحه.

وقد جاءت هذه المقدمة في ٢٢ صفحة من القطع الكبير، وهي خطية لم تطبع بعد، (مخطوطات دار العلوم ص ٩٥).

[وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة أنصار السنّة المحمدية بالقاهرة، وألحق في نهاية «معالم السنن»].

(١) انظر «كشف الظنون» (٢/١٠٠٥).

الشافعي^(١) (م ٨٤٤هـ) في أحد عشر مجلداً، وقد رأى الشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصاري شرحه في بعض بلاد العرب، وذكر أنه في ثمان مجلدات كبار، كما جاء في «غاية المقصود» (ص ٩)^(٢).

- وشرحه العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي (م ٨٥٥هـ)، ولم يكمل^(٣).

وشرحه العلامة جلال الدين السيوطي (م ٩١١ هـ)، وسمّاه: «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود».

وعليه حاشية للعلامة السيد علي بن سليمان الدمنتي البُجْمَعَوِي - المتوفى في أوائل القرن الرابع عشر -، وسمّاه: «درجات مرقاة الصعود»، وقد قال في مقدمته: «هذا اختصارنا لـ «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود» للعلامة السيوطي، وهو تعليق على نسق أصله الذي لخص به «معالم السنن» للإمام أبي سليمان الخطابي.

وضم إليه الفوائد الزوائد والخرائد الشرائد، وهو في جزء واحد، طبع في المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٨هـ -.

- وقد شرحه العلامة الشيخ محمود^(٤) محمد خطاب السبكي المصري

(١) اقرأ ترجمته الحافلة في: «البدر الطالع» للشوكاني (٤٩/١) و«الضوء اللامع» (٢٨٢/١) و«شذرات الذهب» (٢٤٨/٧).

(٢) استفدنا في هذا الباب من كتاب: «الحطة في ذكر الصحاح الستة»، للعلامة صديق حسن القنوجي و «مقدمة غاية المقصود».

(٣) قد طبع هذا الشرح في بيروت، سنة ١٤٢١هـ.

(٤) هو المصلح الكبير الداعي إلى الله الشيخ محمود خطاب السبكي، تعلم العلم كبيراً، وتخرج في الأزهر، وكانت دراسته بكاملها في نحو سنة، كما حكى هو عن نفسه في كتابه «فتاوى أئمة المسلمين»، ودرّس في الأزهر، وقام بدعوة دينية إصلاحية، كان لها تأثير كبير في اتباع السنة وطريقة السلف الصالح وإزالة البدع والمنكرات، وأسّس =

(م ١٣٥٢هـ) وسمّاه: «المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود»، وهو شرح حافل في عشرة أجزاء ولم يتم، وقد وصل المؤلف في شرحه إلى «باب التليد».

* وكان نصيب علماء الهند من خدمة هذا الكتاب الجليل نصيباً غير منقوص، شأنهم في خدمة علم الحديث عامة، وخدمة الصحاح الستة بصفة خاصة.

- فأول من شرحه من علماء الهند: العلامة أبو الحسن السندي ابن عبد الهادي المدني (م ١١٣٩هـ) وسمّاه: «فتح الودود على سنن أبي داود».

وتلاه علماء آخرون:

- فعني به العلامة المحدث الكبير شمس الحق الديانوي (م ١٣٢٩هـ)، فبدأ في شرح عظيم محيط بمباحث الكتاب والامتون والأسانيد، لو تم لكان عملاً جليلاً، ومن شروح الحديث الكبيرة الشاملة، إلا أنه لسعة دائرته وضخامة عمله لم يتم، وسمّاه: «غاية المقصود» وقد احتوى على بحوث مفيدة وفوائد كثيرة، ولعلّ المؤلف قد شعر بأن هذا العمل لا يتم في حياته، فضيق دائرة التأليف، وصغّر إطار الكتاب، وأخرج الكتاب في أربعة أجزاء، وسمّاه «عون المعبود»، ونسبه إلى أخيه الشيخ محمد أشرف، وهو من تأليفه حقيقة^(١).

= جمعية سمّاه: «الجمعية الشرعية لتعامل العاملين بالكتاب والسنة المحمدية». لقيت ابنه وخليفته الشيخ أمين محمود خطاب في مصر سنة ١٣٨٠هـ، وتعرفت بكثير من أعضائها. راجع: «مذكرات سائح في الشرق العربي» لكاتب هذه السطور، (ص ٣٤).

(١) راجع ترجمة مولانا شمس الحق الديانوي في «نزهة الخواطر» للعلامة عبد الحي الحسيني (١٧٩/٨).

- وترجمه الشيخ وحيد الزمان اللكهنوي الحيدرآبادي الملقب بوقار نواز جنك (م ١٣٣٨هـ)، وتناوله بالشرح والإيضاح، وسمّاه: «الهدى محمود في ترجمة سنن أبي داود».

- وقد جمع أحد تلاميذ العلامة محمد أنور شاه الكشميري (م ١٣٥٢هـ) - وهو الشيخ أبو العتيق عبد الهادي محمد صديق النجيب آبادي - إفاداته في درس «سنن أبي داود»، وضم إليها فوائد اقتبسها من «بذل المجهود» للعلامة خليل أحمد السهارنفوري، وزاد فوائد أخرى التقطها من درس العلامة محمود حسن الديوبندي المعروف بشيخ الهند لـ «صحيح البخاري»، ودرس العلامة شبير أحمد العثماني لكتاب «صحيح مسلم»، وألف مقتبساً من كل ذلك كتاباً أسماه «أنوار محمود» في جزئين^(١)، وتم الشرح فيهما.

- وللشيخ فخر الحسن الكنگوهي (م ١٣١٥هـ) تعليق على «سنن أبي داود»، وسمّاه «التعليق محمود».

- وللشيخ العلامة المحدث القاضي حسين بن محسن^(٢) الأنصاري اليماني تعليقات على «سنن أبي داود».

- ولتلميذه العلامة السيد عبد الحي الحسيني مؤلف «نزهة الخواطر» تعليق على «السنن» كذلك، لم يتم.

* وكان الشيخ العلامة المحدث الكبير مولانا خليل أحمد السهارنفوري من كبار المعنيين بـ «سنن أبي داود» تدريساً وتحقيقاً.

وكان مما جرت به العادة ووقع عليه الاتفاق في مدرسة مظاهر علوم - التي كان مديرها ورئيس أساتذتها - أن يباشر هو تدريس هذا الكتاب أو

(١) طبع هذا الكتاب في تجلي بريس دهلي سنة ١٣٣٠هـ، وعدد صفحات الجزء الأول ٦١٠، وعدد صفحات الجزء الثاني ٥٦٨، [وقد طبع في باكستان في مجلدين أيضاً].

(٢) راجع ترجمته في: «نزهة الخواطر» (١٢١/٨).

يتولاه الشيخ العلامة محمد يحيى بن إسماعيل الكاندهلوي^(١)
(م ١٣٣٤هـ) لا يتخطاهما إلا نادراً.

وكانت فكرة شرح هذا الكتاب تراود الشيخ منذ أيام الطلب وعنفوان الشباب، وكان يتمنى على الله أن يوفق لهذا العمل الجليل، وقد شرع في ذلك فعلاً، وبدا له أن يسميه: «حل المعقود الملقب بالتعليق المحمود على سنن أبي داود»، وأقبل على هذا العمل بعد أن عين مدرساً، وقد شرع فيه ثلاث مرار، وكان الشروع فيه للمرة الثالثة سنة ١٣١١هـ، إلا أنه لم يقدر له الاستمرار فيه وإكماله في ذلك الحين، فصرفته عنه الأشغال العلمية، والدروس المرهقة، والأسفار المتتابعة.

وقد كانت لله في ذلك حكمة خفية، فقد أراد الله أن يتم هذا العمل على يده، وقد بلغ درجة النبوغ والنضج العقلي وتوسعت دراسته، واتسع علمه، وظهرت كتب جديدة في شرح هذا الكتاب، فجاء الكتاب حصيلة دراسته وعصارة مطالعته.

وكان الباعث الأول على تأليف هذا الشرح هو شغفه بحديث رسول الله ﷺ الذي لا يعرف مداه وسره إلا من ذاق حلاوة الحب، وشغف بمحبوبه وبكل ما يصدر عنه ويتصل به وينسب إليه، وحرصه على الاشتغال بالحديث لفظاً ومعنى، ومنطوقاً ومفهوماً، وشرحاً وتحقيقاً، وفحصاً وبحثاً.

ولما كان الشرح ضامناً كافلاً بهذا الاشتغال والخوض في أعماق الحديث، أثره الشيخ والتزمه، فإن تمّ الشرح وتحققت الأمنية، فنعم وحبّذا، وإلا فقد قضى هذه المدة في شغل عزيز لذيد، وفي سعادة وغبطة وسرور.

(١) انظر ترجمته في: «أوجز المسالك» (١/١٣٣)، و «لامع الدراري» (١/٤٨٣).

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى! وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا

وكان الباعث الثاني عليه هو: عدم وجود شرح وافٍ لهذا الكتاب الجليل بقلم عالمٍ حنفيٍّ يجمع بين التبحر في الحديث والتضلع في الفقه، مع أن الكتاب من أهم الكتب التي يعتمد عليها في إثبات مذهب أو رد مذهب، لأن موضوعه الخاص وميزته الكبرى هو أحاديث الأحكام، وهي التي يكثر فيها الخلاف، وتتجلى فيها القدرة على التحقيق وقوة الاستدلال، وذلك ما أهم المؤلف وشغل خاطره.

ولم يزل علماء الإسلام منذ قديم الزمان يشرحون كتب الحديث - وفي مقدمتها الصحاح الستة - بوجهة نظرهم الخاص، ويطبّقون بين الأحاديث وآراء مذهبهم، ويقدمون دلائلها من كتب الحديث الموثوق بها، المعتمد عليها، كما فعل الإمام أبو جعفر الطحاوي^(١) في «شرح معاني الآثار»، وكما فعل العلامة الزيلعي^(٢) في «نصب الراية»، والعلامة علاء الدين ابن التركماني^(٣) في «الجواهر النقي».

وسادتنا الشافعية - والحق أحق أن يقال - قد أحرزوا قصب السبق في ميدان التأليف والتدوين، فإذا ألف أحدهم شرحاً لكتاب من كتب الصحاح تلاه عالم كبير من علماء المذهب الحنفي فألف شرحاً آخر لهذا الكتاب، وإذا ألف أحد كبار علماء الشافعية أو المالكية كتاباً في التفسير أو في أصول الفقه وتلقّاه الناس بالقبول، وسارت به الرُّكبان، وشغف به الأوساط

(١) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» (٨٠٨/٣)، و«وفيات الأعيان» (٥٣/١)، و«شذرات الذهب» (٨٨/٣)، و«الجواهر المضيئة» (١٠٤/١).

(٢) انظر ترجمته في: «ذيل طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص ٦٢)، و«الدرر الكامنة» (٣١٠/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «الدرر الكامنة» (٨٤/٣)، و«الجواهر المضيئة» (٣٦٦/١)، و«الفوائد البهية» (ص ٥١).

العلمية والحلقات التعليمية، جاء عالم حنفي فآلف كتاباً في نفس الموضوع قد يفوقه، وقد يدرك شأوه، وقد يتخلف عنه، شأن الكتب العلمية والجهود البشرية في كل زمان ومكان، وهذه قصة «عمدة القاري» للعلامة بدر الدين العيني^(١) مع «فتح الباري» للعلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٢).

وهذا هو الدافع النبيل الذي دفع بعض كبار علماء الحنفية إلى تأليف كتاب في تفسير القرآن بعد ما كثرت مؤلفات علماء الشافعية في التفسير، وانتشرت في الآفاق، وأقبل عليها الطلبة والعلماء درساً وتدریساً، كما فعل العلامة أبو البركات حافظ الدين النسفي^(٣) (م ٨١٠هـ) في كتابه «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، والعلامة أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي^(٤) (م ٩٨٢هـ) في تفسيره المسمى بـ «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، والمحدث الكبير والفقير الشهير القاضي ثناء الله الباني بتي^(٥) (م ١٢٢٥هـ) في «التفسير المظهر».

والعلم الثالث الذي له صلة وثيقة بالمذاهب والآراء الفقهية، وعليه أساس استنباط المستنبطين واجتهاد المجتهدين، هو علم أصول الفقه، فكان المجال الثالث لتأليف فحول علماء المذاهب ونوابغهم، فآلف العلامة أبو الحسين البصري^(٦)، وإمام الحرمين العلامة أبو المعالي عبد الملك الجويني^(٧)، وحجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي^(٨)، والعلامة علي بن

-
- (١) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢٨٦/٧)، و «الجواهر المضيئة» (١٦٥/٢).
(٢) انظر ترجمته في: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» للسخاوي، و «شذرات الذهب» (٢٧٠/٧).
(٣) انظر ترجمته في: «الدرر الكامنة» (٢٤٨/٢)، و «الجواهر المضيئة» (٢٧٠/١).
(٤) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٩٨/٨).
(٥) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (١١٥/٧).
(٦) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٢٧١/٤)، و «شذرات الذهب» (٢٥٩/٣).
(٧) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٤٦٨/١٨)، و «شذرات الذهب» (٣٥٨/٣).
(٨) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٣٢٢/١٩)، و «شذرات الذهب» (١٠/٤).

أبي المظفر الآمدي^(١)، والإمام فخر الدين الرازي^(٢)، وغيرهم من كبار علماء الشافعية، والعلامة جمال الدين ابن الحاجب^(٣)، والعلامة أبو إسحاق الشاطبي^(٤) من علماء المالكية، والإمام محمد بن الحسين أبو يعلى^(٥)، والعلامة ابن قدامة المقدسي^(٦) من علماء الحنبلية، مؤلفاتهم الشهيرة في علم الأصول، وسارت بها الركبان، ودرجت الأجيال على دراستها، وحفظ بعضها وشرحها عدة قرون.

وصنف الإمام علي بن محمد بن عبد الكريم فخر الإسلام البزدوي^(٧) (م ٤٨٢هـ) من علماء الحنفية كتابه المشهور بـ «أصول البزدوي»، وصنف الشيخ العلامة حسام الدين محمد بن محمد بن عمر أخسيكي الحنفي^(٨) (م ٦٤٤هـ) كتابه «المنتخب الحسامي»، وألف الشيخ العلامة كمال الدين بن همام الحنفي^(٩) (م ٨٦١هـ) كتابه المشهور «التحرير».

وتداولت الأيدي هذه الكتب، وأقبل عليها العلماء دراسة وتدریساً وشرحاً وتلخيصاً، حتى جاء الشيخ العلامة محب الله بن عبد الشكور الحنفي البهاري الهندي^(١٠) (م ١١١٩هـ) فصنّف كتابه المشهور «مسلم الثبوت»، فتهافت عليه العلماء والمؤلفون، وتناولوه بالشرح والتعليق، وقد شغل هذا الكتاب أذكى علماء البلاد وأبرعهم أكثر من قرن، وبلغ عدد شروحه وتعليقاته

-
- (١) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٧٥/٣).
 - (٢) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٣٨١/٣)، و «طبقات الشافعية» (٣٣/٥).
 - (٣) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٢٤٨/٣)، و «شذرات الذهب» (٢٣٤/٥).
 - (٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١١٨/١).
 - (٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٠٦/٣)، و «الأعلام» للزركلي (٣٣١/٦).
 - (٦) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨٨/٥).
 - (٧) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٦٠٢/١٨)، و «الجواهر المضيئة» (٥٢/٢).
 - (٨) انظر ترجمته في: «الجواهر المضيئة» (١٢٠/٢)، و «الفوائد البهية» (ص ١٨٨).
 - (٩) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١٢٧/٨)، و «شذرات الذهب» (٢٩٨/٧).
 - (١٠) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (١٥٢/٦).

التي اشتهرت بين الناس ثمانية شروح على ما جاء في كتاب «الثقافة الإسلامية في الهند» للعلامة السيد عبد الحي الحسيني، وكان ذلك طبيعياً ومعقولاً، ومما اقتضته طبيعة اختلاف المذاهب وطبيعة العلم والبحث.

إن هذه الحركة العلمية القوية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، واستمرت إلى عهد قريب، وظهرت بشكل خاص في مجال شروح الحديث وكتب التفسير وأصول الفقه، أفادت النشاط العقلي والعلمي في العالم الإسلامي إفادةً كبيرة، لأنها مخضت المكتبة الإسلامية الدينية، وغربلتها غربلة، ونخلت كتب الحديث والرجال وعلمي الأصول، للاحتجاج لما كان يراها المؤلفون وعلماء المذاهب من الآراء الفقهية من الكتاب والسنة والحديث الصحيح، وإقامة الدليل والبرهان عليه، فلم يبق جانب من جوانب الحديث النبوي وما يتصل به من علوم ومقدمات إلا وكشف عنه، ولا موضوع له نسب قريب أو بعيد بالسنة وآيات الأحكام إلا وبحث ودرس ونوقش، واستعملت العقول في ذلك إلى أقصى حدودها، فكان كل ذلك مما يعود على الشريعة الإسلامية بالنفع، وتكوّنت هذه المكتبة الدينية التي لا نظير لها في الملل والأمم.

وفي سنة ١٣٣٥هـ حين بلغ الشيخ أربعاً وستين سنة من عمره، جاء الوقت الموعود المقدر لتأليف هذا الكتاب، فذكر أمنيته القديمة التي لم تفارقه مدة حياته الدراسية والتأليفية لتلميذه الذي ظهرت عليه آثار النجابة والنبوغ، واختص بالشيخ اختصاصاً لم يكتب لغيره، وهو العالم الناهض محمد زكريا - ابن صديقه مولانا محمد يحيى الكاندهلوي - الذي تخرج من المدرسة حديثاً، وعيّن مدرساً صغيراً فيها، وذكر أنه لا يزال عنده حنين كامن لتأليف هذا الكتاب، إلا أن الأسباب لم تنهياً له، وقد وهنت قواه وضعف بصره.

وكان أكبر الاعتماد في إنجاز هذا العمل على والده العظيم الشيخ محمد يحيى الذي رزق قسطاً كبيراً من الذكاء وحسن الملكة في علم الحديث، وكان من أنجب تلاميذ الشيخ الإمام المحدث مولانا رشيد أحمد

الكنغوهي^(١)، وكان شديد التجاوب معه، عجيب التوارد في المباحث العلمية، والمسائل الغامضة الدقيقة خصوصاً في تطبيق الحديث والفقه، وبيان الحجج والدلائل للمذهب الحنفي، وقد توفي - رحمه الله - في سنة ١٣٣٤هـ، ففقد لوفاته العضد الأيمن والمساعد الأكبر، وحزن عليه حزناً شديداً لخسارة العلم ورزية صناعة التعليم فيه، وكان دائماً يشعر بمكانه الشاغر، وقال له وهو يمشي معه مرة: إذا ساعدتني أنت وزميلك حسن أحمد^(٢) في تأليف هذا الشرح فلعل ذلك يحقق أمنيته.

ولما وصل الشيخ الكبير إلى هذه النقطة من حديثه اهتزَّ له تلميذه النجيب، وصادف ذلك رغبة ملحة دفينه في نفسه في الحرص على خدمة الحديث الشريف والمثابرة عليه، والتفاني فيه، وإفناء العمر والقوى في سبيله، ولم يكن يجد لذلك سبيلاً، ولا يصدق أنه ممكن، لأنه الآن في الشوط الأول من التدريس، فمتى يصل إلى الاشتغال بكتب الحديث، وكيف تتأتى له هذه الفرصة؟ فكان قد دعا الله مخلصاً ومبتهلاً حين قرأ فاتحة الفراغ على والده وأستاذه، أن لا ينقطع عن الاشتغال بالحديث، ويظل حياته عاكفاً عليه بالتدريس والتأليف، فكأنما تكلم الشيخ على لسانه، وعبر عن جنانته، وتحقق حلمه اللذيذ الذي كان يراه بعيد المنال وضرباً من المحال، فلم يتمالك نفسه، وانفجر قائلاً: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(٣).

ولعلَّ الله أجاب دعائي وقص عليه القصة بطولها، وفرح الشيخ ودعا له بالتوفيق، وأملى أسماء كتب يُستعان بها في هذا الموضوع، وابتدأ العمل من غدٍ، وكان ذلك لليلة خلت من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف.

(١) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/١٤٨)، و «أوجز المسالك» (١/١٤٢).

(٢) كان من تلاميذ الشيخ الأذكياء المرجوين، ومات شاباً - رحمه الله -.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٠.

وكان منهج التأليف أن الشيخ كان يرشد إلى مظان الموضوع في الكتب التي جمعت، وتوجد في مكتبة المدرسة، وكان التلميذ يجمع المواد العلمية وما كتبه المتقدمون من الشراح والمؤلفين، ويقرأها على الشيخ، فيختار منها ما يستحسنه، ويملي الشرح.

واستمر العمل، والشيخ لا هم له ولا لذة إلا في هذا العمل الذي يعدّه من أعظم القربات، ومن أفضل العبادات، والتلميذ لا شغل له - إلا ساعات تمضي في دروس معدودة - إلا مطالعة الكتب وجمع المواد وعرضها على الشيخ.

ومضت على ذلك تسعة أشهر، وتم شرح الجزء الأول في سلخ ذي القعدة ١٣٣٥هـ، وكان الشيخ قد ملكته فكرة هذا التأليف وتغلغلت في أحشائه، وخالطت لحمه ودمه، وسيطرت على مشاعره وتفكيره وذوقه، حتى كان آخر ما يفكر فيه قبل النوم وأول ما يهتم به عند اليقظة، وحق له أن ينشد بلسان الشاعر الحماسي^(١):

آخر شيء أنت في كل هَجْعَة؟ وأول شيء أنت عند هبوبه
ولا يفهم ذلك إلا من أكرمه الله بالغرام بمبدأ سام ومقصد رفيع،
فكان ذلك عنده مقياس الرضا ووسيلة القرب، فبمقدار عناء الرجل في هذا
العمل وإعاقته عليه ومساهمته فيه كان حظياً عنده، وجيهاً في عينه، وقد
عرف الناس ذلك وانتفعوا به، وتقربوا إليه.

ذكرني هذا بما ذكره القاضي ابن شدّاد^(٢) عن السلطان صلاح الدين الأيوبي^(٣)، يقول: «ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً، بحيث ما كان له حديث إلا فيه،

(١) انظر: «ديوان الحماسة» (ص ١١٤).

(٢) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٣٨٣/٢٢)، و «وفيات الأعيان» (٨٤/٧).

(٣) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (١٣٩/٧).

ولا نظر إلا في آله، ولا كان له اهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد^(١).

ومن يقرأ كتب التراجم والطبقات، يرى أمثلة هذا الشغف والاستغراق عند كثير من العلماء والمؤلفين والعظماء والمصلحين في مشاربهم وأذواقهم.

وإذا استولى هذا الحب على إنسان، وجرى منه مجرى الروح والدم أتى بالعجائب، وكان مصدر إلهام وتوجيه، وقد وقع للشيخ بعض حوادث غريبة، فمنها أنه رأى مرة فيما يرى النائم كأن مُنْبَهًا يُنَبِّهُهُ على خطأ في هذا الشرح، وقد فرغ منه، فلما استيقظ دعا تلميذه الشيخ محمد زكريا، وأخبره بهذه الرؤيا، ولما راجع هذا المقام وجد أن فيه خطأ فأصلحه.

وكان العمل قائماً على قدم وساق، وكان الشيخ منصرفاً إليه بقلبه وقالبه، وتلميذه مقبلاً عليه بجميع قواه ومواهبه، إذ عرضت للشيخ رحلة إلى الربوع المقدسة مهبط الوحي ومدرسة الحديث الأولى، وأبدى التلميذ - بما رأى من حرص الشيخ على إتمام هذا الكتاب مع ضعفه وعلوّ سنّه - رغبته في المرافقة، فقبلها الشيخ مسروراً، وأملَ في تمام هذا العمل، وتوجَّها على بركة الله إلى الحرمين الشريفين، وذلك في شهر شوال سنة ١٣٤٤هـ. ولم يزالا مكبين على إتمام هذا الشرح، منقطعين إليه، لا يتخللهما إلا العبادة والفرائض الدينية والأمر الطبيعية.

وكان الشيخ له دعوات ثلاث، وأماني عزيزة، لا تعدل بها أمنية، أولاهما: أن تقوم في الحجاز حكومة إسلامية مستقرة، ويسود في ظلها الأمن والسلام وتستقر الأمور، والثانية: إكمال «بذل المجهود»، والثالثة:

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» (ص ١٦).

أن يوافيه الوقت الموعود في مدينة الرسول ويدفن في البقيع . وقد أجاب الله دعواته الثلاث التي دعا بها على الملتمزم ، وحقق هذه الأمناني كلها .

ولثمان بقين من شعبان - ٢١ شعبان - سنة ١٣٤٥ هـ تحققت أمنيته الكبرى التي غداها بدم قلبه فتم الشرح ، وقد كانت مدة تأليفه عشر سنوات وخمسة أشهر ، وزادت عليها عشرة أيام ، وتم الكتاب في خمسة مجلدات كبار وفي ألفين من الصفحات بالقطع الكبير ، فكان له يوم عيد ، بل يوم ما جاء عليه يوم هو أكثر فرحاً وسروراً فيه من هذا اليوم ، فعين يوماً (وهو يوم الجمعة ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ) لضيافة علماء المدينة وأحبته وأصدقائه ، شكراً لله تعالى وإبداءً لسروره وفرحه ، وصنع طعاماً كثيراً على طريقة أهل الحجاز ، وأخبر تلاميذه ومريديه وأحبته في الهند بهذا الموعود المبارك ليشاركوه في السرور والشكر .

وقد وهب للمدرسة - مظاهر علوم - حقوق هذا الكتاب تنتفع به وهي صاحبة الامتياز في طبعه ، وقد طبع مرتين .

وهذه هي الطبعة الثالثة بالحروف العربية للمرة الأولى ، مع زيادات وإفادات مهمة للشيخ محمد زكريا الذي كان له النصيب من أول عهد تأليف هذا الكتاب .

نسأل الله أن ينفع به طلبة العلم ، ويجعله ذخراً له في الآخرة ، وذكرأ في الدنيا ، وصدقة جارية وباقية صالحة .

خصائص هذا الشرح

وكلمة عن خصائص هذا الشرح والتزامات المؤلف التي التزمها وعُني بها عناية خاصة ، ونؤثر الإجمال والإشارة ، فإنما يعرف فضل هذا المجهود العلمي من باشر تدريس هذا الكتاب مدة طويلة ، وعرضت له مشكلات فنية .

فمنها: أن المؤلف اهتم بأقوال الإمام أبي داود صاحب الكتاب وكلامه في الرواة أو في إيضاح بعض ما ورد في الحديث اهتماماً كبيراً.

ومنها: أنه اهتم بتصحيح نسخ السنن المختلفة المنتشرة، ويراه القاريء كمثال في «باب افتتاح الصلاة» في حديث أبي حميد الساعدي.

ومنها: الاهتمام البالغ بتخريج التعليقات والفحص عنها في كتب أخرى وذكرها، وإذا لم ينجح في ذلك بعد التتبع البليغ صرح بذلك في غير تردد.

ومنها: تطبيق الروايات بالترجمة، وقد ظهرت في ذلك دقة فهمه وطول تأمله، وحيث تكررت الأبواب دفع ذلك وذكر حكمة هذا التكرار، ونضرب له مثلاً «باب صفايا رسول الله ﷺ من الأموال»، و «باب سهم الصفي»، فليراجع في كتاب الخراج والفيء والإمارة.

ومنها: أنه حكم في ما اختلف فيه الشُّراح بما شرح الله له صدره، وفتح عليه، وتكلم بكلامٍ فصلٍ يثلج الصدر ويحلّ العقدة.

ومنها: أن أكثر الكتب التي ألفت في الهند في شرح كتب الحديث، أو في إثبات المذهب الحنفي، أو في مسألة خلافية، كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوب الكلامي والاستدلال العقلي، وتكثر فيها اللطائف العلمية، ومع الاعتراف بقيمتها العلمية والكلامية وحسن قصد المؤلفين وعلو كعبهم في العلم يؤخذ عليها أنها لم تكن على طريقة المحدثين وشرّاح الحديث المتقدمين، ويقلُّ فيها الكلام على الرواة والجرح والتعديل وعلل الحديث وطبقاته وإلى غير ذلك من المباحث الحديثية.

ويُستثنى من ذلك كتابان من تأليف علماء المذهب الحنفي في الهند في العهد الأخير، أولهما: «كتاب المحلى شرح الموطأ»، للشيخ

سلام الله ابن شيخ الإسلام الدهلوي الرامفوري^(١) (م ١٢٢٩ هـ أو ١٢٣٣ هـ)،
وثانيهما: «آثار السنن» و «التعليق الحسن على آثار السنن»^(٢) للشيخ العلامة
ظهر حسن النيموي البهاري الهندي^(٣) (م ١٣٢٩ هـ).

أمّا هذا الشرح فيمتاز بأنه كتب على نهج المشتغلين بالحديث
والباحثين فيه وكبار الشراح الذين تلقّت الأمة شروحهم بقبول عام، وانتفع
بها طلبة العلم في كل عصر، واشتمل على بحوث قيمة في أسماء الرجال
وأصول الحديث، وعارض مؤلفه الحجة بالحجة، وكان كلامه في أكثر
الأحيان محدوداً في صناعة الحديث ومتعلقاتها من الفنون.

وقد استفاد المؤلف في هذا الشرح بتحقيقات شيخه الإمام المحدث
مولانا رشيد أحمد الكنگوهي التي جاءت في دروسه، وضبطها وقيدتها
تلميذه النابغة الشيخ محمد يحيى، وكان من خصائصه أنه يتحرز بقدر
الإمكان عن نسبة الخطأ إلى الراوي، وإذا التجأ إليه الشراح ولم يروا من
ذلك بدءاً فضّل الشيخ العلامة تأويل ذلك بما يُسيغه الفهم، ويقبله العاقل
المنصف.

ومثال ذلك الرواية التي جاء فيها وضع الخاتم، فقد ذهب جميع
المحدثين إلى أنه وهم من الزهري، ولكن مؤلف «بذل المجهود» أوّل ذلك
تأويلاً حسناً، وهو مقتبس من كلام الشيخ الكنگوهي، فليراجع ذلك في
«باب الخاتم يكون فيه ذكر الله تعالى» في كتاب الطهارة.

ومنها: لطائف الاستنباط التي احتوى عليها هذا الشرح ويراها
القارئ منشورة في ثانيا هذا الكتاب.

(١) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٧/٢٠١).

(٢) مع الأسف أن الكتاب وصل من أول أبواب الطهارة إلى آخر أبواب الصلاة،
ولو تم لكان عملاً جليلاً، وقد طبع هذا الكتاب مراراً في الهند وباكستان.

(٣) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/٢٠٦).

ومن المباحث اللطيفة التي ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف واطلاعه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة، ويزول بكلامه اختلاف الروايات.

وكذلك من محاسن الكتاب ومن مواضع المهمة التي ظهر فيها جهد المؤلف وإمعانه: أحاديث الفتن والملاحم، وقد اجتهد في تعيين هذه الفتن التي أشير إليها في هذه الأحاديث، واهتم بترجيح الراجح، وعين بعضها باجتهاده واستقصائه، ويرى القارئ مثاله في شرح كلام قتادة حيث جاء في الكتاب: «وكان قتادة يضعه على الردة التي في زمن أبي بكر على أقضاء، يقول: «قذى وهُدنة»، يقول: صلح على دخن: على ضغائن».

وقد أشار في شرح حديثه إلى فتنة الشريف حسين بن علي، فليراجع ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي جاء فيه: «ثم يصطلح الناس على رجل كوركٍ على ضلع»^(١)، وذكر ذلك في تفصيل ووضوح.

ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه في البحث والتأمل، ولا يغلب عليه التواضع والتردد، فيبعث هذا الجزم والثقة واليقين في نفس القارئ، وهذا من سياسة التعليم وحكمة التربية ومن محاسن الشرح.

وقد يتردد الشارح في صحة لفظ ورد في حديث، فيجتهد في تحقيقه اجتهداً بالغاً ولا يدخر جهداً.

ويرى القارئ نموذج ذلك في «باب عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون» في كتاب الجهاد، فقد ورد في متن الحديث عن علي بن أبي طالب قال: «خرج عبدان إلى رسول الله ﷺ يعني يوم الحديبية قبل الصلح» وقد أطل الشارح الكلام في وقوع القصة يوم الحديبية، وأثبت أن

(١) انظر: «بذل المجهود» كتاب الفتن والملاحم (١٢/ ٢٧٠ - ٢٧٧).

هذه القصة وقعت في غزوة الطائف، وقال: لقد تحيرت في هذه القصة التي قد وقعت في حديث «أبي داود» و «الترمذي» و «المستدرک» في الحديبية، فالظاهر أن الذي ذكر أنها وقعت في الحديبية غلط من بعض الرواة بثلاثة أوجه.

وذكر هذه الأوجه بتفصيل، وذكر أن لفظ الحديبية ليس من علي بن أبي طالب، بل من بعض الرواة، لأن في لفظ الرواية لأبي داود زاد لفظ: «يعني قبل يوم الحديبية»، فهذا يدل على أن لفظ الحديبية ليس في أصل الحديث، بل زاده بعض الرواة على ما فهم من لفظ شيخه.

ولو سُلِّمَ أن هذه القصة وقعت في الحديبية أيضاً، فالمراد بقوله: «ناس» بعض الكفار من قريش الذين كانوا موجودين هناك لا الصحابة إلى آخر كلامه، فليراجع^(١)، وهذا تحقيق شريف خلت عنه الشروح.

ونقتصر في هذه العجالة على هذه الإشارات، ونحيل القارئ الذكي إلى مطالعة أصل الكتاب بإمعان النظر، فكما قال الشاعر:

في طلعة الصبح ما يغنيك عن زحل

ونرى لزماً وحقاً علينا أن نشكر تلاميذ الشيخ العلامة مولانا محمد زكريا الكاندهلوي الذين عكفوا على خدمة هذا الكتاب بالمراجعة مع الأصول وانتساخ التعليقات ووضعها في محلها وغير ذلك، في مقدمتهم:

- الشيخ تقي الدين الندوي المظاهري أستاذ الحديث في مدرسة فلاح الدارين بتركيسر (ولاية گجرات). فقد فرغ وقته لخدمة هذا الكتاب، وعكف عليه سنة كاملة.

- والعالمان الشابان محمد عاقل، ومحمد سلمان.

- ولا ننسى فضل الزميلين العزيزين: الشيخ محمد معين الندوي،

(١) «بذل المجهود» (٩/٣٥٥).

والأستاذ سعيد الأعظمي الندوي في فكرة طبع هذا الكتاب، وإبرازه في هذا المظهر الجميل وما ذللا في طريق نشره من الصعاب وما وفقا له من مجهود مشكور، وعمل مبرور، وإخلاص موفور، والله يتولى مكافأة الجميع، ويتقبل عملهم.

ونسأل الله أن ينفع بهذا الأثر العلمي الجليل، ويُحَبِّبُ به السُنَّةَ والحديث إلى نفوس القُرَّاء، ويُلْهم العمل به، ويرفع الهمم، ويُسَحِّدَ العزائم إلى دراسته وخدمته، إنه على كل شيء قدير.

أبو الحسن علي الحسيني الندوي
رئيس دار العلوم - ندوة العلماء - لكهنؤ، الهند
١٣٩٢/٢/٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة عن «سنن أبي داود» وشرحه «بذل المجهود» في غاية الوجازة

بقلم: المحدث الكبير العلامة
الشيخ محمد يوسف الحسيني البنوري^(١)

لست أريد البحث عن الإمام أبي داود ومفاخره التي امتاز بها بين
قرنائه، ولا عن كتابه «السنن» الذي ألفه، ولا المقارنة بينه وبين الكتب
المؤلفة في هذا الموضوع، فإنه بحر لا ينزف، ومعين لا ينضب، ثم كل من
المؤلف والمؤلف أصبح كشمس في رابعة النهار، تنبعث أشعته الحمراء
الساطعة في مشارق الأرض ومغاربها فاستغنى عن البيان.

وقد مضى عليه قرون متطاولة يُثنى عليه من عهد التأليف إلى اليوم،
ولم يقصروا في الثناء الوافر العاطر، وتسابق فيه أقلام الجهابذة من كبار
المحدثين الذين يعرفون هذه الدقائق بثلج صدر، وتغلغلت فيه الكتابات إلى
أعماق البحث، لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها، فأني لمثلي أن
يُسابق بظالعه في حلبة يتسابق في رهانه كل ضليع.

(١) هو من كبار علماء الحديث في عصره، انتقل إلى جوار رحمة الله تعالى بتاريخ الثالث
من ذي القعدة سنة ١٣٩٧هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٧٧م. ومن آثاره العلمية: كتاب
«معارف السنن شرح سنن الترمذي» وغيره، وقد قام ولدي الدكتور ولي الدين الندوي
بكتابة بحث عنه، تناول فيه جوانب من أخباره وسيرته وآثاره، ونشر هذا البحث في
مجلة «الأحمدية» بدبي.

بيد أن تمهيداً لما أقوله في الشرح أضطر إلى شيء من خصائص «السنن» ومؤلفه، صفوتُ كلمات الجهابذة ولباب ثناء الصيارفة، مساهمة للسعداء لكي أنال السعادة.

وَإِذَا سَخَّرَ إِلَهُ أَنْاساً لَسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ

كلمة عن الإمام أبي داود^(١)

هو الإمام أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه، وعلمه وسنده، في أعلى درجة النسك والعفاف والصلاح والورع، من فرسان الحديث، وهو الإمام المقدم في زمانه لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصره بمواضعها أحد في زمانه.

وهو الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، ويقال: «السجزي»، نسبة غير قياسية إلى سجستان. كما في «القاموس».

وسجستان إقليم معروف بخراسان وراء الهرة جنوباً كما حققه العلماء، وليست نسبة إلى قرية «سجستان» من قرى البصرة، كما رده ابن السبكي في «طبقاته»، وياقوت الحموي في «معجمه» وغير واحد. وهو معرّب «سيستان» كما يقوله الصاغانى، وهو المعروف الجارى على الألسنة، لا كما يرجح الفيروزآبادي أنه معرب «سكستان»، ويرجح فتح السنين. انظر: «تاج الزبيدي».

وُلِدَ سنة ٢٠٢هـ، وتوفي ٢٧٥هـ بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقية من شوال، ودُفِنَ إلى جانب قبر سفيان الثوري.

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده: الذين أخرجوا وميّزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري، ومسلم، وبعدهما أبو داود، والنسائي، انتهى.

(١) جئت فيه بالكلمات التي وصفه بها الإمام أحمد الهروي وأبو بكر الخلّال.

وقال الخطيب ومَن بعده: أحد مَن رحل وطوّف وجمع وصنّف وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين، انتهى.

وقال الحافظ موسى بن إبراهيم: خلق أبو داود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة، انتهى.

وعده أبو إسحاق الشيرازي في «طبقات الفقهاء» من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، كما قال ابن خلّكان.

روى عن أحمد بن حنبل وابن معين وقتيبة بن سعيد وطبقتهم كأبي عمرو الضرير، ومسلم بن إبراهيم، والقعنبي، وابن رجاء، وأبي الوليد الطيالسي، وأحمد بن يونس، وأبي جعفر النفيلي، وسليمان بن حرب، وخلق كثير بالحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة والشعر وخراسان. كما في «طبقات الذهبي».

وعنه: الترمذي، والنسائي، وابنه أبو بكر، ومحمد بن نصر المروزي، وأبو عوانة، وأبو بشر الدولابي من أعلام الحديث وأئمة التحديث، وعلي بن الحسن بن العبد أبو علي الأنصاري، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك، وأبو سعيد بن الأعرابي، وأبو علي اللؤلؤي، وأبو بكر بن داسة، وأبو سالم محمد بن سعيد الجلودي، وأبو عمرو أحمد بن علي.

وهؤلاء السبعة الآخرون رووا عنه «سننه» كما يقوله الذهبي في «طبقاته» (١٥٣/٢).

واللؤلؤي هذا لزم أبا داود مدة طويلة يقرأ «السنن» للناس، كما قاله ابن العماد في «الشذرات» (٢٣٤/٢).

وإنَّ أبا الحسن علي بن الحسن بن العبد سمع كتاب «السنن» على أبي داود ست مرّات، كما في آخر نسخة عبد الغني المقدسي بخطه في الآستانة كما يحكيه الكوثري. وأيضاً في روايته زيادات في الكلام على الرجال، كما يقوله الحافظ ابن حجر.

وأيضاً يرويه عنه أبو إسحاق الرملي . نسبة إلى رَمْلَة فلسطين أو محلة
بسرخس كما في «غاية المقصود» .

وتختلف النسخ والروايات كما فصله الكوثري في رسالته المتعلقة
برسالة أبي داود .

ويقول بعض الأئمة كما حكاه الذهبي وقبله الخطيب وبعده ابن كثير
وغیره : كان أبو داود يُشَبَّه بأحمد بن حنبل في هُذْيِهِ وَدَلُّهُ وَسَمْتُهُ ، وكان
أحمد يُشَبَّه بوكيع ، ووكيع بسفيان الثوري ، وسفيان بمنصور ، ومنصور
بإبراهيم النخعي ، وإبراهيم بعلقمة ، وعلقمة بعبد الله بن مسعود ، وابن مسعود
بالنبي ﷺ في هُذْيِهِ وَدَلُّهُ .

وقد سمع منه الإمام أحمد بن حنبل شيخه حديث العتيرة : أنَّ
رسول الله ﷺ سُئِلَ عن العتيرة فحَسَّنَهَا . قال ابن أبي داود : قال أبي :
فذكرته لأحمد بن حنبل فاستحسنه ، وقال : هذا حديث غريب ، وقال لي :
اقعد ، فدخل فأخرج محبرة وقلماً وورقة وقال : أُمِّلْهُ عَلَيَّ ، فكتبه عني . كما
في «تاريخ الخطيب» (٥٧/٩) .

وهذا هو حديث العتيرة الذي رواه عنه أحمد ، لا ما فهمه محمود
السبكي في «المنهل العذب المورود» - ولعله لم يقف على كلام الخطيب -
فقال : وهو حديث «لا فرع ولا عتيرة» ، ما رواه أحمد والبخاري ومسلم ،
فتنبه .

وكفى بهذه المفاخر مفخرة للإمام علم الإسلام عن أعيان جهابذة
الأمة - فرحمه الله ورضي عنه - .

التعريف بكتاب «السنن» له

١ - قال زكريا - وهو الإمام أبو يحيى بن يحيى الساجي محدث
البصرة - : كتاب الله أصل الإسلام ، و «سنن أبي داود» عهد الإسلام ،
انتهى . حكاه الذهبي في «الطبقات» (١٥٤/٢) .

٢ - قال الخطابي أول شارح لـ «سننه»^(١) : إنّ كتاب «السنن» لأبي داود كتاب شريف، لم يصنف في الدين كتاب مثله، وقد رزق القبول من كافة الناس، فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء، فلكل فيه ورد ومنه شرب، وعليه معول أهل العراق ومصر وبلاد المغرب وكثير من أقطار الأرض، وهو أحسن رصفاً وأكثر فقهاً من «الصحيحين»، والحديث منه صحيح وحسن، وكتاب أبي داود جامع لهما... إلخ.

٣ - لما صنّفه وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه. كما في «تاريخ الخطيب» وغيره.

٤ - يقول الذهبي في «سير النبلاء»^(٢) : وهو أوفى كتاب في أحاديث الأحكام المسندة، وشرط أحاديثها أخرجه الشيخان، وهو أعلى ما أخرجه، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين ورغب عنه الآخر، [ثم يليه ما رغب عنه، وكان إسناده جيّداً]، ثم يليه ما كان إسناده صالحاً وقبله العلماء، ثم يليه ما ضعف إسناده... إلى آخر ما قاله الذهبي في «سير النبلاء» كما حكاه الكوثري.

٥ - يقول ابن الأعرابي : إن حصل لأحد علم كتاب الله و «سنن أبي داود» يكفيه ذلك في مقدمات الدين. ويقول : لو أنّ رجلاً لم يكن عنده من العلم إلّا المصحف و ثم كتاب أبي داود لم يحتج معهما إلى شيء من العلم، انتهى.

٦ - ويقول الإمام حجة الإسلام الغزالي كما يحكيه ابن كثير : يكفي للمجتهد معرفته من الأحاديث النبوية، انتهى.

٧ - وأوفى ما قاله هو نفسه في كتابه - وأهل مكة أدرى بشعابها -

(١) انظر : «مختصر سنن أبي داود» مع «معالم السنن» (١/١٢).

(٢) انظر : (٢١٤/١٣).

وهناك ما نلتقطه من كلماته عن بعض رواته، وما في رسالته إلى أهل مكة، وهي رسالة لا يستغني عنها باحث في مراتب أحاديث كتاب أبي داود كما يقوله شيخنا الكوثري، فيقول:

ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب.

ويقول: والأحاديث التي وضعتها في كتاب «السنن» أكثرها مشاهير.

ويقول: وإن من الأحاديث في كتاب «السنن» ما ليس بمتصل، وهو مرسل ومدلس، وهو إذا لم توجد الصحاح عند خاصة أهل الحديث على معنى أنه متصل، إلى أن قال: وأما ما في كتاب السنن من هذا النحو فقليل.

ويقول أبو بكر بن داسة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، وانتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب «السنن» جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه... إلخ. حكاه الخطيب في «تاريخه».

ويزيد عليه أبو داود نفسه في رسالته إلى أهل مكة: «ونحو ستمائة حديث من المراسيل...» إلخ.

ويقول في رسالته: «ولم أكتب في الباب إلا حديثاً أو حديثين وإن كان في الباب أحاديث صحاح لأنه يكثر، وإنما أردت قرب منفعة».

ويقول: «ليس في كتاب «السنن» الذي صنّفته عن رجل متروك الحديث شيء، وإذا كان فيه حديث بيّن أنه منكر»، انتهى.

قال الراقم: ويقول الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» - كما حكاه الكوثري -: مراده أنه لم يخرج لمتروك الحديث عنده على ما ظهر له، أو لمتروك متفق على تركه، فإنه قد أخرج لمن قد قيل فيه: إنه متروك... إلخ.

يقول الراقم: وربما انتقى من روايته، فليس كل متروك يروي دائماً متروكاً، أو يكون جميع ما يرويه متروكاً دائماً، وربما يروي ما يكون صحيحاً أو على الأقل متحتملاً. وهناك نظائر، إن كثيراً من المحدثين ربما يختارون وينتقون من روايات الضعيف ما يتحمل على حسب أذواقهم وبصائرهم، وبصيرتهم تفصل بين الضعيف وغيره، وليس المدار دائماً على الراوي، وإنما دخل في البين الذوق والبصيرة والقرائن والشواهد وما إلى ذلك. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ويقول أبو داود: وليس ثلث هذه الكتب (أي الكتب في السنن) فيما أحسبه في كتب جميعهم أعني مصنفات مالك بن أنس وحماد بن سلمة وعبد الرزاق.

وقال: ولا أعرف أحداً جمع على الاستقصاء غيري.

ويقول: ولم أصنف في كتاب «السنن» إلا الأحكام، ولم أصنف كتب «الزهد» و «فضائل الأعمال» وغيرها، فهذه الأربعة الآلاف والثمانمائة كلها في الأحكام، انتهى.

* فقد تلخص من كلمات الإمام أبي داود وغيره أمور:

الأول: أن كتاب «السنن» يحوي خمسة آلاف حديث من المرفوعات إلا مائتين، منتخبة من خمسمائة ألف حديث، وبضم المراسيل الستمائة يكون ما تضمنه ٥٤٠٠ حديثاً.

الثاني: أنه لا يُضاهيه كتاب في أحاديث الأحكام في كثرة الجمع، لا كتاب مالك ولا كتاب سفيان ولا كتاب حماد وغيرهم.

الثالث: أن هذا الكتاب وحده أكثر جمعاً من سائر الكتب المؤلفة في الأحكام، بل ثلثه يفوق على تلك الكتب كلها.

الرابع: أن شطر الكتاب اتفق الشيخان أو أحدهما على تخريجه.

الخامس: أن ثلثي الكتاب أحاديث صحاح، وما عداها حسان وضعاف ضعفاً يسيراً.

السادس: أن كتابه أكثر فقهاً من كتاب البخاري، وأن مؤلفه فاق جميع أرباب الصّحاح تفقُّهاً.

السابع: أنه أوفى كتاب في أحاديث الأحكام، ولا يحتاج أحد بعده إلى كتاب غيره في الأحاديث المتعلقة بمذاهب الفقهاء والأئمة، اللهم إلا أن يكون كتاب «شرح معاني الآثار» للإمام أبي جعفر الطحاوي نابغة عصره في الحديث والفقه والتوحيد ومشكلات الآثار. ومن أجل هذا تراه من أنفع كتب الحديث لمن يُعنى بأحاديث الأحكام في الحلال والحرام.

ولذا ترى الإمام أبا بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص عظيم الاهتمام به وجيّد الاستحضار لأحاديثه، خاصة في شرحه على نسختي «الجامع الكبير» وشرحيه على «مختصر الطحاوي» و«مختصر الكرخي» وفي «أحكام القرآن» وغيرها من مؤلفاته، بحيث تجد أحاديثه على طرف لسانه يسوقها بسنده كلما لزم مع سعة دائرة روايته في أحاديث الأحكام من سائر دواوين الحديث، قاله الكوثري.

وأرى في هذا القدر كفاية للباحث الخبير.

كلمة في المؤلف الإمام وخصائص شرحه

إنّ هذه الأمة المحمّدية تباهي بأفرادها وأفذاذها دائماً، لا يخلو قرن من القرون الإسلامية إلا ونجد هناك رجالاً من علمائها وصالحيتها تباهي بهم الملائكة، كلّ منهم إمام أمة يُدعى في ملكوت السماوات عظيمًا تفتخر به أهل السماء وأهل الأرض، وكل عصر من العصور الإسلامية، وكل بلد من البلاد الإسلامية تجد هناك منهم رجالاً، فحيناً تظهر عبقريتهم في حقائق إلهية، وحيناً في العلوم النبوية، وحيناً في العلوم الإسلامية، وتارة في عبادة وتقوى وخشية إلهية، وتارة في ورع وزهد وتعب ونصب وترك الشهوات

والمليذات، وتارة في إصلاح نفوس وتزكية قلوب وتربية أرواح، ومرة في حبّ جهاد ونشر دعوة في ربوع العالم وأقطار البسيطة، ومرة أخرى في إيثار وحبّ خمول واستقامة ومواجهيد عرفانية وذوقية من علوم العرفاء، وحيناً في تدريس وتأليف ووعظ وإرشاد، وحيناً تجتمع فضائل من هذه الخصائل المتضادة في بعض أفرادها، وما إلى ذلك من كمالات علمية وعرفانية يتلأأ فيها النبوغ الخارق والعبقرية الفذة، وتتجلّى فيهم كمالات النبوة ووراثتها وإن لم يكونوا أنبياء.

وهناك نشاهد ما قاله ﷺ: «مثل أمّتي كالمطر لا يُدرى أوله خير أم آخره^(١)»، فلكون هؤلاء الأفذاذ أصبحوا منابع للخير والرشد كأنه وقع الذهول عن أول الأمة وبركاتها وخيراتها فجاء هذا التعبير، وإن كان أول هذه الأمة أبرّها قلوباً وأعمقها علوماً وأقربهم إلى الله زلفى.

ويحدّثنا التاريخ أنّ هذه البلاد الهندية وإن كان حظّها ضئيلاً في نشأة الأمر في الرجال والأفذاذ، ولكن يرى أنّ سحُب الرّحمة الإلهية قد جادت من أوّل الألف الثاني جوداً غزيراً، فنشأت شخصيات وعبقريات لا يُماثلها في البلاد الإسلامية الأخرى.

فالإمام الرّبّاني الشيخ أحمد السرهندي، وأنجاله البررة الأتقياء وخلفاؤه الأصفياء، ثم الشيخ الشاه وليّ الله الدهلوي وأنجاله، خصوصاً: الحجّة عبد العزيز الإمام، وابن أخيه الشيخ إسماعيل الشهيد، وشيخه السيد أحمد البريلوي الشهيد، ثم قطب العصر الحاج إمداد الله التهانوي المهاجر المكي، والشيخ الحجة محمد قاسم النانوتوي، ومحدّث هذه العصور وفقّيهها الشيخ رشيد أحمد الكنگوهي، ورجالات من النابغين في: «كاندهلة»، و«ديوبند»، و«تهانه بهون»، و«سهارنفور»، و«كنگوه»، نبغوا في هذه العصور الأخيرة فأصبحوا محلّ إعجاب وتقدير

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/٢٧٦) رقم (١٣٤٩) وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٠/٢٥٢).

للأمة الإسلامية، وقد نفع الله الأمة بأنفاسهم القدسية الطاهرة علماً وعملاً، ظاهراً وباطناً.

وأرى أنَّ الشيخ المحدث الفقيه الأصولي الشيخ خليل أحمد بن مجيد علي الأنصاري شارح «سنن أبي داود» كان من هؤلاء النوابغ في عصره، تلقى مبادئ العلوم ثم العلوم النقلية والعقلية من المشايخ الذين كانوا غرر عصرهم، وكانوا كشامة في محيّا الدهر من علماء وفقهاء ومحدثين ربّانيين أصفياء أرباب الثّقى والإخلاص، كالشيخ يعقوب بن مملوك العلي النانوتوي، والشيخ محمد مظهر النانوتوي، والشيخ فيض الحسن السهارنفوري وغيرهم من مشايخ ديوبند وسهارنفور.

واستجاز في رحلاته عن مشايخ الحرمين ك: الشيخ عبد الغني الفاروقي العمري المجددي، والشيخ أحمد زيني دحلان، والشيخ السيد أحمد البرزنجي وغيرهم. وفاز بإجازة إرشاد ولبس الخرقة من حضرة العارف المحقق الشيخ إمداد الله التهانوي ثم المكي - قدس الله سرّه -، وألبسه عمامته إشارة إلى خلافته وكونه أهلاً لنيابته هداية وإرشاداً. فترعرع شاباً فاضلاً يُشار إليه بالأصابع في إبان شبابه وريعان عمره.

ثم بايع على يد قطب عصره^(١)، فقيه هذه الأمة بعصره، لم يأت بعد حجة العصر الشاه عبد العزيز الدهلوي ابن الشاه وليّ الله الدهلوي مثله في الجمع بين علوم الظاهر والباطن وتفقه النفس والتفاني في اتباع السُنّة وترويجها، وإماتة البدع المنكرة، ومن وُضع له القبول في الأرض بعد ما وُضع له القبول في ملائكة السماوات، وجابّ العقبات، وارتاض بالمجاهدات، وبأذكار وأشغال على طريقة أهلها، فوصل إلى ما وصل من معارف إلهية ومواجد عرفانية، فجمع إلى كمالاته العلمية هذه المزايا العرفانية.

(١) هو الإمام المحدث العالم الرباني الشيخ رشيد أحمد الكنگوهي المتوفى سنة ١٣٢٣هـ.

فكسته بيعة الشيخ وصحبته وتوجّهاته الروحية القلبية أنفاساً نقيّةً وأخلاقاً زكيّةً وأعمالاً رضيّةً وإخلاصاً عظيماً، حتى أصبح عارفاً بعد ما كان عالماً، وأصبح خير خلف لسلفه في إخلاص وتقوى ورد بدع ونشر سنّة.

وبقي عاكفاً على تدريس علوم شتّى في شتّى المراكز العلمية في «بهوفال»، و«سكندرآباد»، و«بهاولفور»، و«بريلي»، ثم «ديوبند»، ثم «سهارنפור» نحو خمسين عاماً، يدرّس ويؤلّف ويرشد ويخدم العلم والدين بشتّى الوسائل، فأصبح عالماً عارفاً فقيهاً محدّثاً.

وكان وسيم الطلعة جميل المحيّا، يملأ العين جمالاً والقلب سروراً، وكان لطيف الروح خفيف الجسم ربعاً من الرجال خفيف اللحية.

قد تشرّفتُ بزيارته المغتبطة نحو ساعة في مجلس بـ «ديوبند» حينما زار «ديوبند» مستودعاً الشيخ الحافظ أحمد ابن الشيخ القاسم النانوتوي والشيخ حبيب الرحمن الديوبندي قبل رحلته الأخيرة إلى الحرمين الشريفين، وتشرّفتُ بالمصافحة وتقبيل يديه الكريمتين، وكأنّ الشيخ ماثل أمامي أنظر إليه بعينيّ، وذلك في شعبان سنة ١٣٤٤هـ قبل خمسين عاماً إلّا عاماً.

فقد جمع الله سبحانه مع هذا الجمال الظاهر جمال الباطن، وجمع له مع علوم الظاهر علوم الباطن مع توفيق إلهي دائم مستمرّ بإخلاص ونشاط، حتى كان آخر حياته المباركة في خير بقاع الأرض «طيبة النبي» - عليه صلوات الله وسلامه -، وهناك توفي رحمه الله في ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ عن سبع وسبعين سنة، ودُفِنَ بالبقيع في جوار سيّدنا ذي النورين عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - بجانب شيخه الشيخ عبد الغني المجددي المهاجر المدني.

فجاز بحياة طيّبة ملؤها علم ودين ومعرفة وإرشاد، تدريس وتأليف، أذكار وأشغال، وذبت عن الدين وإحياء للسُنّة وإماتة للبدع، وغضب في الله وحمية دينية لله، لا يخاف في الله لومة لائم، مجتهداً في خدمة العلم والدين بطرف غير نائم وفكر مستمر دائم.

فجزاه الله عنا وعن سائر أهل العلم خير ما جزى عباده المحسنين والعلماء الربانيين .

ويكفي نباهة لمثله بما أثنى عليه مثل شيخه القطب الرباني فقيه هذه الأمة وحكيمها ، وعارف هذه الملة وزعيمها الشيخ رشيد أحمد الكنگوهي المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ - قدس الله سره - في «مكاتبه» ، ما ترجمته بالعربية :

«المولوي خليل أحمد - مد الله فيوضهم - :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وصل خطابكم وكشف أحوالكم ، إنَّ تلك الواردات - القلبية الغيبية - من الإنابة إلى الله من بواعث الفرح والسرور ، تستوجب حمد الله سبحانه ، فإنها أكبر نعمة ، وآلاف آلاف من نعم الدنيا لا تعدل جناح بعوضة في مقابلة هذه النعمة ، وهذه الحالة مفخرة لي ومن بواعث الحمد والشكر .

وإني وإن كنت محروماً عن مثل هذه العطايا والمزايا ولكن - والحمد لله - أنَّ أحبابي تواترت عليهم أمثال هذه العطيات الإلهية ، وأتمثل بيت من الفارسية ما معناه :

أحب أن آخذ شعرة من رأسك معي في القبر لكي أستظل بها يوم القيامة . . . والسلام» . (مكاتب رشيدية ص ٤٠ رقم ٤٣) .

وكتب مرة :

«وصل خطابكم ، وذكرني عهد الوداد ، إني أراكم ذخيرة خيرات ، فلا أنساكم أبداً ، ولستم ممن ينسون ، وأرجو دعواتكم ، والسلام» . (مكاتب رشيدية ص ٣٨ رقم ٤٠) .

فيا سبحان الله ! إمام كبير وشيخ عظيم مثل القطب الكنگوهي يخاطبه بهذه الطيبة ، ليست هي من رجل عامي أو شاعر إسلامي يكون من دأبه المبالغة والإطراء ، ولا من صاحب له يشني على شيخه ، ولا من مسترشد

يطريه، وإنما هو ممّن بلغ في كمالاته الذروة العليا، لا يضاهيه عالم من معاصريه في علمه وتقواه، ومن شرح الله صدره بنوره وتجلّى على قلبه بالإرشادات الغيبية.

وكما أنشد شيخنا إمام العصر مولانا الشيخ محمد أنور شاه الكشميري - رحمه الله - في قصيدة طويلة في مناقبه ومفاخره:

وَنُورٌ مُسْتَبِينٌ كَالنَّهَارِ	إِمَامٌ قَدَوَةٌ عَدْلٌ أَمِينٌ
كَصَبَحٍ مُسْتَنِيرٍ هَدَى سَارِ	فَقِيهٌ حَافِظٌ عِلْمٌ شَهِيرٌ
وَأُضْحَى فِي الرِّوَايَةِ كَالْمَدَارِ	إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى حَفْظاً وَفَقْهاً
وَفِي الْأَخْبَارِ عَمْدَةٌ كُلُّ قَارِي	فَفِي التَّحْدِيثِ رَحْلَةٌ كُلُّ رَاوٍ
وَكُوْثَرُ عِلْمِهِ بِالْخَيْرِ جَارِي	فَقِيهِ النَّفْسِ مَجْتَهِدٌ مَطَاعٌ
وَإِذَا وَضَحَ النَّهَارُ فَلَا تَمَارِ	وَأَحْيَا سَنَةً كَانَتْ أُمِيتَتْ
مُنِيرًا دَارِئًا حَلَكَ التَّوَارِي	وَأَصْبَحَ فِي الْوَرَى صَدْرًا وَبَدْرًا
كَرْفَعِ الْمَفْرَدِ الْعِلْمَ الْمَنَارِ	وَأَصْبَحَ مَفْرَدًا عِلْمًا رَفِيعًا
طَرَّازُ زَمَانِهِ مِثْلُ النُّضَارِ	وَعَرَّةُ دَهْرِهِ عِلْمًا وَدِينًا
فَفَرْدٌ فِيهِ لَا أَحَدٌ يَجَارِي	وَأَمَّا فَضْلُهُ ذَوْقًا وَحَالًا
وَحَاتِمُ عَصْرِهِ عِنْدَ امْتِيَارِ	فُضِّلَ زَمَانُهُ وَرِعًا وَزَهْدًا

كلمة في شرح سنن أبي داود

قد ظهر ممّا بثنا خصائص «سنن أبي داود» ومكانته بين الأُمّهات الست، واحتواءه على أحاديث الأحكام، وكونه أوفى كتاب في الموضوع، ولا ريب أنّ الأُمّهات الست القدر المشترك في الجميع شرح الأحاديث وشرح كلام النبوة، غير أنّ كتابين منها يختصّان بمشكلات كتابية خاصة ليست هي في آخر، الأول: «صحيح البخاري»، والثاني: «سنن أبي داود».

ففي الأول: الأَعْنَى والأَهَمُّ شرح التراجم وبيان أغراض الإمام في ما أودعه من العلوم في تراجم الأبواب، ووضع تراجم خاصة لم يتعرّض لمثلها المحدثون في كتبهم قاطبة، ولا تقلّ هذه المشكلات عن شرح الأحاديث، وربما يصرف أكثر جهود الشارحين والمدرّسين في بيانها وتفهمها، وقد تضاربت الأقوال والأبحاث من أقدم العصور إلى اليوم، ولا يزال كثير منها إلى اليوم روضاً أنفياً لم يرتع في حماه أحد، ولم تطمئن القلوب الصادية بالبيان الشافي، ولم تشف غلة الباحث.

وهكذا الثاني: فيه من أغراض الإمام المؤلف في تعليقاته وبيانها الشافي وتخريجها، فتراجم الإمام في الأبواب وإن كانت واضحة غير أنّ أغراضها في تعليقاته ربما تخفى وتحتاج إلى بحث وكشف، وأبواب الاستحاضة أشدّ إغلاقاً وأكثر إشكالاً من جهة غرض المؤلف، ولا يزال قدر كثير منها في خفاء وغموض ودقّة، قلّ من ينتهض بأعبائها بما يشفي الغليل، فلا ريب أنّ كمال كل شرح إنما يبدو في حل تلك المشكلات وبيان تلك المعضلات.

فأقدم شرح وأول شرح هو «معالم السنن» للإمام الخطابي وبينه وبين أبي داود نحو ثمانين عاماً، فقد شرح الأحاديث شرحاً فقهياً لا حديثياً، وإن كان أبرع شرح من جهة المسائل الفقهية وأعلاها، فإنه لم يتعرّض لحلّ التعليقات بما تحتاج إليه الأجيال المتأخّرة، وكل شرح له خصائص لا تغني عن الآخر.

وشروح المتأخّرين من أهل الهند فيها فوائد، ولكن من جهة الحلّ الصائب المقنع لا تسمن ولا تغني من جوع.

وأحسن شرح في كثير من الجهات هو كتاب: «المنهل العذب المورود»، للشيخ محمود الخطّاب - رحمه الله - من أهل العصر، ولكن

سرعان ما تغيّرت خطّته في الجزء الثاني والثالث، فلم يكن على منوال واحد، ثم لم يتمّ، ومن قام لتكملته وهو ابنه لم يفر فريه.

و «غاية المقصود» من شروح الهند، ولم يؤلف منه إلا جزء واحد، ولو تم لكان شرحاً جيّداً لولا ما فيه من إساءة أدب بأئمة الدّين.

و «عون المعبود» مع عدم إصابته في كثير من المشكلات نصب عينيه الردّ على الحنفيّة.

و «أنوار المحمود» يا ليت لو لم ينسبه إلى الاستفادة من الأكابر، ففيه من المغامز، وقد أساء بنسبه إلى إمام العصر الشيخ محمد أنور شاه - رحمه الله -.

ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثري^(١) شيخي بالإجازة والإفادة: ومن أحسن الشروح لـ «سنن أبي داود»: شرح الشهاب ابن رسلان أحمد بن محمد المقدسي تلميذ المزي. ويقول: هو محفوظ في مكتبة (لاله لي) في الأستانة في أربعة مجلّدات تحت رقم (٤٩٨ - ٥٠١). ويقول: وفي شروح المتأخّرين مجازفات توجب التحريّ البالغ والتحرّز الشديد، انتهى.

وشرح ابن رسلان كان قد تيسّرت نسخته لصاحب «بذل المجهود» بالمدينة بعد إنجازهِ الشرح، فاشتراه وأرسله إلى مكتبة «مظاهر العلوم» «سهارنفور»، ولا أدري هل هو نسخة كاملة أو ناقصة^(٢)؟ وهل هو نسخة جيّدة أو غير جيّدة؟ ولست أريد المقارنة ولا التنبيه على أقدائها، إنما أقول: كانت هناك فجوة لحلّ أبي داود وأغراضه وشرح كل حديث لفظاً لفظاً.

(١) انظر: «مقدمات الإمام الكوثري» (ص ٣٨٧).

(٢) قلت: وصلت إلى باب في الخرص.

فقام الإمام الشيخ خليل أحمد الأنصاري نزيل المدينة المنورة - زاده الله نوراً -، فسدّ هذا الفراغ، وملاً هذه الفجوة، وجاء بشرح يحتاج إليه كلّ من حاول تدريس الكتاب من حلّ الأغراض، وشرح الألفاظ، واستنباط فقه الحديث من مواضعه، والكلام الملخص المنقّح في الرجال، وشرح المتن بما تقرّ به العيون.

ومن أعظم خصائص هذا الشرح إيراد توجيهات صدرية انشرح لها صدر مثل الشيخ الكنگوهي، فإنّ الله سبحانه قد خصّه بنور في قلبه كانت تنقشع به ظلمات حلّت في البين من مقاصد المؤلف، أو كانت مشكلة من جهة أغراض المشار في الحديث، ولولا مخافة طول البحث لجئت بغرر النقول في الأبحاث المشكلة من كل ناحية من شرح الأحاديث، أو غرض المؤلف، حتّى تنجلي مكانته العليا.

ويقول شيخنا إمام العصر مولانا محمد أنور شاه الكشميري، محدّث هذه العصور ونابغتها، في التقريظ على هذا الشرح ما لفظه: «وإنّ كتاب «السنن» للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجزي - رحمه الله تعالى - ثالث الكتب الستّة، ولا تخفى رتبته ودرجته في الحديث في القديم والحديث، لم يطبع إلى الآن تعليق عليه وافٍ، وبحلّه وحقّه كافٍ، وقد وجّه الله تعالى المولى العلامة العارف الفقيه المحدّث، شيخنا وشيخ الفقه والحديث، مسند الوقت مولانا خليل أحمد السهارنفوري، خليفة شيخنا وشيخ مشايخنا مولانا رشيد أحمد الكنگوهي - رحمه الله تعالى - لخدمته، فوقّى كلّ حقّ لها.

شَفَى وَكَفَى مَا فِي الصُّدُورِ فَلَمْ يَدَعْ لِيْ إِرْبَةً فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزَلًا

فشرح المتن وأقوال المصنف، وقد كانت مستورة فجلاًها، وصعبة فسّهّلها وألأنها، كما ألين لأبي داود الحديث، وضبط التراجم، وميّز بين المفترق والمتّفق، وبين المؤتلف والمختلف، واستخرج الفقه ووجه

لأصحابنا الحنفية، فجاء تعليقاً يشرح الصدور وينور القلوب، ويكون وديعة له عند الله تعالى، ومنة في رقاب الناس، وصنيعة إلى العلماء، جزاه الله تعالى عنا وعن سائر المسلمين».

وبالجملة نلخص القول في شيء من خصائصه:

أما أولاً: فإنه شرح ممزوج، فالكتاب ينتفع به التلميذ والشيخ، والغبي والذكي في آنٍ واحد.

أما ثانياً: فإنه لخص البيان في رجال الإسناد من «تهذيب التهذيب» و «الميزان» وغيرهما حتى يتلأأ أمام الباحث حال الإسناد.

أما ثالثاً: فإنه جاء بالضبط للأسماء في كل مؤلف ومختلف لكي يزول الاشتباه للناظر.

أما رابعاً: فإنه شرح المتن شرحاً وافياً بالمقصود، فإن كانت هناك رواية أوضح منه في «الصحيح» أو «السنن» يذكره أو يشير إليه.

أما خامساً: فإنه يستوفي بيان المذاهب من مصادر موثوقة مع أدلتها، وكثيراً ما يستوفي أقوال الصحابة والتابعين.

أما سادساً: فإنه يأتي بأقوال المشايخ من أرباب العلم، فإذا كان هناك شرح خاص أو حل لمشكل من أكابر مشايخ هذه البلاد ولا سيما قطب عصره الكنگوهي فإنه يذكره، وقد جاءت غرر أقوال منه في كثير من المواضع.

أما سابعاً: فإنه ينبّه على اختلاف الرواية في اللفظ واختلاف الرواة في الأسانيد إن كان هناك اختلاف مع ترجيح بعضها على بعض.

أما ثامناً: فإنه ذكر المباحث الفقهية والمباحث الحديثية على حدّ سواء تشفي غلة الفقيه والمحدث معاً.

هذا ما بدا لي في غاية الارتجال، لم أنتهز فرصة للقيام بحق كل

ما امتاز به الشرح من إبداء خفاياه، وما بقي في زواياه، ولم تكن في الوقت فسحة، ولا في الطبيعة نشاط، غير أنني قمت بما تيسر نزولاً على رغبة بعض الأكابر سعادة للراقم، والله سبحانه ولي كل توفيق ونعمة، وصلى الله على صفوة البرية سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

محمد يوسف بن السيد محمد زكريا الحسيني البنوري
يوم الخميس ٩ رجب ١٣٩٣ هـ

ترجمة مؤلف بذل المجهود
من «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»
لمؤلفه العلامة السيّد عبد الحي الحسني (م ١٣٤١هـ)

الإمام المحدث العالم الفقيه خليل أحمد السهارنفوري:

هو الشيخ العلامة الفقيه خليل أحمد بن مجيد علي بن أحمد علي بن قطب علي بن غلام محمد الأنصاري الحنفي الأنبيتهوي، أحد العلماء الصالحين، وكبار الفقهاء والمحدثين.

وُلِدَ في أواخر صفر سنة تسع وستين ومائتين وألف في خؤولته في قرية «نانوته» من أعمال سهارنفور، ونشأ ببلدة «أنبيته» من أعمال سهارنفور، وقرأ العلم على خاله الشيخ يعقوب بن مملوك العلي النانوتوي^(١)، والشيخ محمد مظهر النانوتوي^(٢)، وعلى غيره من العلماء في المدرسة العربية بديوبند، وفي «مظاهر العلوم» بسهارنفور، والعلوم الأدبية على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري^(٣) في لاهور.

قرأ فاتحة الفراغ في سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف، وعُيِّن أستاذاً مساعداً «معين المدرّسين» في مظاهر العلوم، وأقام مدة في «بهوپال» و «سكندراباد» و «بهاول پور» و «بريلي» يُدرّس ويُفيد، إلى أن اختير

(١) (ت ١٣٠٢هـ) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/ ٥٥٠).

(٢) (ت ١٣٠٢هـ) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/ ٤٨٠).

(٣) (ت ١٣٠٤هـ) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/ ٣٨٩).

أستاذاً في دار العلوم بـ «ديوبند» في سنة ثمان وثلاثمائة وألف، ومكث ست سنين.

ثم انتقل إلى «مظاهر العلوم» في سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف، وتولّى رئاسة التدريس فيها، واستقام على ذلك أكثر من ثلاثين سنة منصراً إليها انصرافاً كلياً، وتولّى نظارتها سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف، وصرف همّته إليها، ونالت به المدرسة القبول العظيم، وطبقت شهرتها أرجاء الهند، وأصبحت تضارع دار العلوم في العلوم الدينية، والمكانة العلمية، وأمّها الطلبة من الآفاق، إلى أن غادرها في سنة أربع وأربعين إلى الحرمين الشريفين، فلم يرجع إليها.

وكان قد بايع الشيخ الإمام العلامة رشيد أحمد الكنگوهي بعد ما فرغ من التحصيل واختص به، وسعد بالحج والزيارة سنة سبع وتسعين ومائتين وألف، ولقي بمكة الشيخ الأجلّ الحاج إمداد الله المهاجر، فأكرم وفادته، وخصّه بالعناية، وأجازه في الطرق، ورجع إلى الهند، فأجازه الشيخ الإمام العلامة رشيد أحمد الكنگوهي، واختص به الشيخ خليل أحمد اختصاصاً عظيماً، وانتفع به انتفاعاً كبيراً، حتى أصبح من أخصّ أصحابه، وأكبر خلفائه، ومن كبار الحاملين لعلومه وبركاته، والناشرين لطريقته ودعوته.

وكان قد درّس الحديث دراسة إتقان وتدبّر، وحصلت له الإجازة عن كبار المشايخ والمسندين كالشيخ محمد مظهر النانوتوي، والشيخ عبد القيوم البدهانوي^(١)، والشيخ أحمد دحلان^(٢) مفتي الشافعية، والشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجددي المهاجر^(٣)، والسيد أحمد

(١) انظر ترجمته في: «نزّهة الخواطر» (٧/٢٥٥).

(٢) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١/٢٢٩).

(٣) انظر ترجمته في: «نزّهة الخواطر» (٧/٢٩٦).

البرزنجي^(١)، وعني بالحديث عناية عظيمة تدريساً وتأليفاً، ومطالعة وتحقيقاً.

وكان من أعظم أمانيه أن يشرح «سنن أبي داود». فبدأ في تأليفه سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف، يساعده في ذلك تلميذه البار الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، وانصرف إلى ذلك بكل همّته وقواه، وعكف على جمع المواد وتهذيبها وإملائها، لا لذة له، ولا همّ في غيره، وأكّب على ذلك إلى أن سافر إلى الحجاز السفر الأخير في سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف، ودخل المدينة في منتصف المحرم سنة خمس وأربعين، وانقطع إلى تكميل الكتاب حتى انتهى منه في شعبان سنة خمس وأربعين، وتمّ الكتاب في خمس مجلّدات كبار.

وقد صبّ فيه الشيخ مهجة نفسه، وعصارة علمه، وحصيلة دراسته، وقد أجهّد قواه، وأرهق نفسه في المطالعة والتأليف، والعبادة والتلاوة، والمجاهدة والمراقبة، حتى اعتراه الضعف المضني، وقلّ غذاؤه، وغلب عليه الانقطاع، وحُبّب إليه الخلاء، والشوق إلى اللقاء، يصرف أكثر أوقاته في تلاوة القرآن، ويحضر الصلوات في المسجد الشريف بشقّ النفس، وقد ودّع تلاميذه، وخاصّة أصحابه للهند، وبقي في جوار النبي ﷺ، نزيل المدينة، وجلس الدار، مشغول الجسم بالعبادة والذكر، مربوط القلب بالله ورسوله، منقطعاً عمّا سواه، حتى أجاب داعي الله في المدينة المنورة.

كان الشيخ خليل أحمد له الملكة القوية، والمشاركة الجيدة في الفقه والحديث، واليد الطولى في الجدل والخلاف، والرسوخ التام في علوم الدين، والمعرفة واليقين، وكانت له قدم راسخة، وباع طويل في إرشاد الطالبين، والدلالة على معالم الرشد ومنازل السلوك، والتبصّر في غوامض

(١) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١/١٦٤).

الطريق وغوائل النفوس، صاحب نسبة قوية، وإفاضات قدسية، وجذبة إلهية، نفع الله به خلقاً كثيراً.

وخرّج على يده جمعاً من العلماء والمشايخ، ونبغت بتربيته جماعة من أهل التربية والإرشاد، وأجرى على يدهم الخير الكثير في الهند وغيرها في نشر العلوم الدينية، وتصحيح العقائد، وتربية النفوس، والدعوة والإصلاح، من أجلّهم: العلامة الكبير الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي، وشقيقه المصلح الكبير الشيخ محمد إلياس بن إسماعيل الكاندهلوي الدهلوي صاحب الدعوة المشهورة المنتشرة في العالم، والمحدث الجليل الشيخ محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي السهارنفوري، صاحب «أوجز المسالك» و «لامع الدراري» والمؤلفات المقبولة الكثيرة، والشيخ عاشق إلهي الميرتهي، وغيرهم.

كان جميلاً وسيماً، مربوع القامة، مائلاً إلى الطول، أبيض اللون، تغلب فيه الحمرة، نحيف الجسم، ناعم البشرة، أزهر الجبين، دائم البشر، خفيف شعر العارضين، يحبّ النظافة والأناقة، جميل الملبس، نظيف الأثواب في غير تكلف أو إسراف، وكان رقيق الشعور، ذكيّ الحسّ، صادقاً بالحق، صريحاً في الكلام في غير جفاء، شديد الاتّباع للسنة، نفوراً عن البدعة، كثير الإكرام للضيوف، عظيم الرفق بأصحابه، يحبّ الترتيب والنظام في كلّ شيء، والمواظبة على الأوقات، مشغلاً بخاصة نفسه، وبما ينفع في الدّين، متنحياً عن السياسة مع الاهتمام بأمور المسلمين، والحمية والغيرة في الدين، حجّ سبع مرّات، آخرها في شوال سنة أربع وأربعين من الهجرة.

له من المصنّفات: «المهتد على المفنّد»، و «إتمام النعم على تبويب الحكم»، و «مطرفة الكرامة على مرآة الإمامة» و «هدايات الرشيد إلى إفحام العنيد» كلاهما في الردّ على الشيعة الإماميّة، و «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود».

كانت وفاته بعد العصر من يوم الأربعاء في السادس عشر من ربيع
الآخر سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف في المدينة المنورة، وشُيِّعَتْ
جنازته في جمع عظيم، ورُؤِيََتْ له رؤيا صالحة، ودُفِنَ في البقيع لدى مدفن
أهل البيت^(١).



(١) الترجمة منقولة بتعديل يسير من المجلد الثامن، لكتاب «نزهة الخواطر»، طبع دائرة
المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند. انظر: (١٤٥ / ٨).
وانظر ترجمته في كتاب: «تذكرة الخليل» للشيخ الميرتهي، و «مقدمة أوجز المسالك»
(ص ١٣٥) أيضاً.

ترجمة المؤلف الشيخ السهارنفوري

بقلم أحد كبار العلماء^(١)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من نبي بعثه الله في أُمَّته قبلي إلا كان له في أُمَّته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنَّته ويقتدون بأمره...» الحديث^(٦)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أُمَّتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(٧)، وقال عليه الصلاة والسلام:

(١) المراد به شيخ الإسلام الإمام المحدث السيد حسين أحمد المدني، المتوفى لإحدى عشرة خلون من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف (انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/ ١٢٦ - ١٣٢)، ولم يصرح الكاتب العلامة باسمه تواضعاً منه وختمه بالعبارة الآتية: «كتبه بعض المنتسبين إلى أعتاب حضرة الشيخ - غفر الله له ولوالديه ومشايخه أجمعين -».

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٤) سورة يوسف: الآية ٥٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٥.

(٦) أخرجه مسلم برقم (٨٠).

(٧) أخرجه الترمذي برقم (٢٢٨٧).

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَزَالُ يَغْرُسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا»^(١).

وقال ابن سيرين: (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)^(٢).

وبناءً على ما تلونا من الآيات، وسردنا من الروايات، وعلى ما يماثله من الآيات والأحاديث والأقوال لم يزل الأسلاف يذكرون تراجم المشايخ والأعلام، ويبثون ما منحهم الله تعالى من المزايا والمكارم بين الأنام، وأتوا بتصانيف مفردة وغير مفردة في أحوال الرجال، ولم يتساهلوا في تبين الحق وضبط طبقات أهل الفضل والكمال، فمن مُقِلٌّ ومُكْثِرٌ، ومطنب وموجز، كي تطمئن النفوس بإفاضاتهم، وتستقر القلوب لدى إفاداتهم، ولا تبقى مظنة لريب المرتابين، وتنقطع أعناق شُبُهَات المنكرين والجاحدين، ويكون ذريعة للسان الصدق في الآخرين، وأسوة حسنة للهداة والمتأسين، ومُهَيِّجاً لِهَمَم الضُّعَفَاءِ مُذَكِّراً للغافلين، وهداية للمعرضين عن المقال جانحين إلى القائلين، فلا يستمطر كل وبْلٍ^(٣) وظلٌّ، ولا يقصد باب كلٍّ مَنْ جَلَّ وقْلٌ، ولا يعتمد على كلٍّ مَنْ عرف أو جهل: استحسناً أن نوضح هذا الكتاب بنبذة من ترجمة المؤلف دام مجده، فنقول:

هو الثقة، الثبت، الحجّة، الحافظ، الصدوق، محيي السُّنَّةِ السُّنِّيَّةِ، قاصع البدع الشنيعة، شعاره طريقة رسول الله، دثاره^(٤) التقوى ومخافة الله، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يزعجه عن الطريق القويم مهابة غويّ ظالم، حاز قصبات السبق في ميادين الفضل والكمالات، فأعفى الأقران، ونشر ألوية الجهاد في سبيل الله بالحجج والبيّنات، فأبْكَمَ كُلَّ مُتَشَدِّقٍ لِسَانٍ، نبعت من إفاداته عيون العلم والنُّهْي، وتفجّرت من إفاداته أنهار

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٨).

(٢) أخرجه مسلم في «المقدمة»، باب بيان أن الإسناد من الدين.

(٣) الوَبْل: المطر الشديد.

(٤) في الأصل: «ثاره» والصواب ما أثبتناه.

الإحسان والتقى، أشرقت أراضي التحديث بأنوار رواياته، وتلألأت أفلاك التفقه بأضواء دراياته، أبو حنيفة زمانه، وشبلي عصره ودورانه، مولانا أبو إبراهيم خليل أحمد الأيوبي الأنصاري نسباً ومحتداً، والحنفي الرشدي مشرباً ومذهباً، والچشتي القادري النقشبندي السهروردي طريقة ومسلماً، لا زالت بحار فيضه زاخرة على ممر الليالي والأيام، وشموس إفاداته لامعة على رؤوس الخلائق والأنام.

يتصل نسبه الطاهر إلى سيّدنا أبي أيّوب الأنصاري الخزرجي - رضي الله تعالى عنه -، ووُلِدَ - دام مجده - في أواخر صفر سنة تسع وستين بعد الألف والمائتين من هجرة من هو مدار الفضائل الروحية ومحط الفيوض الرحمانية - عليه الصلاة والسلام - في أخواله بـ «نانوته» - كورة من نواحي سهارنفور - الهند. ثم ترعرع في ظلال أبويه الكريمين - رحمهما الله تعالى - في موطنهما كورة «انبيته».

وسُمّي بظهير الدّين أحمد أيضاً لدلالته على ما يقارب زمان مولده، وللتفاؤل بأنه سيصير ظهيراً للدّين الحنيف حسبما صاح به الهاتف المنيف.

كانت لوائح الذكاء والفطنة تشرق على سرر جبينه في أيام صباه، ومنادي الأقدار كان يُسمع كلّ ذي عقل بأنه سيكون خليل الخليل فتحمد عقباه، فأبرزت لطائف الأقدار مكنوناتها، ولفظت قوى الأرواح بمخزوناتهما، حين أخذ عالم الأسباب بما تقرر في عوالم الأمثال، وصارت ألسنة الشهادة تروي له مسلسلات الأفضال، فاشتغل بالعلوم في صباه وأقرانه بين الماء والطين.

وتأدّب بآداب الصلاح لدى والده الشاه مجيد علي المرحوم، فمجد في المتعلمين، صار يقرأ ويستفيض سحبه الهطالة في موطنه، حتى لفظته الأقدار إلى رياسة «گواليار» فلازمه إلى مقرّه، وهنالك اشتغل

بمبادئ العلوم العربية على عمّه مولانا الشيخ أنصار علي المرحوم، ثم بعد برهة رجع إلى وطنه، فحضر لدى علماء البلد من أرباب المعرفة والعلوم، ولم يزل يستغرف بحارهم الزاخرة، ويستمطر سحبهم الهطالة إلى أن أُسِّت دار العلوم الإسلامية الفيحاء، بـ «ديوبند» الشهيرة الزهراء في سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين من هجرة مَنْ له المجد والعلواء، فارتحل إليها مقتبساً عن أنوار شمسها، ومستضيئاً بأضواء كواكبها وبُدورها.

ثم بعد أشهر لما تأسست هذه الكلية التي هي منابع للعلوم ومظاهرها، ومطالع لشموس المعارف ومشارقها، المدرسة العلية «مظاهر العلوم» بـ «سهارنفور»، قصدها مُشَمِّراً عن ساق الجد في تحقيق المسائل وحفظها وإتقان العلوم ووعيتها.

ولم يزل يجدُّ في الاستشراق عن كواكبها الدريّة وسياراتها المضيئة حتى أن فرغ من سائر الكتب الدراسية، والفنون الآلية العربية، والعلوم العقلية والنقلية، المتوسّطات منها والانتهاية، حينما كان مدار أكثر الإفاضة ساعتئذٍ على فخر الأكابر والأمثال، قدوة الأماجد والأفاضل، أستاذ الأساتذة، قدوة الأئمة والجهابذة، رئيس العلماء ورأسهم، وإمام أهل التحقيق وأساسهم، مركز دائرة الذكاء والبهاء، وشمس نجوم الأخلاق النبوية والسخاء، صدر المدرّسين والمحدّثين، سند المفسّرين والمتكلّمين، العارف بالله مولانا الشيخ محمد مظهر النانوتوي الحنفي الجشتي القادري النقشبندي السهروردي^(١) - قدّس الله سرّه العزيز - فأخذ عنه الأمّهات وغيرها من كتب الحديث والتفسير والأصول والفروع، سماع فقه ودراية، ولم يقتنع بسرد الألفاظ ومجرد الرواية، وهو - رحمه الله تعالى - من أرشد تلامذة إمام عصره وأوانه، وفريد دهره وزمانه مولانا مملوك علي النانوتوي

(١) المتوفى سنة ١٣٠٢هـ، تقدّمت الإشارة إلى ترجمته (ص ٦٥).

الصديقي الحنفي^(١) - قدّس الله سرّه العزيز - جدّ المؤلف أبي أمّه،
عن شمس العلماء وإمام الأتقياء مولانا رشيد الدّين خان الدهلوي
الحنفي^(٢) - قدّس الله سرّه العزيز - عن أبي حنيفة زمانه وبخاري عصره
وأوانه، رئيس الحكماء المحقّقين وسند الأولياء العارفين مولانا الشاه
عبد العزيز الدهلوي العمري الحنفي^(٣) - قدّس الله سرّه - وقد روى حضرة
مولانا محمد مظهر المومأ إليه «صحيح البخاري» عن الشهير في الآفاق
مولانا الشاه محمد إسحاق العمري الدهلوي^(٤) ثم المكي الحنفي - قدّس الله
سرّه العزيز -.

وكذلك يروي حضرة الأستاذ المؤلف سائر كتب الحديث قراءةً
وإجازةً عن حبر الأمة كاشف الغمّة مولانا الشيخ عبد القيوم البدهانوي
ثم البهوپالي، ختن حضرة العلامة الشّاه محمد إسحاق المومأ إليه
- نور الله مرقده - .

ويروي أيضاً سائر كتب الحديث وفنونها عن أستاذ الأساتذة رئيس
الكرام والجهابذة الإمام الحجّة مولانا عبد الغني العمري المجددي
الدهلوي ثم المدني - قدّس الله سرّه العزيز - ح، وعن الشهير الإمام الحجّة
السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعيّة في زمانه بمكة المكرمة - رحمه الله
تعالى - ح، وعن صدر علماء دار الهجرة السيد أحمد البرزنجي مفتي
الشافعيّة بالمدينة المنورة - رحمه الله تعالى -.

ولم يزل مولانا الخليل - دام مجده - يغترف من بحار حبر الأمة
مولانا محمد مظهر - قدّس الله سرّه العزيز - ويكتسب الأخلاق والمعاني من

(١) انظر ترجمته وتراجم مشايخه في: «أوجز المسالك» (١/١٣٦ - ١٥٠).

(٢) انظر ترجمته في: «نزّهة الخواطر» (٧/١٨٠).

(٣) انظر ترجمته في: «أبجد العلوم» (٣/٤٤)، و «نزّهة الخواطر» (٧/٢٦٨).

(٤) انظر ترجمته في: «نزّهة الخواطر» (٧/٥١).

صحبتة الفيحاء، وينور قلبه من معارفه الزهراء إلى أن ارتوى بما لديه من عذب العلوم وكتبها، وشهد له الأساتذة الأعلام بمناصب التكميل وأعلى رتبها، وذلك في سنة ثمان وثمانين بعد الألف والمائتين من الهجرة، وكانت سنة الشريفة إذ ذاك تسع عشرة سنة.

ثم لم تقتنع نفسه المنهومة في العلم، الحريصة في العرفان، بذلك القدر من الحكمة والإيقان، فأقلقه^(١) إلى مركز دوائر الأدبيات العربيّة، ومنبع أنهار المعالم اللغوية، أستاذ الأساتذة، إمام الحفاظ الجهابذة، أصمعيّ زمانه، وسيبويه دورانه، مولانا الشيخ فيض الحسن السهارنفوري^(٢) الحنفي - قدّس سرّه العزيز - وقد كان إذ ذاك مرجع الفنون العربية ومدارها في «كلية لاهور»، فأقام لديه شهوراً يرتشف من عذب بنات شفاهه، ويشنّف آذانه من مزاهر آدابه وبيانها، إلى أن رفته ألطاف المبدأ الفيّاض إلى معارج القيام بخدمة العباد، وإيصالهم إلى خفايا مكننة في فطهرهم من الهداية والرشاد، فولي خدمة التدريس بـ «منگلور»، فشمر عن ساق الجد في طرق الإفادة، وأسهر الليالي مجتهداً في مطالعة الفنون والإفاضة.

وهناك أخذته الجذبة الإلهيّة، والسابقة الأزليّة، واللطائف القدسية، والمنح الربّانيّة فأقلقته إلى حضور ربّ الأرباب والدخول في حلقة الروحانيين الذين أزيل عنهم الرين والحجاب، فوقف مدّة يتطلّع إلى شمس زمانه والأقمار، ويستطلع بغيته في كلّ جنّة ذات ثمار وأزهار، إلى أن تغرّد بلبل التفريد، ورنّح عندليب التوحيد، وغنّى بلحن ناشط سديد، أن دع الهيام والحيرة، واقصد الباب الرشيد، فإنّ هنالك الفوز والوصول لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فلبّاه بقلبه، واعتقده إشارة ربّه، فلم يصبر حتى أن ألقى نفسه بفناء إمام العارفين سند الواصلين،

(١) قوله: أقلقه، أي: حرّكه.

(٢) انظر ترجمته في: «نزّهة الخواطر» (٣٩٢/٨).

قطب السالكين، شمس الهداة الكاملين، الفاني الباقي، والمرشد الصافي، السالك المجذوب، والصديق المحبوب، قطب العالم مولانا وسيدنا أبي مسعود رشيد أحمد الأيُّوبي الأنصاري الكنگوهي الحنفي الجشتي القادري النقشبندي السهروردي - قدس الله سره العزيز - .

فلم يزل واقفاً على أعتابه، يستغيث سحبه الهطالة، ويستضيء شموسه اللّماءة، إلى أن أوصلته العواطف الربّانيّة والسوابق الصمدانيّة أعلى درجات الوصول والنهاية، وبلغ غاية درجات السلوك والهداية، فحقق له أن يفوض إليه تسليك عباد الله والتربية، وإحياء الأرواح والنفوس بأمطار الرياضات والتزكية، فأجاز له حضرة قطب الأقطاب مولانا الكنگوهي الموماً إليه - قدس الله سره العزيز - إجازة الإرشاد والإيصال، بأن كتب بأحواله القدسية ومدارجه العالية إلى ذروة المجد والكمال، إمام العارفين، وحجة الله في العالمين، القطب الربّاني، والإمام الصمداني، مولانا الحاج إمداد الله المكي الجشتي النقشبندي القادري السهروردي العمري^(١) - قدس الله سره العزيز - ، فَبَجَّلَهُ وأكرمَهُ بالخرقة والإجازة، وأقامه مقام نفسه، وأَلْبَسَهُ^(٢) ما كان على رأسه من الطاقية والعمامة، فبا حبّذا من نعمة خصّه الله تعالى بين الأخلاء والأصفياء، وأمدّه بإمدادات حسده عليها أرباب الأحوال والاهتداء، وذلك سنة ست وتسعين لدى حضوره الحرمين الشريفين، والحجازين المكرمين .

وقد كان قبل ذلك تشرف بالحج والزيارة الشريفة سنة ثلاث وتسعين بعد الألف والمائتين، حين إقامته ببلدة بهوپال .

وفي هذه المرة اجتمع بسيد أرباب الكشف والشهود، وملاذ قاصدي أحاديث الرسول عليه السلام والوفود، إمام الرويّة والرواية، قطب الهداية

(١) انظر ترجمته في: «نزّهة الخواطر» (٧٩/٨) .

(٢) في الأصل: «لبسه» والصواب ما أثبتناه .

والدراية، مفخر المحدثين، وسند المفسرين، من انتهت إليه رئاسة الحديث بدار الهجرة، واشتهر فضله شرقاً وغرباً بين أرباب الكمال والمهرة، مولانا العارف بالله الشيخ عبد الغني^(١) الحنفي المجددي النقشبندي الدهلوي ثم المدني المومناً إليه سابقاً - قدس الله سرّه العزيز -، فمنحه حضرة الشيخ الإجازة العامة بجميع ما كانت تصح له روايته عن شيخه المعروفين والإمامين الهمامين، مولانا العارف بالله الشهير في الآفاق مولانا الشيخ محمد إسحاق العمري^(٢) الدهلوي ثم المكي - قدس الله سرّه العزيز -، ومولانا العارف بالله الشيخ محمد عابد الأنصاري^(٣) الحنفي السندي ثم المدني - قدس الله سرّه العزيز -، وأسانيدهما مشهورة.

ثم بعد رجوعه من هذه السفرة الأولى حذاه القضاء والقدر لتكميل أهل «بهاول پور» وتربيتهم، فأدى هذه الخدمة الشريفة لدى بعض الخواص من سُكّانها، ثم ولي خدمة التدريس والإفادة بمدرستها المشهورة لدى أرباب العلم والإفاضة، فأقام هنالك اثنتي عشرة سنة يسقي ظمأهم بفراثة، ويداوي جرحاهم بمرهم وعظه وشفاء كلماته، فدرّس هنالك وصنّف، وقلوباً أحيّاها، وآذاناً^(٤) شنّف، فضرب الناس بعطن، وانقطع عنهم الظمأ وحرارة الفتن.

ثم ولي بعد إقامته برهة بـ «بريلي» تدريس أعالي الفنون وكتب الحديث بالمدرسة العالية الديوبندية المشهورة في القديم والحديث، فلم يزل ينور قلوب الطالبين بشموس علومه ومعارفه، ويحيي أرواح عفاة الفنون بمعجزات البيان ومعالمه، إلى أن حان أن ينتبه طالع «مظاهر العلوم»، ومنذ مدّة كان غارباً في النوم والغفلة، فاستولت عليها حوادث الدهر،

(١) انظر ترجمته في: «مقدمة أوجز المسالك» (١/١٤٤).

(٢) انظر: المصدر السابق (١/٣١).

(٣) انظر ترجمته في: «اليانح الجني» (ص ٩٩)، و «البدر الطالع» (٢/٢٢٧).

(٤) في الأصل: «أحزاناً» والصواب ما أثبتناه.

فلم تبق له إلّا اسمه ورسمه، فسعى أركانها إلى حضرة القطب الكنگوهي الموماً إليه - قُدّس سرّه العزيز - طالبين أمره الشريف بقبول صدارة التدريس بها فلبّاه، ورقاها إلى أوج الكمالات فكلّ مسابق أعياءه، وذلك في سنة أربع عشرة بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة، فاقترعت عليه الكتب العالية من الحديث والتفسير والفقه والأصول وغيرها، فدرسها بغاية الإتقان والتحريز، حتى أنّ ضرب الناس بأكباد إبلهم إلى فنائه ورحابه، وصار المشرق والمغرب يلفظ أفلاذ أكبادهم إلى أعتابه وجنابه، فنقح المسائل ورتب ونشر الأحاديث في الآفاق وألّف، وفتح آذاناً صمّاً، وأحيا قلوباً غلفاً.

وحيث إنّ «سنن أبي داود» كان من أمّهات الأحاديث وأصولها، وجامعاً للمعتبر من الروايات وفروعها، كافياً لمن أراد التبصّر في السنن النبوية، معتمداً لمن قصد الاجتهاد في المعارف الدّينية، وتوجّه إليه الأئمة الحاذقون بالشروح والحواشي، وخدموه بإزالة غموضاته وكشف الغواشي، فمنهم من توجّه إلى فقه الأحاديث والمتون، ومنهم من قصّد الأسانيد والاستيعاب لكلّ ما يجب من العلوم والفنون، فمن مطوّل ومختصر، ومن مطنب ومقتصر.

ولما رأى حضرة الأستاذ - مدّ الله ظلّه العالي - أنّ هذه الشروح والحواشي قد لعبت بها بنات الأفلاك وحوادث الدهر، ولم يبق لها في صفحات الوجود إلّا أساميتها الموجبة للحسرات والويلات لأبناء العصر، قصد أن يشرحها شرحاً وجيزاً يحلّ مشكلاته، ويفصل معضلاته، ولا يترك شيئاً من عُجره وبُجره، ولا يبقى مستوراً من خبايا كنوزه وبدره.

ولكن عاقته عوائق الدهر عن الإسعاف، وصادته صوارف الزمان بكل جور واعتساف، فلم يزل يقاومها بكلّ همّة واستقلال، ويصرف لمعارضتها ثواقب العزم بغاية القوّة والكمال، إلى أن أيّدت النّفحات القدسية والألطف العلويّة، فشرع في المأمول، واجتهد في المسؤول،

وكان قد سوّد مضامينها في السنين السالفة، وزَيَّن صفحات الأوراق بجواهر ألفاظها اللامعة، بيد أنه لم يكن يتفرّغ للتكميل بهجوم مشاغل التدريس والتعليم، وكثرة أفكار تتعلّق بترتيب المدرسة والتنظيم.

فلما رجع حضرته من الحجّة السادسة سنة ألف وثلاثمائة وأربعين فرّغ نفسه للتأليف، وتوجّه بشرائره للترشيح والتصنيف، وشمّر نفسه عن ساق الجد في التسويد والترتيب، مُعْرِضاً عن الإطناب المُملّ والإيجاز الغريب، فجاء بحمد الله عزّ وجلّ ما يروق به عيون الأرواح، وتنجلي به الغموم والهموم، وتطمئن الخواطر بالسكون وغاية الارتياح.

وقد حصل الفراغ من تسويد الجزء الأوّل سنة أربعين بعد ألف والثلاثمائة، ومن الثاني منه سنة اثنتين وأربعين بعد ألف والثلاثمائة، ثم شرع في الجزء الثالث منه، وعلى الله الإيفاء بالمقاصد والتكميل، ومن فضله ومنه يُرجى الجزاء الحسن والثواب الجزيل.

وللمؤلف - دام مجده وعُلاه - تصانيف عديدة في مهمّات المسائل وفروعها، وتأليف جميلة في إحقاق العقائد الحقّة وتوطئتها، وله ملكة في فنون الجدل والمناظرة، وإقامة البراهين والحجج الباهرة، فإنه داهية كبرى على الشيعة الشنيعة الفاجرة، وطامة عظيمة على المبتدعة الضالّة العاجزة.

فمنها: «المهتد على المفنّد»، ذكر فيها معتقداته ومعتقدات مشايخه الكرام أتباع الأسلاف العظام، وأهل السُنّة الفخام، ردّاً على ما افتري عليهم الخبثاء اللئام، مما تقشعرّ منه الجلود، وتفتّت عنه العظام.

ومنها: «تنشيط الآذان»، ذكر فيها ما أخطأ فيه بعض من ادّعى العلم، وانتحلّه أنّ محلّ الأذان خارج المسجد يوم الجمعة لدى الخطبة.

ومنها: «مطرفة الكرامة على مرآة الإمامة»، كتاب بسيط في ردّ الروافض، ذكر فيه أصولهم القبيحة، ومعتقداتهم الشنيعة، وأتى على

خزعبلاتهم وترهاتهم فأوهاها، وأرسل الصواعق على حججهم، فذكّ جبالهم الشامخة وسوّاها، طبع منه الجزء الأول فقط، ثم عزّ وجوده ولم يطبع بعد.

ومنها: «هدايات الرشيد»، كتاب بسيط جداً في ردّ الروافض، وإظهار أصولهم الفاسدة، وعقائدهم الباطلة، وتوهين قواهم، وإخفاض علاهم، عديم النظير في بابه، كامل التقريب في حججه وأبوابه، قلّت نسخه الآن، فتاه المشتاقون، واشتدّت حاجته الحين، فأصرّ المفتاقون، وعلى الله التيسير، وهو الميسّر لكلّ عسير.

ومنها: «إتمام النعم على تبويب الحكم»، كتاب جليل في تهذيب الأخلاق والتصوّف، كتبه حضرة الشيخ - مدّ الله ظلّه العالي - بأمر قطب العالم مولانا العارف بالله المهاجر المكي - قدّس الله سرّه العزيز - مترجماً للجواهر المنظمة من حِكَم ابن عطاء الله السكندري - رحمه الله - بطريق يسهل على الطالبين الاغتراف من بحاره، وعلى السالكين الاستضاءة من أنواره.

وله - دام مجده - مؤلّفات أخر شهيرة طبع منها البعض، ولم يطبع البعض.

ولم يزل حضرته - دام مجده - مجدداً في نشر العلوم، وإحياء الدّين، وتقويم ما تعوّج من أمور الإسلام والمسلمين، علماً مضيئاً للطلبة والسالكين، ناصحاً مخلصاً للأمة المحمّديّة أجمعين، إماماً للهداة والعالمين، خادماً للعالم الإنساني والمهتدين، عاضاً بالنواجذ على سنن سيّد المرسلين، عليه أفضل صلوات المصلّين، وأكرم تسليمات المسلّمين، متّبِعاً لما كان عليه الأسلاف الكرام، مجتنباً عن جميع ما اخترعته اللئام، مفنياً أوقاته في إرضاء المفضل المنعام، وعبادات زاكية حين تثقل المضاجع بالنيام، ورياضات شاقّة على النفس والشّيطان، واحتسابات تزيل الغفلة

وتوقظ الوسنان، ومراقبات تديم الشهود والإحسان، وأذكار تنور الجسد والجنان، وتسليك لعفاة الطريقة، وإرشاد لظمأى خمور العشق والحقيقة، ولمثله ما قيل:

يبيت مشمراً سهر الليالي وصام نهاره لله خيفه
وصان لسانه عن كل إفك وما زالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم والملاهي ومرضاة الإله له وظيفه

وقد أخذ عنه العلوم الظاهرة، وروى عنه الأحاديث الظاهرة أئمة ذوو رواية وروية، وطلبة أصحاب درايات دُرِّيَّة، لا يحصي عددهم إلا الله العظيم، ولا يحيط بمراكزهم إلا الخالق العليم، لم تزل أنهار فيوضه جارية بالمشرقين، وشموس فضائله لامعة على رؤوس أهل المغربين.

وتاب على يده الشريفة خلق كثيرون، فاستضاء بأنواره الباطنة منهم الصالحون، إلى أن استوى منهم جماعات على عروش التسليك والتلقين، فامتاز بينهم بالخرقة والخلافة إماماً قائداً لأهل السكينة واليقين.

منهم: حضرة الشيخ الأجل والفاضل الأجل، من أحيى بطبيعته الوقادة العلوم والسنن، ونور بفطنته الثقابة النفوس والزمن مولانا محمد يحيى الكاندهلوي - قدس الله سره العزيز -.

ومنهم: التقي الصالح والورع البار، مولانا عبد الله الكنگوهي - المرحوم^(١) -.

ومنهم: الأديب البارع والزكي الفارع صاحب التصانيف العالية والتأليف الزاكية مولانا الحاج عاشق إلهي الميرتهي - دام مجده -.

ومنهم: مولانا الحاج فخر الدين نزيل غازي آباد^(٢).

(١) انظر ترجمته في: «حياة خليل» للشيخ محمد الثاني (ص ٥٨٦) بالأردية.

(٢) انظر ترجمته في: المصدر السابق (ص ٥٩٦).

ومنهم: مولانا الحافظ الحاج محمد إلياس الكاندهلوي^(١) نزيل نظام الدين، دهلي.

ومنهم: مولانا الحافظ فيض الحسن الكنگوهي^(٢) نزيل لكهنؤ.

ومنهم: الحاج محمد حسين الحبشي نزيل مكة المكرمة، في السلسلة النقشبندية خاصة.

وليكن هذا آخر ما أردناه عن إفصاح ترجمة حضرة الشيخ - دام مجده - بغير إطناب ولا تطويل، فإنَّ إكمال ذكر ما منحه الله عزَّ وجلَّ لا يحويه إلاَّ الطامور العريض الطويل، بلَّغه الله تعالى على أقصى مراداته في الدارين، وأسبل علينا من بركاته وفيوضاته ما يسترنا عن فضائح الكونين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآله وصحبه وأتباعهم إلى يوم الدين، آمين.

كتبه

بعض المنتسبين إلى أعتاب حضرة الشيخ
غفر الله له ولوالديه ومشايخه أجمعين

(١) انظر ترجمته في: المصدر السابق (ص ٥٩٨) وكتاب: «الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية» للعلامة أبي الحسن الندوي.

(٢) انظر ترجمته في: المصدر السابق (ص ٥٩٤).

أبو داود

الإمام الحافظ الفقيه (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)

وكتابه «السنن»

بقلم:

أ. د / تقي الدين النّذوي



عصر أبي داود

عاش الإمام أبو داود جميع سنوات عمره في القرن الثالث الهجري، فقد وُلد عام ٢٠٢هـ، وتوفي سنة ٢٧٥هـ، وكان العالم الإسلامي تحت حكم العباسيين الذين اتخذوا بغداد عاصمة لملكهم، وكان العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ) عصر قوة الخلفاء واستقلالهم بشؤون الخلافة وحسن تدبيرهم لسياسة الدولة، وعدم تركهم للعناصر الأجنبية من فرس وغيرهم الاستبداد بشؤون الملك وسياسة الدولة.

ولقد أدرك هذا الإمام عهدَ المأمون المتوفى سنة ٢١٨هـ، والمعتصم المتوفى سنة ٢٢٨هـ، والواثق المتوفى سنة ٢٣٢هـ. وبوفاة الواثق انتهى عهد القوة للدولة العباسية، وبدأ الضعف يدبُّ في أوصالها ابتداءً من عهد المتوكل المتوفى سنة ٢٤٧هـ، ومروراً بعهد المنتصر المتوفى سنة ٢٤٨هـ، ثم المستعين بالله المتوفى سنة ٢٥٢هـ، ثم المعتز بالله المتوفى سنة ٢٥٥هـ، ثم المهدي المتوفى سنة ٢٥٦هـ، ثم المعتمد على الله المتوفى سنة ٢٧٩هـ.

ولقد حجر على المعتمد هذا أخوه الموفق، واستبد بالأمر دونه، فلم يستقلَّ بالخلافة، وللموفق مع الإمام قصة ستأتي في هذا الكتاب إن شاء الله.

ولئن عاش الإمام أبو داود - رحمه الله - عصراً سياسياً ابتداءً قوياً ثم ضعف، فقد عاش عصراً علمياً رائعاً جليلاً، نمت فيه العلوم الإسلامية نمواً عظيماً، وأصبح للعلم فيه حواضر كثيرة في كافة أنحاء العالم الإسلامي

لا سيما في بغداد، فقد نمت المذاهب الأربعة ودوّنت، وأصبح معظم الناس أتباعاً لها، ونمت علوم القرآن، لا سيما التفسير، وألفت الكتب الكثيرة في السيرة النبوية، والمغازي، والتاريخ، والطبقات، وأسست علوم العربية خدمة للقرآن الكريم، كما أن سيول الثقافة الأجنبية قد انصبت على المجتمع المسلم، ووجدت تشجيعاً عظيماً لا سيما في عهد الخليفة المأمون، وترجم الكثير من الكتب إلى اللغة العربية.

أما علوم الحديث، فقد بلغت في عصر الإمام أبي داود دورها الذهبي، ولقد سائرت علوم الحديث تدوين السُّنة في سيره، فتقدمت تقدماً كبيراً بما قام به علماء هذه الطبقة من جهود كبيرة في تحرير علوم الحديث وتصنيف المؤلفات الكبيرة فيها. ونظرة عابرة على كتاب: «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» لمحمد بن جعفر الكتاني، تكفي للاطلاع على المؤلفات العظيمة في علوم الحديث لعلماء ذلك العصر.

وقد عاش في ذلك العصر أعلام محدثي هذه الأمة كأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وغيرهم.

وفي هذا العصر برز في العالم الإسلامي لا سيما في حاضرة الخلافة بغداد تيار التصوف، وقد أوجد هذا التيار قوماً صالحين زهدوا في الدنيا، فانصرفوا عنها وعن زخارفها، وشغلوا أنفسهم بالاجتهاد في طاعة الله تعالى والإكثار من ذكره، والاستعداد ليوم المعاد، وكان رؤوس هؤلاء القوم: الفضيل بن عياض، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، والحارث المحاسبي، وغيرهم.

والحق أن الذي كان عليه هؤلاء القوم لم يكتسب اسم التصوف إلا فيما بعد، وهو يفترق كثيراً عن المصطلحات والأحوال التي أصبح عليها فيما بعد من يُدعون بالصوفية.

هذا، ولم يخلُ هذا العصر من هَنَاتِ أساءت للعلم والعلماء، بل

أساءت للإسلام والمسلمين، وفي رأسها «فتنة خلق القرآن» التي امتحن فيها أئمة أعلام، في مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل؛ تلك الفتنة التي ابتدعها المعتزلة، وأوحى بها كبيرهم القاضي أحمد بن أبي داود إلى الخليفة المأمون، فهويها وامتحن بها أئمة الإسلام، ثم أخذ العلماء بها من بعده أخوه المعتصم، ثم جاء المتوكل فأزال هذه الفتنة، وأراح الأمة من شرورها.

وفي هذا العصر برزت تيارات معادية للإسلام، ترسبت من بقايا المجوسية الفارسية، وسلكت مسلك الكيد الخفي للإسلام، وكان مقصدها الأول تخريب عقائد المسلمين، وإضعاف دولتهم، وكان منها المزدكية والمانوية والديصانية^(١)، بيد أن يقظة الخلفاء استطاعت أن تتصدى لهذه التيارات وتقمعها.

هذا، وعلى الرغم من هذه الهنات، فقد كانت الكلمة العليا في المجتمع الإسلامي للعقيدة الإسلامية ولأهل السنة والجماعة، وكان الأثر الأعظم في توجيه الأمة لأئمة الإسلام الأعلام من فقهاء ومحدثين، وفي مقدمتهم أئمة الفقه الأربعة وكبار الأئمة المحدثين.

هذه كلمة موجزة عن عصر الإمام أبي داود، أردنا منها أن نعطي القارئ فكرة سريعة عن ذلك العصر لا سيما في ناحيته السياسية والعلمية، ثم ننتقل بعدها إلى الحديث عن الإمام أبي داود - رحمه الله رحمة واسعة -.



(١) هذه أسماء فرق المجوس، انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/٢٥١ - ٢٥٦).

الإمام أبو داود

قبسات من سيرته، ولمحات من فضله

اسمه ونسبه ونسبته:

هو الإمام الثَّبَت^(١) سيد الحفاظ في وقته أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد بن عمرو الأزدي السجستاني. وقيل: سليمان بن الأشعث بن شدَّاد بن عمرو بن عامر، ويقال: عمران^(٢).

قلت: لعله وقع شيء من الاختصار.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: يقال: إن جده عمران قُتل مع علي - رضي الله عنه - بصفين^(٣).

والأزدي نسبته إلى الأزد، وهي قبيلة معروفة في اليمن^(٤).

ثم السجستاني: نسبته إلى سجستان، واختلف العلماء في تعيينه:

قال ابن خلكان: السَّجستاني: بكسر السين المهملة والجيم وسكون

(١) يقال رجل ثَبَت - بفتحيتين -: إذا كان عدلاً ضابطاً، وجمعه أثبات، مثل سبب وأسباب.

(٢) انظر: «خلاصة تذهيب الكمال» (ص ١٥٠)، و «وفيات الأعيان» (١/١٣٨)، و «تذكرة الحفاظ» (٢/١٧٠)، و «تهذيب التهذيب» (٤/١٦٩)، و «سير أعلام النبلاء» (١٣/٢٠٣).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٤/١٦٩).

(٤) جاء في «القاموس»: الأزْد: أبو حي باليمن، ومن أولاده الأنصار كلهم.

السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى سجستان الإقليم المشهور، وقيل: بل نسبته إلى سجستان أو سجستانه قرية من قرى البصرة، والله أعلم.

وروى شهاب الدين الحموي عن محمد بن أبي نصر أنه تتبّع البصريين فلم يعرفوا بالبصرة قرية يقال لها سجستان، غير أن بعضهم قال: إن بقرب الأهواز قرية تسمى بشيء من نحو ما ذكره، ولم يذكر أحد من الحفاظ أنه من غير سجستان المعروف، وينسب إليها السجزي، وهو من عجيب التغيير في النسب^(١).

وقال السمعاني: السّجستاني نسبة إلى سجستان، وهي إحدى البلاد المعروفة بكابل^(٢).

وقال تاج الدين السبكي: الإقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند^(٣).

وقال الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي: هذه النسبة إلى «سيستان» البلد المعروف فيما بين «السند» و«الهرات» بقرب «قندهار» و«جشت»^(٤). وإن سجستان الآن في بلاد أفغانستان.

ولادته:

ولد الإمام أبو داود سنة اثنتين ومائتين^(٥).

وكان أبو داود قد سكن البصرة، وقدم بغداد غير مرة، وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله عنه أهلها^(٦)، وآخر مرة زارها سنة ٢٧١هـ^(٧).

(١) «معجم البلدان» (٣٧/٥).

(٢) كتاب «الأنساب» (٢١/٣).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢٩٣/٢).

(٤) «بستان المحدثين» (ص ١٠٧).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢٩٣/٢).

(٦) «تاريخ بغداد» (٥٦/٩).

(٧) «مفتاح السعادة» (٩/٢).

وكانت البصرة في ذلك العصر مركز العلم والعلماء والطلاب.

ارتحاله إلى الآفاق:

لا نعرف إلاّ الشيء القليل عن بدايته، ولكنه لما نشأ وترعرع كانت دائرة علم الحديث واسعة، ولذلك ذهب يطوف مراكز العلم في العالم الإسلامي عدة سنوات، واتسعت رحلته فعمت بلاد خراسان، ومصر والحجاز، وكتب عن علماء هذه البلاد.

قال الخطيب البغدادي: وهو أحد من رحل وطوّف وجمع وصنّف، وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين^(١)، وسمع بخراسان والعراق والجزيرة^(٢) والشام ومصر.

قال ابن كثير: أبو داود السجستاني أحد أئمة الحديث، الرّحّالين إلى الآفاق في طلبه^(٣).

وزار طرسوس التي أقام بها عشرين سنة^(٤) ودمشق التي سمع الحديث فيها كما يذكر ابن عساكر^(٥).

شيوخه:

رحل الإمام أبو داود إلى المراكز المهمة التي حوت كبار المحدثين في بلاد المسلمين، واستفاد من الشيوخ الذين هم محل الثقة والأمانة، وأخذ الحديث ممن لا يحصى كثرة^(٦).

(١) «تاريخ بغداد» (٥٥/٩).

(٢) الجزيرة: الأراضي الممتدة بين دجلة والفرات، وكان فيها ديار مضر وديار بكر، سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهي تقع الآن في سوريا والعراق وتركيا.

(٣) «البداية والنهاية» (٥٤/١١).

(٤) «تهذيب الأسماء» (٢٦/٢).

(٥) «تهذيب ابن عساكر» (٢٤٤/٦).

(٦) «مفتاح السعادة» (٩/٢).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وشيوخه في «السنن» وغيرها نحو من ثلاثمائة نفس^(١).

ومن أعيانهم:

١ - أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي، الإمام الشهير، صاحب «المسند»، وُلد سنة أربع وستين ومائة، ومات ببغداد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين^(٢).

٢ - يحيى بن معين، أبو زكريا، أحد الأئمة الأعلام، قال الخطيب: كان إماماً ربانياً عالماً حافظاً ثباتاً متقناً، مات بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وحمل على سرير النبي ﷺ، وله نحو سبع وسبعين سنة^(٣).

٣ - إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب الحنظلي، نزيل نيسابور، أحد أئمة المسلمين وعلماء الدين، مولده سنة ١٦١هـ، ومات ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨هـ^(٤).

٤ - عثمان بن محمد بن أبي شيبة أبو الحسن العبسي الكوفي، أحد الحفاظ الأعلام، أخو أبي بكر بن أبي شيبة، صاحب «المسند» و «التفسير» مات سنة ٢٣٩هـ^(٥).

٥ - مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي مولا هم، البصري، أبو عمرو، روى عنه ابن معين والبخاري، ومات سنة ٢٢٢هـ^(٦).

(١) «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٢).

(٢) «طبقات السيوطي» (ص ١٨٦)، و «تاريخ بغداد» (٤/٤١٢)، و «تهذيب التهذيب» (١/٧٢ - ٧٥).

(٣) «طبقات السيوطي» (ص ١٨٥)، و «تذكرة الحفاظ» (٢/٤٢٩).

(٤) «وفيات الأعيان» (١/٦٤)، و «ميزان الاعتدال» (١/١٨٢).

(٥) «طبقات السيوطي» (ص ١٩٣)، و «شذرات الذهب» (٢/٩٢).

(٦) «تذكرة الحفاظ» (١/٢٩٢)، و «العبر» (١/٣٨٥).

- ٦ - ومنهم أبو عبد الرحمن عبد الله بن مَسْلَمَة بن قَعْنَب القعنبي، الحارثي، المدني، نزيل البصرة، المتوفى بمكة سنة إحدى وعشرين ومائتين^(١).
- ٧ - ومنهم الحافظ أبو الحسن مُسَدَّد بن مُسَرَّهَد بن مُسَرَّبَل البصري الأسدي، المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائتين^(٢).
- ٨ - ومنهم أبو سَلَمَة موسى بن إسماعيل التميمي المنقري التبوذكي، المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين^(٣).
- ٩ - ومنهم الحافظ أبو بكر محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري الملقب بـ بNDAR، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين^(٤).
- ١٠ - ومنهم الحافظ أبو خيثمة زهير بن حرب بن شداد الحرشي مولا هم، النسائي، المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين^(٥).
- ١١ - ومنهم أبو حفص عمر بن الخطاب السجستاني نزيل الأهواز، المتوفى سنة أربع وستين ومائتين^(٦).
- ١٢ - ومنهم أبو عثمان عمرو بن محمد بن بكير بن سابور الناقد، البغدادي، نزيل الرقة، المتوفى سنة اثنتين وعشرين ومائتين^(٧).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٥٧/١٠)، و «تهذيب التهذيب» (٣١/٦)، و «شذرات الذهب» (٤٩/٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥٩١/١٠)، و «تهذيب التهذيب» (١٠٧/١٠)، و «تهذيب الكمال» (٦٤٩١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣٦٠/١٠)، و «تهذيب التهذيب» (٣٣٣/١٠)، و «تهذيب الكمال» (٦٨٣٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤٤/١٢)، و «تهذيب الكمال» (٥٦٧٥).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٤٨٩/١١)، و «تهذيب الكمال» (١٩٩٥).

(٦) «تهذيب الكمال» (٤٨١٥).

(٧) «سير أعلام النبلاء» (١٤٦/١١)، و «تهذيب الكمال» (٥٠٣١).

- ١٣ - ومنهم الحافظ الصالح أبو السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي، المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين^(١).
- ١٤ - ومنهم الحافظ الإمام نصر بن علي الجهضمي الأزدي، المتوفى سنة خمسين ومائتين^(٢).
- ١٥ - ومنهم الحافظ الثبت أبو كريب محمد بن العلاء بن كريب الهمداني الكوفي، المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين^(٣).
- ١٦ - ومنهم أبو عثمان عمرو بن مرزوق الباهلي البصري، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين^(٤).
- ١٧ - ومنهم الحافظ أبو موسى محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس العنزي البصري، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين^(٥).
- ١٨ - ومنهم أبو عبد الله محمد بن كثير العبدي البصري، المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين^(٦).
- ١٩ - ومنهم الحافظ العَلَم أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي مولا هم، الكوفي، المتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين^(٧).
- ٢٠ - ومنهم الحافظ أبو العباس حيوة بن شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين^(٨).

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٤٦٥)، و«تهذيب الكمال» (٧١٩٨).

(٢) «تهذيب الكمال» (٧٠٠٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/١٣٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/٣٩٤)، و«تهذيب الكمال» (٦١٢٠).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤١٧)، و«تهذيب التهذيب» (٨/٩٨).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (١٢/١٢٣)، و«تهذيب التهذيب» (٩/٤٢٥)، و«تهذيب الكمال» (٦١٧٠).

(٦) «تهذيب الكمال» (٦١٦٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٨٣).

(٧) «سير أعلام النبلاء» (١١/١٢٢)، و«تهذيب التهذيب» (٦/٢).

(٨) «سير أعلام النبلاء» (١٠/٦٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٥٦٥).

ومن شيوخ الإمام أبي داود: سليمان بن حرب^(١) وأبو عمرو الحوضي^(٢)، وأبو الوليد الطيالسي^(٣)، وغيرهم كثير.

وقد شارك البخاري ومسلماً في بعض شيوخهما كأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وقتيبة بن سعيد.

تلاميذه:

توافد عليه الطلبة من كل جهة من الشرق والغرب، فأكب على إفادتهم وإرواء غُلَّتْهم بما كان يملكه من المادة الغزيرة في علم الحديث والرواية، فتوسَّع نطاق طلابه، ولا يمكن إحصاؤهم، وربما كان يجتمع في مجلس درسه ألوف من الرجال.

قد روى عنه خلق من الأئمة، قال الذهبي^(٤): كفى به فخراً أن الإمام الترمذي^(٥)، والنسائي من تلاميذه، وحسبه فضلاً أن يروي عنه شيخه أحمد بن حنبل حديثاً ويكتبه عنه، وهو ما رواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبي العُشراء الدارمي عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة فحسنها»^(٦).

قال الحافظ ابن كثير: حدث عنه جماعة، منهم ابنه أبو بكر

(١) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٣٠).

(٢) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٥٤).

(٣) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٣٤١).

(٤) «طبقات الحفاظ» (ص ٢٦١).

(٥) انظر روايته في: «جامع الترمذي» باب ما جاء في الرجل ينام عن الوتر أو ينساه (٢/٣٣٢).

(٦) «البداية والنهاية» (١١/٥٥)، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص ٤٥)، و«تذكرة الحفاظ» (ص ٥٩٢).

عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو بكر أحمد بن سلمان النجاد وهو آخر من روى عنه في الدنيا^(١)، ومنهم: الترمذي، وإسماعيل بن محمد الصفّار، ومحمد بن مخلد الدوري، وأحمد بن محمد بن هارون الخلال.

زهده وورعه:

كان الإمام أبو داود على درجة عالية من النسك والعفاف والصلاح والورع، وكان مثلاً يحتذى في هديه وسمته.

قال أبو حاتم: كان الإمام أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً.

وقال أبو موسى: تفقّه أبو داود بأحمد بن حنبل ولازمه مدة، وبلغنا عن بعض الأئمة أن أبا داود يُشَبَّه بأحمد بن حنبل في هديه وسمته ودلّه، وكان أحمد يُشَبَّه بوكيع، ووكيع بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وهو بعلقمة، وهو بابن مسعود، وقال علقمة: كان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ^(٢).

وجاءه سهل بن عبد الله التستري فقبل له: يا أبا داود، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً، فرحب به وأجلسه، فقال له: يا أبا داود، لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: حتى تقول: قضيتها مع الإمكان، قال: قد قضيتها مع الإمكان، قال: أخرج لسانك الذي حدثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله، قال: فأخرج لسانه فقبله^(٣).

(١) «البداية والنهاية» (٥٥/١١).

(٢) «البداية والنهاية» (٥٥/١١).

(٣) «وفيات الأعيان» (١٣٩/٢)، و «شذرات الذهب» (١٦٧/١ و ١٦٨).

وكان له كُفَّان: كُفٌّ واسع، وكُفٌّ ضيق، فسئل عن ذلك، فقال: الواسع للكتب، والثاني لا نحتاج إليه.

وقال: من اختصر على لباس دُونَ ومطعم دُونَ أراح جسده^(١).

اعتزازه بكرامة العلم والعلماء:

ومما يدل على هذا الاعتزاز ما ذكره الإمام الخطابي بسنده عن أبي بكر بن جابر - خادم أبي داود - قال: كنت مع أبي داود ببغداد، فصلينا المغرب، إذ قُرع الباب ففتحته، فإذا خادم يقول: هذا الأمير أبو أحمد الموفق يستأذن، فدخلت إلى أبي داود، فأخبرته بمكانه، فأذن له فدخل وقعد، ثم أقبل عليه أبو داود وقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خلال ثلاث، قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتخذها وطناً ليرحل إليك طلبة العلم من أقطار الأرض، قال: هذه واحدة، هات الثانية، قال: تروي لأولادي كتاب «السنن»، قال: نعم، هات الثالثة، فقال: تفرد لهم الرواية، فإن أولاد الخلفاء لا يجلسون مع العامة، فقال: أما هذه فلا سبيل إليها، فإن الناس شريفهم ووضعهم في العلم سواء، قال ابن جابر: فكانوا يحضرون بعد ذلك ويقعدون، ويضرب بينهم وبين الناس سِتر فيسمعون مع العامة^(٢)!!

وهكذا فليكن العلماء، لا يَسْعَوْنَ إلى الملوك والأمراء، وإنما يسعى إليهم الملوك والأمراء، وهكذا فلتكن المساواة في العلم والمعرفة.

اعتراف الأئمة بفضله وكماله:

كان أبو داود علماً من أعلام الإسلام حفظاً وفقهاً وعلماً بالأحاديث

(١) «تهذيب ابن عساكر» (٦/٢٤٦).

(٢) «مقدمة معالم السنن» (ص ٢)، و «تهذيب ابن عساكر» (٦/٢٤٥)، و «طبقات الشافعية» (٢/٢٩٦).

وعللها، وقد حظي بتقدير العلماء له، ونال اعتراف أهل العلم والفضل بعلمه وفضله في كل عهد وجيل.

قال أبو بكر الخلال^(١): أبو داود سليمان بن الأشعث الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواضعه أحد في زمانه، رجل ورع مقدم^(٢).

قال الحافظ موسى بن هارون^(٣): خُلِقَ أبو داود في الدنيا للحديث وفي الآخرة للجنة، ما رأيت أفضل منه^(٤).

ولما صنف كتابه «السنن» قال إبراهيم الحربي^(٥): ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود عليه السلام الحديد^(٦).

وهو تشبيه يدل على فضل الرجل في صناعة الحديث، وأنه يَسَّرَ العسير وقرَّبَ البعيد وذلَّلَ الصعب.

وقال الحاكم^(٧): أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة^(٨).

(١) هو: أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي، له كتب كثيرة، وقد جمع علم أحمد، توفي سنة ٣١١هـ. «البداية والنهاية» (١١/١٤٨).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٤/١٧١).

(٣) هو: الحافظ الحجة أبو عمران ابن المحدث أبي موسى الحمال البغدادي البزار، محدث العراق، توفي سنة ٢٩٤هـ. انظر: «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص ٢٩٢).

(٤) «طبقات الشافعية» (٢/٢٩٥)، و «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٢).

(٥) هو: إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي، كان حافظاً فقيهاً زاهداً، توفي ببغداد سنة ٢٨٥هـ. «شذرات الذهب» (٢/١٩٠)، و «تذكرة الحفاظ» (ص ٥٨٤).

(٦) «معالم السنن» (١/١٢)، و «البداية والنهاية» (١١/٥٥).

(٧) هو: محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري صاحب «المستدرک»، توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢/٣٣٥).

(٨) «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٢).

وقال الحافظ أحمد الهروي^(١): كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلمه وعلله وسنده في أعلى درجة، مع النسك والعفاف والصلاح والورع، وكان من فرسان الحديث في عصره بلا مدافعة^(٢).

وقال أبو حاتم بن حبان^(٣): كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، جمع وصنّف وذبّ عن السنن^(٤).

وقال ابن الجوزي^(٥): كان عالماً عارفاً بعلل الحديث، ذا عفاف وورع، وكان يشبهه بأحمد بن حنبل^(٦).

وقال الذهبي^(٧): كان رأساً في الحديث، رأساً في الفقه، ذا جلالة وحرمة وصلاح وورع حتى إنه كان يشبهه بأحمد^(٨).

(١) هو: أحمد بن محمد بن ياسين الهروي الحداد أبو إسحاق، مصنف «تاريخ هراة»، توفي سنة ٣٣٤هـ. انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢/٣٣٥).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٢)، و «المنتظم» لابن الجوزي (٥/٥٧).

(٣) هو: أبو حاتم محمد بن حبان البستي الشافعي صاحب «الصحيح»، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٦/٩٢).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٢).

(٥) هو: الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الحنبلي الواعظ المعروف بابن الجوزي، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم، توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر ترجمته في: «طبقات السيوطي» (ص ٤٧٨).

(٦) «المنتظم» (٥/٩٧).

(٧) هو: الإمام الحافظ، محدث العصر خاتمة الحفاظ، الناقد محمد بن عثمان الذهبي الشافعي الدمشقي، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر ترجمته في: «طبقات السيوطي» (ص ٥١٧).

(٨) «شذرات الذهب» (٢/١٦٧).

وقال النووي^(١): «واتفق العلماء على الثناء على أبي داود، ووصفه بالحفظ التام، والعلم الوافر، والإتقان، والورع، والدين، والفهم الثاقب في الحديث وغيره»^(٢).

تحرّيه في الإسناد:

قال أبو عبد الله بن منده^(٣): «الذين أخرجوا وميّزوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري ومسلم وبعدهما أبو داود والنسائي»^(٤).

وقد جاء في كتاب «الميزان» للذهبي: قال زكريا بن يحيى الحلواني: رأيت أبا داود السجستاني قد جعل حديث يعقوب بن كاسب وقايات^(٥) على ظهور كتبه، فسألته عنه فقال: رأينا في «مسنده» أحاديث أنكرناها فطالبناه بالأصول، فدافعنا ثم أخرجها بعد، فوجدنا الأحاديث في الأصول مغيرة بخط طري، كانت مراسيل فأسندناها وزاد فيها^(٦).

وذكر ابن يعلى أن محمد بن علي الآجري^(٧) قال: قلت لأبي داود:

(١) هو: الإمام الفقيه الحافظ الأوحّد القدوة شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي، صنف التصانيف النافعة في الحديث والفقه، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر ترجمته في: «طبقات السيوطي» (ص ٥١٠).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٢٢٥).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده الحافظ، المتوفى سنة ٣٩٦هـ. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٧/٢٨).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٤/٤٧٢).

(٥) أي أغلفة يغلف بها الكتب.

(٦) «الميزان» للذهبي (٤/٤٥١).

(٧) هو: الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، كان عالماً عاملاً صاحب سنة، دَيِّناً ثقة، توفي في محرم سنة ٣٦٠هـ. «طبقات السيوطي» (ص ٣٧٨).

أيهما أعلى عندك: علي بن الجعد^(١) أو عمرو بن مرزوق^(٢)؟

قال: عمرو أعلى عندنا، علي بن الجعد وُسِمَ بميسم سوء؛ قال: وما يسوءني أن يعذب الله معاوية، وقال: ابن عمر، ذلك الصبي^(٣)! يعني أن علي بن الجعد كان يقع في الصحابة، وذلك عندما يقرر أنه لا يسوءه أن يعذب الله معاوية - رضي الله عنه -، وكذلك فإن قوله عن ابن عمر: «إنه صبي» فيه ما يدل على قلة احترامه للصحابة، وعلى التهوين من شأنهم.

مذهبه الفقهي:

واختلف في مذهبه الفقهي، ف قيل: حنبلي، وقيل: شافعي^(٤). وعده الشيخ أبو إسحاق الشيرازي^(٥) في «طبقات الفقهاء» من أصحاب أحمد بن حنبل^(٦)، وكذلك ذكره القاضي ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة»^(٧).

وأما السيد صديق حسن خان^(٨)، فقد ذكر في كتابه «أبجد العلوم»

(١) هو: علي بن الجعد الهاشمي مولا هم الجوهري البغدادي، مات سنة ٢٣٠هـ. «خلاصة تذهيب الكمال» (ص ٢٧٢).

(٢) هو: عمرو بن مرزوق الباهلي أبو عثمان البصري، مات سنة ٢٢٤هـ. «خلاصة تذهيب الكمال» (ص ٢٩٣).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/١٥٩).

(٤) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٢٢٤).

(٥) هو: إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق الشيرازي، له مؤلفات كثيرة شهيرة، توفي سنة ٤٧٦هـ. «شذرت الذهب» (٣/٣٤٩).

(٦) «بستان المحدثين» (ص ٢٢٤).

(٧) (١/١٥٩).

(٨) هو: صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب، حَصَلَ العلم في دهلي، ثم ارتحل إلى بهوفال، وتزوج بملكته، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر، وسافر إلى الحجاز وحج، وأخذ عن علماء اليمن من تلاميذ الشوكاني، أكثر التصنيف حتى أربت مؤلفاته على الستين، مولده ١٢٤٨هـ، ووفاته ١٣٠٧هـ. انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٨/٢٠٢).

البخاري وأبا داود والنسائي في الشوافع^(١).

وقال صاحب «كشف الظنون»^(٢) في ذكر أبي داود: ومن مذهبه أن الحديث الضعيف أقوى عنده من رأي الرجال، وهو قول جماعة من العلماء، منهم الإمام أحمد بن حنبل، إلى أن قال: وبهذا وشبهه يتقوى ما يقال: إن أبا داود وكذلك الترمذي مجتهدان مطلقان منتسبان إلى أحمد وإسحاق^(٣).

وقال الشيخ طاهر الجزائري^(٤): وعندي أن البخاري وأبا داود أيضاً كبقية الأئمة المذكورين ليسا مقلدَيْن لواحد بعينه، ولا من الأئمة المجتهدين على الإطلاق، بل يميلان إلى أقوال أئمتهم^(٥).

قال الإمام العلامة الشيخ محمد أنور الكشميري^(٦): النسائي

(١) «أبجد العلوم» (ص ٨١٠).

(٢) هو: مصطفى بن عبد الله كاتب چلبی، المعروف بحاجي خليفة، مؤرخ بحاث، تركي الأصل، مولده ووفاته في القسطنطينية، من كتبه: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، مولده ١٠١٧هـ، ووفاته ١٠٦٧هـ. انظر ترجمته في: «هدية العارفين» (٤٤٠/٢).

(٣) «كشف الظنون» (٢/٢٩٩).

(٤) هو: طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري ثم الدمشقي (١٢٦٨ - ١٣٣٨هـ)، بحاث من أكابر العلماء باللغة والأدب، أصله من الجزائر، مولده ووفاته في دمشق، ساعد على إنشاء دار الكتب الظاهرية في دمشق، وأصبح مديراً لها، وكان أحد أعضاء (المجمع العلمي العربي) بدمشق، له نحو من عشرين مصنفاً في مختلف العلوم. انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٣/٣٢٠).

(٥) «توجيه النظر» (ص ١٨٥).

(٦) هو: العلامة المحدث محمد أنور الكشميري المتوفى ١٣٥٢هـ. وجمع أمالي درسه حول «الجامع الصحيح» للإمام البخاري تلميذه البار مولانا بدر عالم الميرتهي ثم المدني المتوفى ١٣٨٥هـ. وأسمى الكتاب «فيض الباري». انظر ترجمته في: «نفحة العنبر» للعلامة البنوري.

وأبو داود حنبلان، صرح به الحافظ ابن تيمية^(١).

وفي موضع آخر من «الفيض» (ص ٣٠١) جزم بأنه حنبلي.

وقال الشيخ ابن القيم^(٢) في «إعلام الموقعين»: البخاري ومسلم وأبو داود والأثرم^(٣)، وهذه الطبقة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين المحض المنتسبين إليه^(٤).

وكذلك ذكر هؤلاء الثلاثة ابن أبي يعلى^(٥) في «طبقات الحنابلة».

وأما التاج السبكي^(٦) فلم يذكر في «طبقات الشافعية» إلا البخاري وأبا داود والنسائي. وأما الحنفية والمالكية فلم يذكروا واحداً منهم في طبقاتهم^(٧).

(١) «فيض الباري» (١/٥٨).

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من كبار العلماء، والتلميذ الأول لشيخ الإسلام ابن تيمية، ألف كتباً كثيرة، منها: «إعلام الموقعين» و«زاد المعاد» و«روضة المحبين»، ومولده ووفاته بدمشق ٦٩١هـ - ٧٥١هـ. انظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات» (٢/٢٧٠)، و«شذرات الذهب» (٦/١٦٨).

(٣) هو: الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ، الإسكافي الأثرم الطائي، أحد الأعلام، ومصنف «السنن»، وتلميذ الإمام أحمد بن حنبل. انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٢/٦٢٤).

(٤) «إعلام الموقعين» (١/٢٢٦).

(٥) هو: محمد بن أبي يعلى المتوفى سنة ٥٢٧هـ، صاحب «طبقات الحنابلة». انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٦/١٣٩).

(٦) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر تاج الدين بن تقي الدين قاضي القضاة، المؤرخ الباحث، وُلد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. كان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء القضاة في الشام، جرت عليه محن وشدائد عظيمة، من كتبه «طبقات الشافعية الكبرى» ومولده ٧٢٧هـ، ووفاته ٧٧١هـ. انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٦/٢٢١).

(٧) انظر: «مقدمة لامع الدراري» (ص ٥٩).

قال العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا^(١): إن أهل العلم اختلفوا في مسالك أئمة الحديث، فبعضهم عدوهم كلهم من المجتهدين وآخرون عدوهم كلهم من المقلدين.

والأوجه عندي أن فيهم تفصيلاً: فإن الإمام أبا داود عندي حنبلي قطعاً، متشدد في مسلك الحنابلة، كالطحاوي في الحنفية.

ولا يشك في ذلك من أمعن النظر في «سنن أبي داود»، فإنه رحمه الله كثيراً ما أشار إلى ترجيح مسلكهم، بخلاف الروايات المعروفة، كما أشار إلى ذلك بتبويب البول قائماً، والمعروف عنه عليه السلام البول جالساً، ولم يذكر هذه الرواية في الباب مع أنه أخرجها في موضع آخر، وترجم بباب الوضوء بفضل طهور المرأة، ثم ذكر بعد ذلك باب النهي عن ذلك إشارة إلى تأخره، وترجم بباب الوضوء مما مست النار، وترجم بعد ذلك بباب التشديد في ذلك، كأنه رجح أن الأمر وقع فيه التشديد بعد التخفيف، ويظهر نظائر ذلك كثيراً لمن أمعن النظر في الكتاب^(٢).

وقال في موضع آخر: والذي تحقق لي أن أبا داود حنبلي بلا ريب، لا ينكر ذلك من أمعن النظر في «سننه»، والإمام البخاري عندي مجتهد برأسه، وهذا أيضاً ظاهر من ملاحظة تراجمه بدقة النظر لمن يعرف اختلاف الأئمة^(٣).

(١) هو: أستاذنا المحدث الكبير العلامة محمد زكريا الكاندهلوي صاحب «أوجز المسالك» وغيره من المؤلفات الكثيرة والتعليقات النافعة على الكتب الستة، نزيل المدينة المنورة، مولده عام ١٣١٥هـ. وقد توفي سنة ١٤٠٢هـ بالمدينة المنورة، ودفن في البقيع، بجوار رسول الله عليه السلام، انظر ترجمته في كتاب «تذكرة حياته» لسماحة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي، و «الإمام المحدث محمد زكريا الكاندهلوي وآثاره في علم الحديث» لولدي العزيز الدكتور ولي الدين الندوي.

(٢) «مقدمة لامع الدراري» (ص ٧٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٦٢).

وإذا أردت التفصيل فعليك بمطالعة مقدمة «لامع الدراري على جامع البخاري» في الفائدة التاسعة.

وفاته:

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم وجمع الأحاديث ونشرها، توفي الإمام أبو داود بالبصرة التي اتخذها موطناً له، وكانت وفاته في شوال سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري - عليهما رحمة الله -.

ابنه أبو بكر:

وقد ترك الإمام أبو داود ابناً يسمى «عبد الله»، وقد صار حافظاً كبيراً، وهو أبو بكر عبد الله بن أبي داود فهو إمام ابن إمام، وُلد أبو بكر سنة ثلاثين ومائتين، وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمائة^(١).

مؤلفاته:

١ - «المراسيل»: وقد طُبِعَ بالقاهرة سنة ١٣١٠هـ.

٢ - «الرد على القدرية»: كما ذكره السيوطي في «التدريب» (ص ٥٦)، والحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» باسم «الرد على أهل القدر»، وذكر أن راوي هذا الكتاب عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوئي البصري^(٢). وقال فؤاد سزكين^(٣): ذكره ابن حجر في كتابه «الإصابة».

٣ - «الناسخ والمنسوخ»: ذكر ابن حجر أن راوي هذا الكتاب عنه^(٤)

(١) «تذكرة الحفاظ» (٢/٤٣).

(٢) انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٠).

(٣) «تاريخ التراث العربي» (١/٢٣٨).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٤/١٧٠).

١٩ - «أصحاب الشعبي»: ورد في «سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود».

٢٠ - «الكنى»: ذكره ابن حجر في «الإصابة»^(١).

٢١ - «ما تفرّد به أهل الأمصار»: ذكره ابن تيمية في «رفع الملام»^(٢)، والزركشي في «النكت»^(٣).

٢٢ - ومن أهم تصانيفه كتابه «السنن». ولذلك سأشبع الكلام فيه إن شاء الله تعالى.



(١) (٤٣٧/٣).

(٢) (ص ٢٤). وانظر: «مجموعة الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢٠/٢٤٢).

(٣) (٤٢/١).

«سُنن أبي داود»

تأليفه - مكانته - خصائصه

كانت المؤلفات في الحديث - الجوامع والمسانيد ونحوها - يُذكر فيها إلى جانب أحاديث الأحكام الفضائل والقصص والمواعظ والآداب والتفسير؛ حتى جاء الإمام أبو داود وصنّف كتابه «السنن» تصنيفاً خاصّاً بأحاديث الأحكام مع الاستقصاء.

قال الإمام الخطابي: كان تصنيف علماء الحديث - قبل زمان أبي داود - الجوامع والمسانيد ونحوهما، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وآداباً، فأما السنن المحضه فلم يقصد واحد منهم جمعها واستيفاءها، ولم يقدر على تخليصها واختصار مواضعها من أثناء تلك الأحاديث الطويلة ومن أدلة سياقها على حسب ما اتفق لأبي داود. ولذلك حلّ هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محلّ الإعجاب، فضربت فيه أكباد الإبل ودامت إليه الرّحل^(١).

ينبغي أن يعلم أنّ هناك اصطلاحاً خاصّاً للسنن، قال الكتاني: وهي في اصطلاحهم الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان، والطهارة، والصلاة، والزكاة، وليس فيها شيء من الموقوف، لأنّ الموقوف لا يسمّى في اصطلاحهم سنّة، ويسمّى حديثاً^(٢).

(١) «معالم السنن» (١/١١).

(٢) «الرسالة المستطرفة» (ص ٣٢).

وفتاوى الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - وآراء الرجال، فتقطعت عليه متون الأحاديث وطرقها في أبواب كتبه.

وقصد مسلم تجريد الصحاح بدون تعرّض للاستنباط على أجود ترتيب ولم تنقطع عليه الأحاديث.

وهمة أبي داود جمع الأحاديث التي استدلّ بها فقهاء الأمصار، وبنوا عليها الأحكام، فصنّف «سننه»، وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل، وهو يقول: «وما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه»، وما كان منها ضعيفاً صرّح بضعفه، وترجم على كل حديث مما قد استنبط منه عالم، وذهب إليه ذاهب، وما سكت عنه فهو صالح عنده. وأحوج ما يكون الفقيه إلى كتابه»^(١).

وقال الإمام أبو داود في وصف كتابه «السنن»: «أما هذه المسائل: مسائل الثوري ومالك والشافعي، فهذه الأحاديث أصولها»^(٢).

كتاب «سنن أبي داود» جامع للأحاديث التي استدلّ بها فقهاء الأمصار وبنوا عليها الأحكام:

قال الإمام ولي الله الدهلوي: كان الإمام أبو داود السجستاني همه جمع الأحاديث التي استدلّ بها الفقهاء ودارت فيهم، وبنى عليها الأحكام علماء الأمصار، فصنّف «سننه»، وجمع فيها الصحيح والحسن واللين والصالح للعمل، وما ذكر في «سننه» حديثاً أجمع الناس على تركه، وما كان ضعيفاً صرّح بضعفه، وما كان فيه علة بينها للعمل بوجه يعرفها الخائض في هذا الشأن، وترجم على كل حديث بما قد استنبط منه عالم وذهب إليه ذاهب»^(٣).

(١) هامش «شروط الأئمة» للحازمي (ص ٧٣).

(٢) والبسط في رسالته إلى أهل مكة.

(٣) «حجة الله البالغة» (١/ ٣٥٠).

للإمام أبي داود عند هذا العبد . وبذلك جزم صاحب «مفتاح السعادة» إذ قال : أعلم أنّ رئيس هؤلاء الطائفة وقدوتهم بعد مالك الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، يليه في الرتبة كتاب مسلم ، يليهما أبو داود ، يليهم أبو عيسى الترمذي ، يليهم أبو عبد الرحمن النسائي . وبذلك جزم صاحب «نيل الأمان» إذ قال في شرح قول القسطلاني : ومنهم من لم يتقيد بذلك كباقي الكتب الستة ، قال : وهي سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وهم على هذا الترتيب في الصّحة .

وكلام ابن سيّد الناس في شأن أبي داود يشير إلى أنه يجعله في رتبة مسلم إذ قال : فهذا ألزم بما ألزم به أبو داود ، فمعنى كلّ منهما واحد . . . إلى آخر ما بسطه السيوطي في «التدريب» .

وفي «الحطة» : قال السبكي في «طبقاته» : الفقهاء لا يتحاشون من إطلاق لفظ الصحيح عليها وعلى الترمذي . وقال صاحب «الحطة» : بعد «الصحيحين» كتاب أبي داود ، ثم النسائي ، ثم الترمذي .

وهكذا الترتيب بين الكتب الستة عند أستاذنا المحدث الكبير محمد زكريا الكاندهلوي .

وقال السيوطي في «التدريب» : قال الذهبي : انحطت رتبة «جامع الترمذي» عن «سنن أبي داود» و«النسائي» لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وغيرهما . كذا ذكره الدمتي في «نفع قوت المغتذي» .

وقال الشيخ : وأيضاً إنّ الروايات التي حكم عليها بالوضع في الترمذي وإن لم يكن صحيحاً هي أكثر جدّاً مما حكم عليها بالوضع في أبي داود والنسائي ، فهذا أيضاً يؤيد ما اخترته من «الترتيب» .

ووضع بعض الناس «سنن النسائي» بعد «الصحيحين» ، وكذلك قدّم جماعة «سنن الترمذي» على «النسائي» كما تقدّم قريباً عن «مفتاح السعادة» و «نيل الأمان» ، وإليه يشير صنيع شيخ مشايخنا عبد العزيز في «البستان»

و «العجالة»، إذ ذكر الكتب الستة على هذا المنوال: البخاري، ومسلماً، وأبا داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وسبقه والده الشيخ ولي الله في ذلك الترتيب كما في رسالته «الإرشاد إلى مهمّات الإسناد»، وتبعهما صاحب «اليانع الجني» في هذا الترتيب، ومن الأسلاف ذكرها النووي في «تقريبه» أيضاً على هذا المنوال، وآخر الأمّهات الست ابن ماجه بلا خلاف في كونه آخرها رتبة. انتهى باختصار^(١).

الكلام على ما سكت عليه أبو داود:

وفي «التقريب»: (فقد جاء عنه أنه يذكر فيه الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، وما كان فيه وهن شديد بيّنه، وما لم يذكر فيه شيئاً فهو صالح). قال: وبعضها أصحّ من بعض (فعلى هذا ما وجدنا في كتابه مطلقاً) ولم يكن في أحد الصحيحين (ولم يصححه غيره من المعتمدين) الذين يميّزون بين الصحيح والحسن (ولا ضعفه فهو حسن عند أبي داود)؛ لأنّ الصالح للاحتجاج لا يخرج عنهما، ولا يرتقي إلى الصّحة إلّا بنصّ، فالأحوط الاقتصار على الحسن، وأحوط منه التعبير عنه بصالح.

وبهذا التقرير يندفع اعتراض ابن رُشيد^(٢) بأنّ ما سكت عليه قد يكون عنده صحيحاً، وإن لم يكن كذلك عند غيره، وزاد ابن الصلاح أنه قد لا يكون حسناً عند غيره ولا مندرجاً في حدّ الحسن إذ حكى ابن منده أنه سمع محمد بن سعد البارودي يقول: كان من مذهب النسائي أن يخرج عن كل أحد ممن لم يجمع على تركه، قال ابن منده: وكذلك أبو داود يأخذ مأخذه ويخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره؛ لأنه أقوى عنده

(١) مقدمة «الامع الدراري» (ص ١٣٩، و ١٤٠).

(٢) هو: الإمام المحدث محبّ الدّين أبو عبد الله محمد بن عمر، المعروف بابن رُشيد الفهري السبتي، وُلِدَ سنة ٦٥٧هـ وتُوفّي سنة ٧٦١هـ. انظر ترجمته في: «طبقات السيوطي» (ص ٥٢٥).

من رأي الرجال، وهذا أيضاً رأي الإمام أحمد، فعلى ما نقل عن أبي داود يحتمل أن يريد بقوله: «صالح» الصالح للاعتبار دون الاحتجاج، فيشمل الضعيف أيضاً^(١).

وقال الشوكاني: قال الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير: إنه أجاز ابن الصلاح والنووي وغيرهما من الحفاظ العمل بما سكت عليه أبو داود لأجل هذا الكلام المروي عنه وأمثاله مما روي عنه، قال النووي: إلا أن يظهر في بعضها أمر يقدر في الصحة والحسن فيجب ترك ذلك، قال ابن الصلاح: وعلى هذا ما وجدناه في كتابه مذكوراً مطلقاً ولم نعلم صحته، عرفنا أنه من الحسن عند أبي داود؛ لأن ما سكت عنه يحتمل عند أبي داود الحسن والصحة.

وقد اعتنى المنذري في نقد الأحاديث المذكورة في أبي داود، وبين ضعف كثير مما سكت عنه، فيكون خارجاً عما يجوز العمل به، وما سكتا عليه جميعاً فلا شك أنه صالح للاحتجاج إلا في مواضع يسيرة قد نبهت على بعضها في هذا الشرح^(٢).

وذكر الحافظ ابن حجر قول ابن منده، ثم قال: من هنا يظهر لك طريق من يحتج بكل ما سكت عليه أبو داود، فإنه يخرج أحاديث جماعة من الضعفاء في الاحتجاج ويسكت عليها، كابن لهيعة، وصالح مولى التوأمة، وموسى بن وردان، فلا ينبغي للناقد أن يتابعه في الاحتجاج بأحاديثهم، بل طريقه أن ينظر هل لذلك الحديث متابع يعتضد به، أو هو غريب فيتوقف فيه؟ لا سيما إن كان مخالفاً لرواية من هو أوثق منه، فإنه ينحط إلى قبيل المنكر، وقد يخرج أحاديث من هو أضعف من هؤلاء بكثير، كالحارث بن وجيه، وصدقة بن موسى الدقيقي، ومحمد بن

(١) «تدريب الراوي» (ص ٩٧).

(٢) «نيل الأوطار» (٣/١).

عبد الرحمن البيلماني، وكذا فيه من الأسانيد المنقطعة، وأحاديث المدلسين، والضعفاء، والأسانيد التي فيها من أبهت أسماؤهم، فلا يتجه الحكم على أحاديث هؤلاء بالحسن من أجل سكوت أبي داود؛ لأن سكوته تارة يكون اكتفاءً بما تقدم له من الكلام في ذلك الراوي، وتارة يكون الذهول، وتارة يكون لظهور شدة ضعف ذلك الراوي واتفاق الأئمة على طرح روايته، كأبي حدير، ويحيى بن العلاء، وتارة يكون لاختلاف الرواة عنه، وهو الأكثر، فإن في رواية أبي الحسن بن العبد عنه من الكلام على جماعة من الرواة والأسانيد ما ليس في رواية اللؤلؤي، وإن كانت روايته أشهر، ثم قال: الصواب عدم الاعتماد على مجرد سكوته لما وصفنا^(١).

قلت: لا بد للناظر في السنن من أن يحقق كل ما سكت عنه الإمام أبو داود؛ لأنه يجد في بعض المواضع أن الإمام أبا داود سكت عنه، وسكت عنه المنذري، ولكن بعد التحقيق والبحث يجد أن الحديث ضعيف؛ مثلاً روى أبو داود هذا الحديث: «رأيت ابن عمر أناخ راحلته... إلخ»، وسكت عنه، وفي «بذل المجهود»: وكذلك سكت عنه المنذري، ولم يتكلم عليه في «تخريج السنن»، وذكره الحافظ ابن حجر ولم يتكلم عليه بشيء، وذكر في «الفتح» أنه أخرجه أبو داود والحاكم بإسناد حسن، قلت: سكوت المحدثين عليه وقول الحافظ: حسن، عجيب، فإن حسن بن ذكوان راوي الحديث ضعيف ضعفه كثير من المحدثين، فكيف يصلح للاحتجاج به؟^(٢).

مدة تأليف «السنن»:

لم أجد في مرجع من المراجع المدة التي تم فيها تأليف كتاب «السنن»، ولكنه لما صنف هذا الكتاب عرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده

(١) «المنهل العذب المورود في حل أبي داود» (١/١٨).

(٢) «بذل المجهود» (١/١٨٣).

واستحسنه، ويدل ذلك على أنه صنف قبل المائتين وإحدى وأربعين، لأنه عام وفاة الإمام أحمد بن حنبل^(١)، فالظاهر أنه فرغ من تأليف هذا الكتاب قبل أربع وثلاثين سنة من وفاته سوى ما ألحقه بعد ذلك.

عدد روايات «السنن» :

قال أبو داود في «رسالته» : «كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، منها ما ضمنت هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، وأيضاً فيه نحو ستمائة من المراسيل».

قال السيوطي : عدة أحاديث كتاب أبي داود أربعة آلاف وثمانمائة حديث^(٢).

وقال أبو داود في «رسالته» : «أما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى، كسفيان الثوري، ومالك، والأوزاعي حتى جاء الشافعي فتكلم فيه، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره».

وقد قسم أبو داود كتابه إلى كتب، والكتب إلى أبواب، وعدة الكتب (٣٥) كتاباً، منها ثلاثة كتب لم يبوب فيها أبواباً، وعدة الأبواب (١٨٧١) باباً.

يكفي الإنسان لدينه أربعة أحاديث :

قال أبو داود : يكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها : «إنما الأعمال بالنيات».

والثاني : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

والثالث : قوله ﷺ : «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه».

(١) «تذكرة الحفاظ» (٢/١٥٣).

(٢) «تدريب الراوي» (ص ٩٨).

والرابع: قوله عليه السلام: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتهات... إلخ».

قلت: هكذا في «سنن أبي داود» بألفاظ مختلفة.

وفي «جامع الأولياء» (ص ١٥٠) في وصايا الإمام أبي حنيفة لابنه حماد: انتخبت خمسة أحاديث من خمسمائة ألف، الأربعة هذه والخامس: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

قال أستاذنا المحدث العلامة محمد زكريا: لعل الإمام أبا داود أخذ هذا من كلام الإمام الأعظم أبي حنيفة حيث كان معترفاً بفضل الإمام أبي حنيفة وجلالة قدره؛ لأنه قال: رحم الله أبا حنيفة أن كان إماماً. كذا ذكره الحافظ ابن عبد البر في كتابه «الانتقاء».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١)، تحت حديث جرير «النصح لكل مسلم»: إنه أحد الأحاديث الأربعة التي قيل: إنها أحد أرباع الدين، وعده فيها محمد بن أسلم الطوسي، وقال النووي: بل هو محصل لغرض الدين.

وقال الشيخ عبد العزيز الدهلوي: ومعنى الكفاية أنه بعد معرفة القواعد الكلية لا تبقى حاجة إلى مجتهد في الجزئيات، فإن الحديث الأول يكتفى به لتصحيح العبادات، والثاني لمحافظة الأوقات، والثالث لمعرفة الحقوق، والرابع لرفع الشك والتردد من اختلاف العلماء... مختصراً^(٢).

خصائص الكتاب:

من أراد أن يطالع «سنن أبي داود» ينبغي له أن يحفظ هذه الخصائص لئلا يقع في الزلل والخط:

(١) «فتح الباري» (١/١٠٣).

(٢) «الحطة بذكر الصحاح الستة» (ص ١٠٥)، و«بستان المحدثين» (ص ١١٩).

منها: ما تقدم من قول السيوطي: إن لأبي داود في حصر أحاديث الأحكام ما ليس لغيره، قيل: إنه كافٍ للمجتهد.

ومنها: أنه يجمع الأسانيد في سند واحد، ثم يفصل لفظ كل واحدة منها على حدة، ومن دأب المؤلف أنه يخلط بين إسنادين أو أكثر، وكذا يخلط بين المتنين أو أكثر، ثم يميز كل رجل بما انفرد به من زيادة وصف الراوي، أو بيان نسبته، أو الزيادة في متن الحديث، أو التغيير فيه، أو نحو ذلك مما يتعلق بالحديث، ويكون هذا منه في أثناء الإسناد أو في أثناء متن الحديث بطريق الاعتراض، ثم يسوق الإسناد والمتن كما هو.

ومن دأبه: أنه إذا اجتمع السندان على رجل واحد، فإن كانت روايتهما عنه بـ «حدثنا» يذكره المؤلف في آخر كل واحد من هذين السندين أو يذكر السندين أولاً، ثم يذكر ذلك الرجل في آخر السند الثاني فيقول: قالوا: حدثنا فلان. وإن كانت رواية أحدهما عنه بـ «حدثنا» ورواية الآخر عنه بـ «عن»؛ فهذا السند الذي تكون روايته بـ «عن» يذكره المؤلف متأخراً، ويذكر في آخره ذلك الرجل فيقول مثلاً: حدثنا فلان، ثنا فلان، ثنا فلان، عن فلان، فهو فلان الذي يتغير عليه الإسناد من حدثنا إلى عن، هو الذي اجتمع عليه الإسنادان، فهذا الإسناد لا بد أن يكون بطريق حدثنا، ثم يتغير إلى عن - فافهم.

ومنها: أنه قد يجمع بين الروايات المختلفة بالترجمة كما فعل في روايات «النهي عن استقبال القبلة والاستدبار عند الحاجة»، فبُوب على روايات الإباحة بالرخصة.

ومنها: أنه قد نبه بالترجمة على الشمول في الحكم؛ مثلاً في «باب المواضع التي نهى عن البول فيها»، فليس في الروايات ذكر البول، لكنه شَبَّه بها على أن الحكم تشمله العلة.

ومنها: أنه عليه الصلاة والسلام قال في المنام: «من أراد أن يتمسك بالسنن فليقرأ سنن أبي داود» كما تقدم.

ومنها: أنه أول تأليف في السنن، فقد كانت التصانيف قبل ذلك الجوامع والمسانيد، ولكن فيه نظر، كما مر عليه الكلام.

ومنها: أنه يقدّم رواية الأقدم على الأحفظ كما جزم به في رسالته إلى أهل مكة، وجملته عشرة أحاديث.

ومنها: أنه إذا أعاد الحديث في الباب من وجهين أو ثلاثة فلزيادة كلام أو كلمة في ذلك؛ كما جزم به في «رسالته».

ومنها: أنه قد اختصر الحديث الطويل، إذ لو كتبه لا يعلم بعض من سمعه موضع فقعه كما ذكر في «رسالته».

ومنها: أن فيه حديثاً ثلاثياً، وفي الحقيقة أنه رباعي، ولكنه في حكم الثلاثي، وهو حديث أبي برزة^(١) الذي أخرجه في آخر كتاب الحوض وهو أعلى ما عند أبي داود^(٢).

تجزئة الكتاب:

إن النساخ والرواة جَزَّؤوا الكتاب إلى أجزاء، أما الخطيب البغدادي الذي روى السنن برواية اللؤلؤي، فجَزَّأه في اثنين وثلاثين جزءاً لا كما زعم البعض ثلاثين جزءاً.

الأحاديث المنتقدة في «سنن أبي داود»:

اعلم أن الحافظ ابن الجوزي قد ذكر في كتابه «الموضوعات» تسعة أحاديث مما أخرجها أبو داود في «سننه»، وحكم عليها بالوضع. والتحقيق أنها ليست بموضوعة كما حققها السيوطي في كتابه «القول الحسن في الذب عن السنن» وفي كتابه «التعقبات على الموضوعات» وأجاب عن جميع

(١) رقم الحديث (٤٧٤٩).

(٢) «المنهل العذب المورود» (١/٢٠).

إيرادات ابن الجوزي. ولا تعجب من ابن الجوزي أنه كيف حكم عليها بالوضع وهي في «سنن أبي داود»؛ فإنه متساهل في الحكم بالوضع، كما أن الحاكم متساهل في الحكم بالتصحيح، وتساهلهما مشهور.

وقال شيخ الإسلام ابن حجر: إن تساهله أي تساهل ابن الجوزي [في «الموضوعات»] وتساهل الحاكم في «المستدرک» أعدم النفع بكتائيهما، إذ ما من حديث فيهما إلا ويمكن أن يكون مما وقع فيه التساهل^(١).

وقد بسط الكلام في هذا الأمر العلامة الشيخ محمد زكريا في مقدمة كتابه «لامع الدراري» (ص ١٩٨) على موضوعات ابن الجوزي.

وإني أيضاً قد أخرجت من التعقبات إيرادات ابن الجوزي على الكتب الستة في جزء، وسمّيته: «الدفاع عما أورده ابن الجوزي على الصحاح». هو مخطوط.

درجات أحاديث «السنن»:

ذكر الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء»^(٢) أن الأحاديث في «سنن أبي داود» ستة أنواع، فقال:

١ - إن أعلى ما في كتاب أبي داود من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شطر الكتاب.

٢ - ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين ورغب عنه الآخر.

٣ - ثم يليه ما رغبا عنه وكان إسناده جيداً سالماً من علة وشذوذ.

٤ - ثم يليه ما كان إسناده صالحاً وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لئنين فصاعداً.

(١) «التعقبات على الموضوعات» (ص ١)، و «تدريب الراوي» (ص ١٨١).

(٢) (٢١٤/١٣).

٥ - ثم يليه ما ضُعّف إسناده لنقص حفظ راويه، فمثل هذا يسكت عنه أبو داود غالباً.

٦ - ثم يليه ما كان بين الضعف من جهة راويه، فهذا لا يسكت عنه بل يوهنه غالباً، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارتة^(١).

والحق أن أحاديث «سنن أبي داود» متفاوتة المراتب، فما كان وهنه شديداً بيّنه.

وعن أبي داود أنه قال: ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه^(٢)، وما كان به من حديث فيه وهن شديد فقد بينته.

نسخ الكتاب:

توجد لـ «سنن أبي داود» نسخ عديدة، بعضها خطية وبعضها مطبوعة، ذكرها بروكلمان وفؤاد سزكين.

ولقد ظفر صاحب «عون المعبود» بإحدى عشرة نسخة من سنن أبي داود وكلها من رواية اللؤلؤي، إلا نسخة واحدة، وهي من رواية ابن داسة، ثم قابل بعضها على بعض، وقال: فصار هذا المتن والشرح جامعاً لرواية ابن داسة، وابن العبد، وابن الأعرابي أيضاً، بل فيه بعض رواية الرملي أيضاً لكنه قليل جداً^(٣).

وذكر صاحب «بذل المجهود» أنه ظفر - غير نسخة «عون المعبود» - بست نسخ لهذا الكتاب، وأشار إلى اختلاف النسخ في هوامش «بذل المجهود».

وفي مكتبة سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك رئيس القضاء

(١) «قواعد التحديث» (ص ٢٣٢).

(٢) «مختصر المنذري» (١/٢٨)، و «تدريب الراوي» (ص ٩٧).

(٣) «عون المعبود» (٤/٥٤٩).

الشرعي بـ (أبو ظبي) نسخة خطية من أصل صحيح، وعليها توقيعات كثير من العلماء والمحدثين، وأعتقد أنها أصح النسخ لـ «سنن أبي داود».

وقد قرئت هذه النسخة على عمر بن طبرزد بحضور أحمد بن صلاح الدين الأيوبي وأولاده، وعليها توقيعات سماعات لكثير من المحدثين، كزين الدين العراقي، وابن مفلح، وابن حجر العسقلاني، وابن حجر المكي، وعليها وقفية أحمد بن صلاح الدين الأيوبي. وقد قرئت هذه النسخة في الجامع الأزهر، وجامع الأقمر، وجامع المزة بدمشق بحضور كثير من العلماء، وخطها واضح.

ومن المؤسف أن هذه النسخة قد ضاعت من مكتبة الشيخ.

«سنن أبي داود» ورواته:

اعلم أن لـ «سنن أبي داود» عدة رواة، وقد ذكر الشيخ المحدث عبد العزيز الدهلوي في كتابه «بستان المحدثين» ثلاث نسخ فقط مع رواتها، وذكر صاحب «مرقاة الصعود» من رواته أبا عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي ورّاق أبي داود، وأضاف صاحب «التهذيب» على الأربعة أبا الطيب أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الأشناني، وأبا عمر أحمد بن علي بن الحسن البصري، وأبا الحسن علي بن الحسن العبد الأنصاري^(١)، وأبا أسامة محمد بن عبد الملك بن يزيد الرؤاسي.

وذكر صاحب «التذكرة» أن رواة السنن سبعة نفر، ولم يعد منهم أبا الطيب وأبا عيسى الوراق، وعد أبا سالم محمد بن سعيد الجلودي.

وذكر الخطيب البغدادي فيمن روى «السنن» الإمام المحدث أبا بكر أحمد بن سلمان بن الحسن البغدادي النجاد المتوفى ٣٤٨هـ^(٢).

فعدد رواة «السنن» عشرة نفر.

(١) «اليانع الجني» (ص ٥٦).

(٢) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٥/٥٠٢)، و «تاريخ الخطيب» (٤/١٨٩).

قال السيوطي: أتمها رواية ابن داسة، والمتصلة الآن بالسماع رواية اللؤلؤي^(١).

النسخة الثالثة: نسخة الرملي، وهي تقارب نسخة ابن داسة.

وهو الإمام الحافظ أبو عيسى إسحاق بن موسى بن سعيد الرملي ورّاق أبي داود، منسوب إلى رملة مدينة بفلسطين، سكن بغداد، وتوفي بها سنة ٣٢٠هـ^(٢).

النسخة الرابعة: نسخة ابن الأعرابي.

وهو الإمام الحافظ أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشير المعروف بابن الأعرابي (٢٤٦ - ٣٤١)، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن غالب التمار، وأبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم، وأبو حفص عمر بن عبد الملك الخولاني^(٣).

وليس في رواية ابن الأعرابي من روايته عن أبي داود كتاب الفتن والملاحم، والحروف والخاتم، وسقط منه من كتاب اللباس نصفه، وفات من كتاب الوضوء، وكتاب الصلاة، وكتاب النكاح: أوراق^(٤).

النسخة الخامسة: وهي نسخة ابن العبد.

وهو أبو الحسن علي بن الحسن بن العبد الأنصاري المتوفى ٣٢٨هـ^(٥). فيها من الكلام على جماعة من الرواة، كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٦).

(١) «تدريب الراوي» (ص ٩٣).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٦/٣٩٥).

(٣) انظر: «لسان الميزان» (ص ٢٠٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/٤٠٧)، و«شذرات الذهب» (٢/٢٥٤).

(٤) «مرقاة الصعود» (ص ٢)، و«تذكرة الحفاظ» (٣/٦١).

(٥) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/٣٨٣).

(٦) انظر: «النكت على ابن الصلاح» (١/٤٤١).

وقال الحافظ السخاوي: ومما يتنبه عليه أن «سنن أبي داود» تقدمت روايتها عن مصنفها، ولكل أصل، وبينها تفاوت حتى في وقوع البيان في بعضها دون بعض، ولا سيما رواية أبي الحسن بن العبد، ففيها من كلامه أشياء زائدة على رواية غيره.

شروح الكتاب والكتب المؤلفة حوله

قد اعتنى بهذا الكتاب الجليل كثير من العلماء والمحدثين شرحاً وتعليقاً واختصاراً واستخراجاً، وها هنا أذكر المجهودات المبذولة حول هذا الكتاب.

١ - «معالم السنن»، لأبي سليمان حمّد بن إبراهيم الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨هـ^(١).

ولا يعزب عن البال أن الخطابي لم يشرح جميع الأحاديث، بل يأتي إلى الباب الذي تعددت فيه الروايات، فإذا كان المآل فيها واحداً شرح منها حديثاً واحداً، وكأنه بذلك شرح جميع الباب، وإلاّ شرح أكثر من ذلك على حسب ما يترأى له، وإلى ذلك أشار بقوله: ومن باب كذا^(٢).

وهو يشرح المفردات الغريبة، والكلمات التي تحتاج إلى الشرح شرحاً واسعاً يدل على معرفة متبحرة باللغة، وقد يستشهد لشرحه بأبيات، أو جمل مأثورة عن العرب، ويشرح المراد من الجملة ثم يشرح الحديث، ثم يتحدث عن فقه الحديث، ويذكر آراء العلماء في موضوع الحديث، ويرجح الرأي الذي يرتضيه من هذه الآراء، ثم يذكر ما في الحديث من الفوائد والاستنباطات الأخرى مما قد لا يتصل بالباب.

طبع هذا الكتاب في حلب بأربعة أجزاء بتحقيق العلامة الشيخ محمد راغب الطباخ سنة ١٩٢٠ - ١٩٢٤، ١٩٣٢ - ١٩٣٤م. ثم طبع مع شرحي المنذري وابن القيم بالقاهرة ١٩٥٠م، وطبع في ٢٠٠١م في بيروت.

(١) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/١٧)، و «وفيات الأعيان» (٢/٢١٤).

(٢) مقتبس من مقدمة الشيخ راغب الطباخ على «معالم السنن»، طبع حلب.

٢ - «عجالة العالم من كتاب المعالم»، تلخيص الحافظ شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي، المتوفى سنة ٧٦٥هـ^(١).

٣ - «العُدُّ المورود في حواشي سنن أبي داود»، للحافظ المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ^(٢)، وقد ذكر فؤاد سزكين^(٣) مكان وجود مخطوطته.

٤ - وَشَرَحَ «السنن» أيضاً شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الشافعي الرملي، المتوفى سنة ٨٤٤هـ^(٤). ومخطوطته موجودة في تركيا^(٥)، وصورة له محفوظة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم (٥٨٦٣ - ٥٨٦٤ - ٥٨٦٥) هي نسخة كاملة، وله نسخة مخطوطة بمكتبة مظاهر العلوم، سهارنفور بالهند، وصورة لها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (١٥٩٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥) من أول الطهارة إلى باب في الخرص، وله نسخة مخطوطة في مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة من أول الكتاب إلى آخر المناسك فقط، وصورتها موجودة عندي.

٥ - وَشَرَحَ «السنن» قطب الدين أبو بكر بن أحمد بن دعين^(٦) اليمني الشافعي، المتوفى سنة ٧٥٢هـ^(٧)، في أربع مجلدات كبار في آخر عمره، ومات عنه وهو مسوّد^(٨).

(١) «كشف الظنون» (٢/١٠٠٤)، وانظر ترجمته في: «الدرر الكامنة» (١/٢٤٢).

(٢) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٣١٩).

(٣) «تاريخ التراث» (١/٢٣٦).

(٤) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» (١/٤٩)، و «الضوء اللمع» (١/٢٨٢)، و «شذرات الذهب» (٧/٢٤٨).

(٥) «تاريخ التراث» (١/٢٣٦).

(٦) هكذا في الأصل وفي «كشف الظنون» (٢/١٠٠٥)، وجاء في «شذرات الذهب»: «دمسين».

(٧) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٦/١٧١).

(٨) «كشف الظنون» (٢/١٠٠٥).

٦ - وَشَرَحَ هذا الكتاب أيضاً الحافظ مغلطاي بن قليج، المتوفى سنة ٧٦٢هـ، ولم يكمله^(١).

٧ - وَشَرَحَ هذا الكتاب أيضاً شهاب الدين أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي من أصحاب المزي، المتوفى بالقدس سنة ٧٦٥هـ. ويبدو أنه هو الذي لَخَّصَ «المعالم» المذكور آنفاً، وسمّى شرحه: «انتحاء السنن واقتفاء السنن»^(٢).

٨ - وَشَرَحَ «السنن» أيضاً أبو زرعة العراقي ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم، المتوفى سنة ٨٢٦هـ^(٣)، وأطال في شرحه جداً^(٤).

٩ - وَشَرَحَ قطعة منه محمود بن أحمد العيني الحنفي، المتوفى سنة ٨٥٥هـ^(٥). وقد طبع هذا الشرح في مكتبة الرشد، الرياض، في سبع مجلدات مع الفهارس.

١٠ - وَشَرَحَ الحافظ السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ^(٦)، وسمّاه: «مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود». وتوجد منه مخطوطات عدة ذكرها فؤاد سزكين^(٧).

(١) «كشف الظنون» (٢/١٠٠٤)، وانظر ترجمته في: «طبقات السيوطي» (ص ٥٣٤)، وانظر: «شذرات الذهب» (٣/١٩٧).

(٢) «كشف الظنون» (٢/١٠٠٤).

(٣) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٧/١٧٣)، و «الضوء اللامع» (١/٣٣٦)، و «البدر الطالع» (١/٧٢).

(٤) «كشف الظنون» (٢/١٠٠٤).

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٧/٢٨٦)، و «الضوء اللامع» (١٠/١٣١)، و «الجواهر المضيئة» (٢/١٦٥)، و «الفوائد البهية» (ص ٨٧).

(٦) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨/٥١)، و «الضوء اللامع» (٤/٦٥)، و «البدر الطالع» (١/٣٢٨).

(٧) «تاريخ التراث» (١/٢٣٦).

- ١١ - وقد اختصره علي بن سليمان الدمنتي البُجْمَعَوِي المولود ١٢٣٤هـ، والمتوفى سنة ١٣٠٦هـ^(١)، وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٢٩٨هـ، وأسماء: «درجات مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود».
- ١٢ - وَشَرَحَهُ أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي، المتوفى سنة ١١٣٨هـ^(٢). وهو شرح لطيف بالقول، سماه: «فتح الودود على سنن أبي داود»^(٣).
- ١٣ - وعلّق عليه الشيخ فخر الحسن الكنگوهي، المتوفى سنة ١٣١٥هـ^(٤)، وسماه: «التعليق المحمود». طبع بالهند.
- ١٤ - «الهدي المحمود في ترجمة سنن أبي داود» باللغة الأردية، للمولوي وحيد الزمان اللكهنوي، المتوفى سنة ١٣٣٨هـ^(٥).
- ١٥ - «أنوار المحمود على سنن أبي داود»، جمعه أحد تلاميذ العلامة محمد أنور الكشميري، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ^(٦)، وهو الشيخ أبو العتيق عبد الهادي النجيب آبادي.
- والكتاب التقاط من أمالي شيخ الهند مولانا محمود الحسن الديوبندي (ت ١٣٣٩هـ)^(٧)، وأمالي العلامة محمد أنور الكشميري، وضم إليها فوائد اقتبسها من «بذل المجهود»، ومن درس العلامة شبير أحمد العثماني (ت ١٣٦٩هـ)^(٨) لكتاب «صحيح مسلم»، وفيه أخطاء كثيرة. وقد طبع هذا الكتاب في مجلدين في الهند وباكستان.

(١) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (٢٩٢/٤).

(٢) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٦/٦)، و «فهرس الفهارس» (١٤٨/١).

(٣) انظر: ترجمته في: «تاريخ التراث العربي» (٢٣٦/١).

(٤) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٣٥٤/٨).

(٥) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٥١٣/٨).

(٦) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٩٠/٨).

(٧) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٤٩١/٨).

(٨) انظر ترجمته في: «العناقيد الغالية» (ص ٥٦).

١٦ - «غاية المقصود في حل سنن أبي داود»، للشيخ العلامة شمس الحق أبي الطيب العظيم آبادي، المتوفى سنة ١٣٢٩هـ^(١).

وهو شرح كبير، ومن أحسن الشروح عليه، وقد احتوى على مباحث الكتاب والمتون والأسانيد وفوائد كثيرة، ولو تم لكان عملاً جليلاً، إلا أنه لم يتم لسعة دائرته وضخامة عمله، ومع الأسف لم يطبع منه إلا الجزء الأول بالهند.

١٧ - «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، تأليف محمد أشرف العظيم آبادي (ت ١٣٢٦هـ)^(٢)، وهو تلخيص «غاية المقصود». ويظهر أن الشيخ محمد أشرف لخصه تحت إشراف الشيخ شمس الحق العظيم آبادي، وهو في أربعة مجلدات كبيرة.

طبع في الهند سنة ١٣٢٢هـ، وصور حديثاً في بيروت، وقد أثبت في أعلى الصفحات «متن سنن أبي داود». ثم نشره محمد عبد المحسن السلفي صاحب المكتبة السلفية في المدينة المنورة، وطبعه في مصر، وضبطه وحقّقه عبد الرحمن محمد عثمان، ويليّه شرح «عون المعبود»، ثم نشر مع التهذيب لابن القيم، وصدر الكتاب في أربعة عشر جزءاً، بدأ بطباعته سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، وانتهى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م في مطابع المجد بالقاهرة.

١٨ - «المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود»، تأليف الشيخ محمود محمد خطاب السبكي، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ^(٣).

وهو من أحسن الشروح، ولكن سرعان ما تغيرت خطته في الجزء الثاني والثالث، فلم يكن على منوال واحد، ثم لم يتم الكتاب، ثم قام ابنه الشيخ أمين محمود خطاب بمحاولة إكمال الكتاب، وسماه: «فتح الملك

(١) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٤٣٣/٨)، و «فهرس الفهارس» (١٠/١).

(٢) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (٤٣٢/٨).

(٣) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١٩٣/١٢)، و «الأعلام» للزركلي (١٨٦/٧).

المعبود تكملة المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود»، وقد بلغ إلى باب الطيرة رقم الحديث (٣٩٢٥)، وتوفي ولم يتم الكتاب.

١٩ - «بذل المجهود في حل أبي داود»، للعلامة الكبير المحدث الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ.

إن هذا الكتاب ليس شرحاً وافياً لسنن أبي داود فحسب؛ بل إنه سفر ضخم يتضمن بحوثاً ذات قيمة كبيرة في علم الحديث، وشرح كلام النبوة، ورواة الحديث ومكانتهم وتراجمهم في ضوء أقوال الأئمة والمحدثين الكبار، وقد اهتم المؤلف بأقوال الإمام أبي داود وكلامه في الرواة، بتخريج التعليقات والفحص عنها في كتب أخرى، وتطبيق الروايات بالترجمة، كما أنه حكم فيما اختلف الشراح فيه بما شرح الله به صدره، وتكلم بكلام فصل من غير تردد.

وأبرز مزايا هذا الكتاب أنه ألف على نهج المحدثين وأئمة الحديث الذين تلقت الأمة كتبهم وشروحهم بقبول تام، واشتمل على بحوث قيمة في أسماء الرجال وأصول الحديث.

وقد علّق على الكتاب فوائد ذات أهمية كبيرة تلميذه النابغة العلامة المحدث الكبير فضيلة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي - نور الله مرقده -، ونشرت هذه التعليقات على الهوامش، وطبع الكتاب في الهند في خمس مجلدات كبار، ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة ١٣٩٣هـ الموافق ١٩٧٣م في عشرين مجلداً مع التعليقات تحت إشرافنا.

٢٠ - «شرح مختصر سنن أبي داود»، للمنذري.

وهو زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ^(١)، والحق أن كتاب المنذري مختصر وشرح بآن واحد.

(١) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٤٣٦/٤).

قال الحافظ ابن القيم في وصفه: وكان الإمام العلامة الحافظ زكي الدين المنذري قد أحسن في اختصاره وتهذيبه وعزو أحاديثه وإيضاح علله وتقريبه، فأحسن حتى لم يكدر يدع للإحسان موضعاً، وسبق حتى جاء من خلفه له تبعاً^(١).

وطبع في مطبعة أنصار السنّة المحمدية بالقاهرة منشوراً مع كتابي الخطابي وابن القيم، وصدر في ثمانية أجزاء، كتب على الثلاثة الأولى أنها بتحقيق أحمد شاكر وحامد الفقي، وكتب على الخمسة الباقية: بتحقيق حامد الفقي، وهي طبعة مشكولة مرقّمة الأحاديث.

وقد طبع في الهند في ١٨٩١م على هامش «غاية المقصود» إلى «باب من قال تغتسل من طهر إلى طهر».

٢١ - «تهذيب ابن القيم»: وابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٥١هـ^(٢).

وتهذيبه أشبه بالحاشية منه بالتهذيب، فهو قد يسكت عن أحاديث عديدة. ثم تراه يفصل القول في شرح حديث وبيان فقهه، وقد يفصل تفصيلاً لا تراه في المطولات.

وقد ذكر في مقدمته خطته فقال: «فهذبته نحو ما هذب هو به الأصل، وزدت عليه من الكلام على علل سكت عنها أو لم يكملها، وأعرض إلى تصحيح أحاديث لم يصححها، والكلام على متون مشككة لم يفتح مغلقها، وزيادة أحاديث صالحة في الباب لم يشر إليها، وقد بسطت الكلام على مواضع قليلة، لعل الناظر المجتهد لا يجدها في كتاب سواه»^(٣).

(١) «تهذيب ابن القيم» (٩/١).

(٢) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٦/١٦٨)، و «الوافي بالوفيات» (٢/٢٧٠).

(٣) «تهذيب ابن القيم» (٩/١ - ١٠).

وقد طبع في دهلي أيضاً سنة ١٨٩١م، على هامش «غاية المقصود» إلى «باب الضوء من لحوم الإبل».

٢٢ - وشرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي، المتوفى سنة ٨٠٤هـ^(١)، زوائد السنن على «الصحيحين»، وتقع في مجلدين^(٢).

٢٣ - واستخرجه أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني الأصفهاني القرطبي محدث الأندلس، المتوفى سنة ٣٤٠هـ^(٣).

٢٤ - واستخرج محمد بن عبد الملك بن أيمن، المتوفى سنة ٣٣٠هـ على سنن أبي داود^(٤).

٢٥ - واستخرجه أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو بكر ابن منجويه الأصفهاني محدث نيسابور، المتوفى سنة ٤٢٨هـ^(٥).

٢٦ - وجمع زكريا الساجي، المتوفى سنة ٣٠٧هـ^(٦)، للـ «سنن» ما يوافق معانيها من آيات القرآن الكريم^(٧).

٢٧ - ألف أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الجياني، المتوفى سنة ٤٩٨هـ^(٨) كتاباً بعنوان «تسمية شيوخ أبي داود»^(٩)، وقد طبع هذا الكتاب.

(١) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١٠٠/٦)، و «شذرات الذهب» (٤٤/٧)، و «البدر الطالع» (٥٠٨/١).

(٢) «كشف الظنون» (١٠٠٤/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٤٧٣/١٥)، و «لسان الميزان» (٤٥٨/٤).

(٤) «تدريب الراوي» (ص ٣٥)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٤١/١٥).

(٥) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٤٥٥/١٧)، و «طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص ٤٢١).

(٦) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢٥٠/٢)، و «تذكرة الحفاظ» (٧٠٩/٢).

(٧) «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (١٨٦/٣).

(٨) انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٤٨/١٩)، و «وفيات الأعيان» (١٨٠/٢).

(٩) «كشف الظنون» (١٠٠٤/٢).

٢٨ - للشيخ المحدث القاضي حسين بن محسن الأنصاري اليماني، المتوفى سنة ١٣٢٧هـ^(١)، تعليقات على «سنن أبي داود».

٢٩ - ولتلميذه العلامة السيد عبد الحي الحسني مؤلف «نزهة الخواطر»^(٢)، تعليقات على «السنن»، ولكنها لم تتم.

٣٠ - شرحه الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ^(٣)، ولم يتمه^(٤).

٣١ - شرحه أيضاً الحافظ مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي البغدادي، المتوفى سنة ٧١١هـ^(٥). قال ابن رجب: شرح بعض «سنن أبي داود»^(٦).

٣٢ - وشرحه أيضاً الشيخ محمد ياسين الفاداني - رحمه الله -، المتوفى سنة ١٤١٠هـ^(٧)، بعشرين مجلداً، ولا يزال مخطوطاً، وسماه: «الدر المنضود شرح سنن أبي داود»^(٨).

٣٣ - وللشيخ إبراهيم بن محمد أبي الوفاء الطرابلسي، المتوفى سنة ٨٤١هـ^(٩)، حواش على «سنن أبي داود»^(١٠).

٣٤ - وعلق على «مختصر سنن أبي داود» شرحاً القاضي محمد بن

(١) انظر ترجمته في: «نزهة الخواطر» (١١/٨).

(٢) انظر ترجمته في: «كتاب عبد الحي الحسني»، تأليف د. قدرة الله الحسيني.

(٣) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٥٥/٥)، و «تذكرة الحفاظ» (١٤٧٠/٤).

(٤) انظر: «مقدمة تحفة الأحوذى» (ص ٦٢).

(٥) انظر ترجمته في: «الدرر الكامنة» (٣٤٧/٤)، و «تذكرة الحفاظ» (٢٧٧/٤).

(٦) انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» (٣٦٣/٢).

(٧) انظر: «تتمة الأعلام» للزركلي، مؤلفه محمد خير رمضان.

(٨) انظر: «تشنيف الأسماع» (ص ١١).

(٩) انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (١٣٨/١).

(١٠) انظر: «معجم الشيوخ» للحافظ عمر بن فهد (ص ٤٩).

عمار القاهري المالكي، المتوفى سنة ٨٤٤هـ، وسمّاه: «المواهب والمنن في التعريف والإعلام بفوائد السنن»^(١).

٣٥ - وشرحه شهاب الدين بهاء الدين المرجاني، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ^(٢)، وسمّاه: «عون الودود على سنن أبي داود»^(٣).

٣٦ - وللعلامة محمد التاودي بن سودة الفاس المغربي المتوفى سنة ١٢٠٩هـ، حاشية على «سنن أبي داود»^(٤).

٣٧ - وعمل الشيخ محمد حيات السنبهلي، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، تعليقات على «سنن أبي داود»، طبع في الهند^(٥).

٣٨ - وشرحه محمد بن نور الدين الهزاروي، المتوفى سنة ١٣٦٦هـ، وسمّاه: «عون الودود على سنن أبي داود»^(٦).

٣٩ - وللشيخ محمد طاهر الرحيمي - نزيل المدينة المنورة - كتاب على سنن أبي داود سمّاه: «زبدة المقصود في حل ما قال أبو داود»، اعتنى فيه بشرح أقوال الإمام^(٧).

٤٠ - وللدكتور علي بن إبراهيم بن سعود عجين كتاب على «سنن أبي داود» سمّاه: «تغليق التعليق على سنن الإمام أبي داود»، اعتنى فيه بشرح أقوال الإمام وتخريج الراويات والأحاديث التي أشار إليه الإمام، طبع في مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٢٣هـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) انظر: «الذيل على رفع الإصر» للسخاوي (ص ٣٠١).

(٢) انظر: «الأعلام» (١٧٨/٣)، و «معجم المؤلفين» (٣٠٨/٤).

(٣) «فهرس الفهارس» (٥٤٣/١).

(٤) «فهرس الفهارس» (٢٧٥/١).

(٥) «العنايق الغالية» (ص ٦٦).

(٦) انظر: هامش «مقدمة غاية المقصود» (٤٣/١).

(٧) انظر: «العنايق الغالية» (ص ٢٧١).

رسالة الإمام أبي داود إلى أهل مكة في وصف الكتاب وبيان خصائصه والتزاماته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمه الجمّة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزيع كلّ كرب وغمّة، وأشهد أن سيّدنا محمّداً عبده ورسوله الذي أنار بشريعته البيضاء حلك الليالي المدلهمة، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه المخصوصين بعلوّ الهمة.

قال أبو داود في رسالته إلى أهل مكة:

سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله^(١) الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصليّ على محمّد عبده ورسوله ﷺ كلّما ذُكر.

أمّا بعد: عافانا الله وإياكم عافية لا مكروه معها، ولا عقاب بعدها، فإنكم سألتُموني^(٢) أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب «السنن» أهّي أصحّ ما عرفت في الباب؟ ووقفتُ على جميع ما ذكرتم.

فاعلموا أنه كذلك كله، إلا أن يكون قد روي من وجهين صحيحين: أحدهما أقوى^(٣) إسناداً، والآخر صاحبه أقدم

(١) قوله: «أحمد إليكم الله»، أي: أحمد معكم الله.

(٢) في نسخة: «سألتكم».

(٣) في «شروط الأئمة الخمسة»: «أحدهما أقدم إسناداً والآخر صاحبه أقوم في الحفظ»، وفي مخطوطة الظاهرية: «أحدهما أقوم إسناداً، والآخر صاحبه أقدم في الحفظ».

في الحفظ، فربما كتبت ذلك^(١) [ولا أرى في كتابي من هذا عشرة أحاديث].

ولم أكتب بالباب إلا حديثاً أو حديثين، وإن كان في الباب أحاديث صحاح فإنه يكثر [وإنما أردتُ قُرْبَ منفعته].

وإذا أعدتُ الحديث في الباب من وجهين أو ثلاثة، فإنما هو من زيادة كلام فيه، [وربما فيه كلمة زائدة على الأحاديث]، وربما اختصرتُ الحديث الطويل؛ لأنني لو كتبتَه بطوله لم يعلم بعضُ مَنْ سمعه [المراد منه] ولا يفهم موضع الفقه منه، فاختصرته لذلك.

وأما المراسيل: فقد كان يحتجُّ بها العلماء فيما مضى، مثل: سفيان الثوري، ومالك [بن أنس]، والأوزاعي، حتى جاء الشافعي فتكلم فيها^(٢)، وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره^(٣).

فإذا لم يكن مسند غير المراسيل، ولم يوجد المسند فالمرسل يحتج به، وليس هو مثل المتصل في القوة.

وليس في كتاب «السنن» الذي صنّفته عن رجل متروك الحديث شيء^(٤)، وإذا كان فيه حديث منكر بيّنت أنه منكر، وليس على نحوه في الباب غيره.

(١) أي ذلك الأقدم في الإسناد لعلو سنده مع تقدم الآخر في الحفظ.

(٢) انظر: كتاب «الرسالة» للشافعي (ص ٤٦١ - ٤٦٥)، و «شرح علل الترمذي» لابن رجب الحنبلي (١/ ٥٤٥ - ٥٥٧).

(٣) اختلفت الرواية عن أحمد في الاحتجاج بالمرسل وعدمه، انظر: «شرح علل الترمذي» (١/ ٥٥٢).

(٤) قال ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٢/ ٦١٢): مراده أنه لم يخرج لمتروك الحديث عنده على ما ظهر له، أو لمتروك متفق على تركه.

[^(١) وهذه الأحاديث ليس منها في كتاب ابن المبارك، ولا كتاب وكيع، إلا الشيء اليسير، وعامته في كتاب هؤلاء مراسيل، وفي كتاب «السنن» من «موطأ مالك بن أنس» شيء صالح، وكذلك من «مصنفات» حماد بن سلمة، وعبد الرزاق.

وليس ثلث هذه الكتب^(٢) فيما أحسبه في كتب جميعهم أعني مصنفات مالك بن أنس، وحماد بن سلمة، وعبد الرزاق.

وقد ألفته نسقاً على ما وقع عندي^(٣)، فإن ذكر لك عن النبي ﷺ سنة ليس مما خرّجته فاعلم أنه حديث واه^(٤)، إلا أن يكون في كتابي من طريق آخر، فإني لم أخرج الطرق؛ لأنه يكثر على المتعلم.

ولا أعرف أحداً جمع على الاستقصاء غيري، وكان الحسن بن علي الخلال قد جمع منه^(٥) قدر تسع مئة حديث، وذكر أن ابن المبارك قال: السنن عن النبي ﷺ نحو تسعمائة حديث، فقل له: إن أبا يوسف قال: هي ألف ومئة، قال ابن المبارك: أبو يوسف يأخذ بتلك الهنات من هنا وهنا نحو الأحاديث الضعيفة].

وما كان في كتابي من حديث فيه وهنٌ شديدٌ، فقد بيّنته، ومنه ما لا يصحّ سنده.

(١) ما بين المعكوفتين سقط في الأصل وقد زدته من «رسالة أبي داود» المطبوعة.
(٢) أي: كتب «سننه» من الطهارة والصلاة والزكاة وما إلى ذلك، ويريد بهذه العبارة أن زيادات كتابه «السنن» عن كتب جميع هؤلاء العلماء تبلغ نحو ثلث الكتاب، والله أعلم.

(٣) يعني أنه ألفه على منهج واحد مطّرد حسب ما اقتضاه نظره.

(٤) قال النووي: إن «سنن أبي داود» لم تستوعب الصحيح من أحاديث الأحكام، ولا معظمها، انظر: «إرشاد الفحول» (٢٩٩/٤).

(٥) أي: من حديث السنن.

وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح^(١)، وبعضها أصح من بعض، [وهذا لو وضعه غيري لقلت أنا فيه أكثر^(٢)]، وهو كتاب لا يرد عليك سنة عن النبي ﷺ بإسناد صالح إلا وهي فيه، إلا أن يكون كلام أُسْتُخْرِجَ من الحديث، ولا يكاد يكون هذا.

ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموا من هذا الكتاب، ولا يضرُّ رجلاً أن لا يكتب من العلم - بعد ما يكتب هذا الكتاب - شيئاً، وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره.

وأما هذه المسائل، مسائل الثوري ومالك والشافعي، فهذه الأحاديث أصولها، ويعجبني أن يكتب الرجل مع هذه الكتب من رأي أصحاب النبي ﷺ^(٣)، ويكتب أيضاً مثل جامع سفيان الثوري، فإنه أحسن ما وضع الناس من الجوامع.

والأحاديث التي وضعتها في «كتاب السنن» أكثرها مشاهير، وهي عند كل من كتب شيئاً من الحديث إلا أن تميزها لا يقدر عليه كل الناس، والفخرُ بها أنها مشاهير، فإنه لا يُحتجُّ بحديث غريب، ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم.

ولو احتجَّ رجل بحديث غريب وجدت من يَطْعَنُ فيه ولا يَحْتَجُّ بالحديث الذي قد احتجَّ به إذا كان الحديث غريباً شاذّاً، فأما الحديث المشهور المتصل الصحيح فليس يقدر أن يرده عليك أحد.

(١) أي: للاعتبار أو الحجة.

(٢) أي: لأطريته بالثناء والمدح أكثر مما ذكرته.

(٣) هذا القول من الإمام أبي داود - رحمه الله تعالى - يشعر بأهمية أقوال الصحابة واجتهاداتهم فإنها تقع كالشرح والتفسير لمشكلات السنة.

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الغريب من الحديث، وقال يزيد بن أبي حبيب: إذا سمعت الحديث فانشُدْهُ كما تُنشِدُ الضَّالَّةُ، فإن عُرِفَ وَإِلَّا فَدَعُهُ.

وإنَّ مِنَ الأحاديث في كتاب «السنن» ما ليس بمتَّصل، وهو مرسل ومدلَّس، وهو إذا لم توجد الصَّحاحُ عند عامَّة أهل الحديث على معنى أنه متَّصل، وهو مثل الحسن عن جابر، والحسن عن أبي هريرة، والحكم عن مِقْسَم عن ابن عباس، وليس بمتَّصل.

وسماعُ الحكم عن مِقْسَم أربعة أحاديث.

وأما أبو إسحاق عن الحارث^(١) عن علي فلم يسمع أبو إسحاق من الحارث إلا أربعة أحاديث ليس فيها مسند واحد.

و [أمَّا] ما في كتاب «السنن» من هذا النحو فقليل، ولعلَّ ليس للحارث الأعور في كتاب «السنن» إلا حديث واحد، وإنما كتبه بأخره^(٢).

وربما كان في الحديث ما ثبت^(٣) صحَّة الحديث منه، إذا كان يخفى ذلك عليَّ، فربَّما تركت الحديث إذ لم أفقهه، وربما كتبه [وبيَّنته] وربَّما لم أقف عليه، وربَّما أتوقَّف عن مثل هذا؛ لأنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كلُّ ما كان من هذا الباب، فيما مضى من عيوب الحديث؛ لأنَّ علم العامة يَقْصُر عن مثل هذا.

وعدد كتب^(٤) هذه «السنن» ثمانية عشر جزءاً مع المراسيل، منها جزء واحد مراسيل.

(١) أي: الحارث الأعور.

(٢) أي: أخيراً.

(٣) في الأصل: «لم يثبت».

(٤) يريد بالكتب هنا: الأجزاء.

وما روي عن النبي ﷺ من المراسيل، منها ما لا يصح^(١)، ومنها هو ما مسند عند غيري، وهو متصل صحيح^(٢).

ولعلّ عدد الذي في كتبي من الأحاديث قدّر أربعة آلاف وثمانمائة حديث^(٣)، ونحو ستمائة حديث من المراسيل^(٤).

فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَيِّزَ هذه الأحاديث مع الألفاظ، فربّما يجيء حديث من طريق، وهو عند العامة من طريق الأئمة الذين هم مشهورون، غير أنه ربما طلب اللفظة التي تكون لها معانٍ كثيرة.

وممّن عرفت من نقل من جميع هذه الكتب فربّما يجيء الإسناد، فيُعلم من حديث غيره أنه غير متصل، ولا يتبيّن السامع إلا بأن يعلم الأحاديث، ويكون له معرفة فيقف عليه، مثل ما يُروى عن ابن جريج، قال: أُخبرْتُ عن الزهري، ويرويه البرّساني عن ابن جريج عن الزهري. فالذي يَسْمَعُ يَظُنُّ أنه متصل، ولا يصحّ بتّة، وإنما تركناه لذلك؛ لأنّ أصل الحديث غير متصل، [ولا يصحّ] وهو حديث معلول، ومثل هذا كثير، والذي لا يعلم يقول: قد ترك حديثاً صحيحاً من هذا، وجاء بحديث معلول.

وإنما لم أُصنّف في كتاب «السنن» إلا الأحكام، ولم أُصنّف كتب «الزُّهد» و «فضائل الأعمال» وغيرها.

(١) لعلّة في سنده غير الإرسال، أو لكون مرسله يرسل عن الضعفاء والمتروكين.

(٢) ولما لم يكن عنده مسنداً أورده مرسلأ، أو لوجه آخر اقتضى إirاده مرسلأ.

(٣) وقد عدّ الأستاذ الشيخ محمد محيي الدّين عبد الحميد أحاديث «سنن أبي داود» في الطبعة التي خدمها، فبلغت (٥٢٧٤) حديثاً، ولا غرابة في هذا لأنّ النسخ تختلف بالزيادة والنقصان في عدد الأحاديث.

(٤) عدد المراسيل حسب ترقيم الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لكتاب «المراسيل» (٥٤٤) حديثاً.

فهذه أربعة آلاف والثمانمائة، كلها في الأحكام^(١)، فأما أحاديث كثيرةٌ صحَّاحٌ في «الزُّهد» و «الفضائل» وغيرها من غير هذا فلم أُخرِّجها.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد النَّبِيِّ وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين،
وأصحابه المتَّخِّين، وأزواجه أمَّهات المؤمنين، وسلَّم تسليمًا، وحسبنا الله
ونعم الوكيل^(٢).

انتهت الرسالة

(١) بل في كتاب «السنن» بعض أبواب لا تتعلَّق أصالة بالأحكام نحو «الحروف والقراءات» و «الملاحم» و «السُّنة» وغيرها.

(٢) أثبتُّ بعض السقطات في الأصل، وزدت بعض الفوائد من «رسالة أبي داود» المطبوعة بتحقيق فضيلة الشيخ عبد الفتَّاح أبو غدة - رحمه الله - والنسخة المطبوعة بتحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصَّبَّاح.

تدقيقات الامام المحدث في كتابه جلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

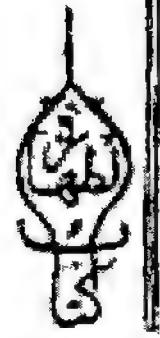
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم... (transcription of the main text block)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ الطَّهَارَةِ

باب التخلّي عند قضاء الحاجة... (transcription of the first chapter header)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم... (transcription of the main body text)



في المجلد... (transcription of the left margin notes)

بَيِّنَاتُ الْمَجْمُوعَاتِ فِي حَلِّ سِتِّينَ أَمْرًا مُؤَدَّاةً

تأليف

الإمام المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري
(ولد سنة ١٢٦٩ هـ وتوفي سنة ١٣٤٦ هـ)

مع تعليقات

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المدني
(ت ١٤٠٢ هـ)

اعتنى به وعلوه عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ «بَذْلُ الْمَجْهُودِ»

الحمد لله المتأزر بإزار العظمة والعلاء، المرتدي برداء المجد والعزة والكبرياء، اللّهم لا نحصي عليك الثناء، أنت كما أثنت على نفسك بلا امتراء، فأنت اللّهم من درك العقول والظنون والأوهام وراء الوراء، ثم وراء الوراء، ثم وراء الوراء.

سبحانك ما أعظم شأنك وأحكم برهانك، مننت علينا بإرسال الرسل، وكرّمتنا بإنزال الكتب من السماء، وهديتنا الملة الحنيفية السمحة السهلة البيضاء، التي ليلها ونهارها سواء، وعلمتنا من العلوم النبوية والحكم المصطفوية ما لم نعلم، فعَلَّوْنَا به مدارج السماء.

اللّهم فصلّ وسلّم وزدّ ودّم، وتفضل وبارك وأنعم، على سيدنا سيد الرسل، وخير خلقك عبدك محمد داعي الخلق، والهادي إلى الحق، الماحي سبل الضلال والفسق، تنور العالم بنور هدايته وضيائه، وتزيّنت السماوات والأرض بزيّنته وبهائه، وعلى آله وأصحابه نصحاء وأمناءه.

أما بعد! فيقول العبد الفقير الحقير الجامع لجميع السيئات والتقصير، المدعو بخليل أحمد بن الشاه مجيد علي بن شاه أحمد علي بن شاه قطب علي - تجاوز الله عن سيئاته ومشايخه وآبائه أجمعين -:

قد قرأت «سنن أبي داود» برواية اللؤلؤي على شيخي وسيدي مولانا محمد مظهر النانوتوي - رحمه الله تعالى - بعضها قراءة عليه وبعضها سماعاً منه حين كان نازلاً في اللكهنوتي، ثم أجازني به بجميع مروياته شيخي مولانا عبد القيوم بن مولانا عبد الحي البدهانوي ثم البوفالي، ختن مولانا الشاه محمد إسحاق الدهلوي، ثم المهاجر المكي.

ثم حصل لي الإجازة مكاتبة من شيخ العلماء بمكة المحمية السيد أحمد دحلان، ثم قرأت أوائل الصحاح الستة على مولانا وشيخ مشايخنا الشيخ عبد الغني المجددي الدهلوي المهاجر المدني - رحمة الله عليه -، وكتب لي الإجازة العامة سنة أربع وتسعين بعد ألف ومائتين، ثم أجازني مكاتبة ومشافهة حضرة مولانا السيد أحمد البرزنجي المدني حين حضرت المدينة المنورة مرة أخرى سنة أربع وعشرين بعد ألف وثلاث مائة^(١).

وكثيراً ما كان يختلج في صدري أن يكون على «سنن أبي داود» شرح يحل مغلقاته، ويكشف معضلاته، ويدلل صعابه، ويسهل مشكلاته، ولكنني كنت أحقر نفسي أن أتحمل هذا الحمل الثقيل، وأكون في هذا المضيق دخيلاً، حتى رأيت جزءاً واحداً من الشرح الذي ألفه الشيخ أبو الطيب شمس الحق المسمى بـ «غاية المقصود»، فوجدته لكشف مكنوزاته كافلاً، وبجميع مخزونات حافلاً - فله دره -، قد بذل فيه وسعه وسعى سعيه، إلا أنه في بعض المواضع منه أخذته الحدة، فاستطال على مكانة إمام الأئمة أبي حنيفة النعمان - عليه سجال الرحمة والغفران -، ومع هذا فلم يشع منه إلا هذا الجزء الأول، والأجزاء الباقية كأنها سالت بها البطاح، أو طارت بها أدراج الرياح.

ثم رأيت «عون المعبود» للشيخ محمد أشرف كان مختصر «غاية

(١) وقد حصلت له أيضاً إجازة عامة من المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الشامي مراسلة في سنة ١٣٢٩ هـ. انظر: «العنايق الغالية» (ص ١٢٦).

المقصود»، فلم يقع في القلب موقعه، ولم يبلغ مبلغه، وهذا الشرح قاصر عن أن يسمى شرحاً مع أن مؤلفه تقلد صاحب «غاية المقصود» في الحدة، واختصر شرحه، فوقع فيه ما وقع من الخلل والخطل - والله يتجاوز عنا وعنه -، فلما ذهب عني الشباب وأخذني الشيب كما قيل:

فلما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكره جاش له صدري
وولّيت درس الحديث بمدرسة مظاهر العلوم الواقعة في «سهارنفور»،
ونظرت في أمري، فلم أجد في أعمالي ما يكون لي وسيلة إلى النجاة
أو ذريعة إلى حط الخطيئات والسيئات، فألقي في روعي أن اكتب على
أبي داود تعليقاً مختصراً جامعاً يفتح أقفال كنوزه، ويسهل صعاب رموزه،
مع أنني لم أكن أهلاً لذلك، ولكن اعتمدت في ذلك على إعانة الله تعالى
سبحانه وعنايته ولطفه، رجاء أن يحشرني الله تعالى في زمرة خدام الحديث
وأهله.

فشرعت فيه في ساعات فارغة من الدرس، وأعاني عليه بعض
أحبائي خصوصاً منهم عزيزي وقرّة عيني وقلبي الحاج الحافظ المولوي
محمد زكريا بن مولانا الحافظ المولوي محمد يحيى الكاندهلوي
- رحمه الله تعالى -، فإني كنت لا أقدر على الكتابة، ولا على التتبع
لرعيّة حدثت في يدي وضعف في دماغي وبصري، فكنت أملي عليه،
وهو يكتب ويتتبع المباحث المشكّلة من مظانها فيسهل عليّ إملاؤها،
فشكر الله تعالى سعيه وأحسن جزاءه، وما بذل فيه جهده، وأكرمه الله
تعالى بعلومه الباطنة والظاهرة النافعة في الدنيا والآخرة، وبالأعمال
المبرورة المتقبلة الزاهرة.

وكان عندي حين إملاء هذا التعليق كتب من العلوم المختلفة.

فمن علم الحديث وشروحه: الصحاح الستة، والموطآن لمالك بن
أنس ولمحمد بن الحسن الشيباني، و«سنن الدارمي»، و«الدارقطني»،

و «مصنف ابن أبي شيبة»، و «السنن الكبرى» للبيهقي، و «المسند» للإمام أحمد، و «شرح معاني الآثار» للطحاوي، و «مشكاة المصابيح» مع شرحه لعلّي القاري، و «مسند أبي داود الطيالسي»، و «منتقى الأخبار» مع شرحه «نيل الأوطار» للشوكاني، و «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم، و «فتح الباري»، و «القسطلاني»، و «شرح مسلم» للنووي، و «حاشية السندي على سنن النسائي»، و «سنن ابن ماجه»، و شرح «الموطأ» المسمى بـ «المصنّف»، و «المراسيل» لأبي داود السجستاني، و «عمل اليوم والليلة» لابن السني، و «المسند» للإمام أبي حنيفة، و «المسند» للشافعي، و «مجمع الزوائد» للهيثمى، و «كتاب الآثار» للإمام محمد بن الحسن الشيباني، و «جزء القراءة» للبخاري والبيهقي، و «الأدب المفرد» للبخاري، و «جزء رفع اليدين» له، و كتاب «المستدرّك» للحاكم، و «تلخيصه» للذهبي، و قد وصلا إلينا عند تمام الجزء الأول من هذا الشرح.

و «سبل السلام على بلوغ المرام» للأمير اليماني، و «شرح العلامة العيني على البخاري»، و «درجات مرقاة الصعود» للدمنتي، وهو المراد بمطلق الشرح في هذا التعليق، و «إنجاح الحاجة على ابن ماجه» لحضرة الأستاذ الشيخ عبد الغني، و «آثار السنن» وتعليقه كلاهما لمولانا الشوق النيموي، و «تنسيق النظام على مسند الإمام» للشيخ محمد حسن السنبهلي، و «الجواهر النقي» لابن التركماني، و «الزرقاني على الموطأ»، و «التعليق الممجد» لمولانا عبد الحي، و «التلخيص الحبير على الرافعي الكبير»، و «الدراية» كلاهما للحافظ ابن حجر، و «شرح مشكلات الآثار» للطحاوي، و «الشروح الأربعة للترمذي»^(١)، وتقرير حضرة الشيخ

(١) هي مجموعة الشروح الأربعة من «عارضة الأحوذى» لابن العربي، و «قوت المغتذي» للسيوطي، و «شرح الشيخ أبي الطيب المدني» بالفارسية، و «شرح الشيخ سراج أحمد السرهندي» بالفارسية أيضاً.

الكنگوهي - نور الله مرقدہ - الذي كتبه مولانا محمد يحيى - المرحوم - عند قراءته «السنن» على حضرة الشيخ، و «شرح الخطابي على أبي داود»، و «تخريج الزيلعي»، و «حاشية الحصن» لمولانا عبد الحي، و «الإكمال والمكمل على المسلم»، وكتب الموضوعات من «الآلي المصنوعة» وذيله و «التعقبات» وغيره.

ومن التفاسير: «التفسير» لابن جرير، و «الدر المنثور» للسيوطي، و «التفسير» للقاضي البيضاوي مع بعض حواشيه كالخفاجي وشيخزاده والقنوي وعبد الحكيم، و «تفسير الجلالين» مع بعض شروحه، و «التفسير الكبير» للإمام الرازي.

ومن أسماء الرجال: مصنفات إمام الفن، الحافظ ابن حجر - نور الله مرقدہ - من «التقريب»، و «تهذيب التهذيب»، و «تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة»، و «كتاب الإصابة في تمييز الصحابة»، و «لسان الميزان»، و «طبقات المدلسين»، وأيضاً «خلاصة تهذيب الكمال» للخزرجي، و «ميزان الاعتدال» و «تذكرة الحفاظ» و «التجريد» كلها للذهبي، و «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير، و «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، و «كتاب المؤتلف والمختلف» للأزدي، و «الطبقات الكبير» لابن سعد، و «الجمع بين رجال الصحيحين» للمقدسي، و «التاريخ الصغير» و «الضعفاء الصغير» كلاهما للبخاري، و «الإكمال» لصاحب «المشكاة»، و «الأنساب» للسمعاني، و «رجال جامع الأصول» لابن الأثير، و «كتاب الكنى» للدولابي، و «المغني» لصاحب «المجمع»، و «الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية»، و «طبقات الشافعية الكبرى» لأبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، وقطعة من «لباب الأنساب»، و «إسعاف المبطل» برجال الموطأ» للسيوطي، و «الفوائد البهية في طبقات الحنفية» لمولانا عبد الحي، و «كتاب المنفردات والوحدان» لمسلم، و «كتاب الضعفاء والمتروكين» للنسائي.

ومن كتب أصول الحديث: «شرح النخبة» للحافظ، و «شرح الشرح» للشيخ وجيه الدين، و «تدريب الراوي» للسيوطي على «تقريب النواوي»، و «ألفية الحديث» للعراقي، وشرحه «فتح المغيث» و «بستان المحدثين».

ومن كتب الفقه للأحناف: «بدائع الصنائع»، و «المبسوط» للسرخسي، و «الهداية مع حواشيه» من «الكفاية»، و «البنية»، و «فتح القدير»، و «الكبيري»، و «البحر الرائق»، و «الدر المختار» بحاشيته الطحطاوي، والشامي، و «مراقي الفلاح» مع حاشيته للطحطاوي، و «الزيلعي على الكنز»، و «السعاية» لمولانا الشيخ عبد الحي.

ومن كتب الفقه لغيرهم: «كتاب الأم» للشافعي، و «حاشية الإقناع» على شرح الخطيب لمتن أبي الشجاع، و «تحفة المحتاج في شرح المنهاج» لابن حجر المكي، و «روضة المحتاجين» للشيخ رضوان العدل، و «كتاب الأنوار» للشيخ يوسف الأردبيلي، و «كتاب التوشيح» للشيخ محمد نووي^(١)، كلها في فقه الشافعية، و «كتاب المدونة» للإمام مالك، وما على ذيله من «كتاب المقدمات» لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، و «مختصر الشيخ خليل» الثلاثة في مذهب المالكية، و «إعلام الموقعين» في فقه الحنابلة، و «كشف الغمة عن جميع الأمة»، و «الميزان الكبرى» للشعراني.

ومن كتب أصول الفقه: «نور الأنوار»، و «التوضيح والتلويح»، و «الحسامي» ببعض حواشيه، و «التحرير» لابن الهمام، و «المستصفى» للغزالي.

ومن غريب الحديث واللغة: «مجمع البحار» للشيخ محمد طاهر، و «لسان العرب» لأبي الفضل جمال الدين الإفريقي، و «القاموس المحيط» للشيخ مجد الدين محمد الفيروزآبادي، و «النهاية» لابن الأثير، و «مصباح المنير» لأحمد بن محمد المقرئ، و «المخصص» لابن سيده.

(١) هو الشيخ محمد نووي بن عمر بن عربي بن علي الجاوي البتني التناري أبو عبد الله المعطي (ت ١٣١٦هـ)، انظر: «شذرات الذهب» (٨/ ٣٨٤) و «معجم المؤلفين» (٨/ ٢٦٨).

ومن كتب السير والتواريخ: «سيرة ابن هشام»، و «تاريخ الطبري» لابن جرير، و «تاريخ الخلفاء» للسيوطي، و «معجم البلدان» لياقوت بن عبد الله الحموي، و «تاريخ الخميس» للشيخ حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري، و «وفيات الأعيان» لابن خلكان.

ومن علوم شتى: شرح مولانا عبد الرحمن الجامي على «الكافية»، و «شافية» ابن الحاجب، وشرحه للرضي، وشرح ابن القاصح في التجويد. وكان بيدي من نسخ أبي داود نسخ متعددة.

أولها: نسخة مكتوبة عتيقة مصححة، قوبلت ببعض النسخ، وقرئت على بعض المشايخ، وقرئت على مولانا الشيخ محمد إسحاق الدهلوي ثم المهاجر المكي، وهي مملوكة لمولانا خليل الرحمن ابن مولانا الشيخ الحاج الحافظ أحمد علي المحدث السهارنفوري - رحمه الله تعالى - .

وثانيها: نسخة صاحب «عون المعبود» المنقولة على نواصي صفحاتها.

وثالثها: النسخة التي صححها مولانا الشيخ الحاج محمود حسن الديوبندي صدر المدرسين في المدرسة العالية الديوبندية، وقابلها بالنسخ المختلفة، وكان الاعتماد عليها^(١) عند اختلاف النسخ غالباً، وهي التي طبعت في المطبعة المجتبائية في دهلي سنة ١٣١٨هـ.

ورابعها: النسخة المطبوعة بمصر، في المطبعة الخيرية في أوائل ذي الحجة سنة ١٣١٠هـ، التي وضعت على هوامش الزرقاني شرح «الموطأ» للإمام مالك - رحمه الله تعالى - .

(١) في الأصل: «عليه»، وهو تحريف.

وخامستها : التي حُلِّيت بتحشية مولانا الشيخ فخر الحسن الكنگوهي التي طبع بعضها بأصح المطابع ، وبعضها في المطبع النامي ، وهي المراد بالكانفورية في هذا التعليق .

وسادستها : النسخة المطبوعة بأصح المطابع سنة ١٣١٨ هـ ، لكنه قد وصلت إلينا في آخر الجزء الثاني ، وهي المراد باللكهنوية .

وسابعتها : النسخة المطبوعة بالمطبعة القادرية في دهلي ، قد تم طبعها في شهر شعبان ١٢٧٢ هـ ، وهي المراد بـ «القادرية والقديمة»^(١) .

وكان الاعتماد غالباً في شرح الحديث على كلام علي القاري في «المراقبة» ، والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ، والعلامة بدر الدين العيني في «شرح البخاري» ، وفي المسائل الفقهية على «بدائع الصنائع» ، وفي أحوال الرجال على «التقريب» و «التهذيب» و «الإصابة» و «الأنساب» للسمعاني ، وفي حل اللغات على «المجمع» و «القاموس» و «لسان العرب» .

ولم آخذ من كلام الشارحين المذكورين صاحب «غاية المقصود» و «عون المعبود» ولا ما نقلاه عن أحد من المتقدمين مقلداً لمجرد قولهما بدون أن أجده في كلام المتقدمين .

وأهتم في هذا الشرح بأمور قلماً يوجد في غيرها :

منها : أن جُلَّ مباحثها منقول من كلام أكابر القدماء مما يتعلق بتوضيح الحديث وغيره ، ولهذا في أكثر مواضعها عزوته إلى قائله ، وفي بعضها ما نسبته إليه ، وأما ما يتعلق بحل أقوال أبي داود فخاطري مقتضبه غالباً ، لأنه لا يوجد من كتب المتقدمين ما يحل صعب أقواله .

(١) وقد حصل الشيخ خلال تأليف الكتاب في المدينة المنورة على نسختين قلميَّتين أيضاً ، وكان على إحديهما «مختصر المنذري» ، انظر (١٠/٦١٤ - ٦٢٢ ، ١٣/٥٤٩) .

ومنها : أني ذكرت ترجمة كل راوٍ من السند في أول موضع ذكره في السند، ثم إذا وقع ذكره في محل بعده لم أذكره .

ومنها : أني كثيراً ما أذكر مذهب السادة الحنفية تحت حديث يتعلق بمسألة فقهية، فإن كان الحديث موافقاً لهم فيها، وإلا فذكرت مستدلهم والجواب عن الحديث وتوجيهه .

ومنها : أني أذكر مناسبة الحديث بترجمة الباب في موضع خفي ذلك .

ومنها : أني في بعض المواضع أنبه على ما وقع فيه التسامح من شارحي أبي داود لئلا يقع الطالب في الغلط اعتماداً عليه، مع أني ما أبرئ نفسي عن الخطأ والسهو، ولا أقول هذا إعجاباً وفخراً، بل الغرض منه إظهار الحق والصواب، والله ولي التوفيق وبيده أزمة التحقيق .

ومنها : إعادة بعض المطالب المهمة لمصلحة اقتضت ذلك .

ومنها : ما أورده المصنف من الروايات مختصراً، وأخرجها غيره مطولاً، فذكرتها مطولة من مظانها .

ومنها : تفصيل مذاهب المجتهدين سيما الأربعة - شكر الله سعيهم -، وأكثرها نقلتها عما ذكره العلامة الشوكاني .

ومنها : ما ذكره المصنف مرسلاً أو معلقاً ذكرته موصولاً، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم اعلم أن لـ «سنن أبي داود» روايات عديدة، والمشهور منها ثلاث روايات؛ رواية ابن داسة أبي بكر محمد بن عبد الرزاق، وروايته مشهورة في المغرب، ورواية ابن الأعرابي أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد، وهي أنقص الثلاثة حتى قيل : ليس فيه كتاب الفتن والملاحم والحروف وغيرها، ورواية اللؤلؤي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، هو آخر من حدث عنه، ولذا يقال لها : أصح الروايات، وهي المتداولة في بلاد المشرق وبلاد الهند .

ومما ينبغي أن يعلم أن المصنف هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني، كما في «الخلاصة»^(١) و «وفيات الأعيان»^(٢)، الإمام الثبت، سيد الحفاظ، كان في أعلى درجة من الورع والعلم والنسك، ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين يوم الجمعة - رضي الله تعالى عنه وأرضاه -.

قال إبراهيم: ألين لأبي داود الحديث، كما ألين لداود عليه السلام الحديد، قيل: لما صنف «السنن» وقرأه على الناس صار كتابه كالمصحف يتبعونه، وأقرّ له أهل زمانه، وقال ابن منده: الذين أخرجوا الثابت من المعلول والخطأ من الصواب أربعة: البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، وقال الحاكم: إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة.

قال الذهبي في «التذكرة»^(٣): بلغنا عن بعض الأئمة أن أبا داود يشبه بأحمد بن حنبل في هديه وسمته ودلّه، وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع، ووكيع بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وإبراهيم بعلقمة، وهو بابن مسعود، قال علقمة: وكان ابن مسعود يشبه بالنبي ﷺ في هديه ودلّه، انتهى.

اختلف في مذهبه فقليل: حنبلي، وقيل: شافعي.

واختلف العلماء في «سجستان» التي نسب إليها، فقليل: هو الإقليم المشهور، وقيل: قرية من قرى البصرة، وقال مولانا الشاه عبد العزيز^(٤) - نور الله مرقده -: «ابن خلكان را باو جود كمال تاريخ داني درين نسب غلط

(١) (ص ١٥٠).

(٢) (٤٠٤/٢).

(٣) (٥٩٢/١). انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٢٢٤).

(٤) «بستان المحدثين» (ص ١٠٧).

أفتاده گفته است، كه نسبت إلى «سجستان»، أو «سجستانه»: قرية من قرى البصرة، والشيخ تاج الدين سبكي بعد از نقل این عبارت گفته است كه: هذا وهم^(١)، والصواب أنه نسبة إلى الإقليم المعروف المتاخم لبلاد الهند، يعني این نسبت بسیستان است كه ملك است، مشهور فيما بين «سنده» و «الهرات» متصل «قندهار» و «جشت».

ومذهبه في كتابه مذكور في «رسالته» إلى أهل مكة، نقله الدميتي في «الدرجات» تركناه اختصاراً، من شاء فليرجع إليه.

نعم لا بد أن أذكر لك نوعية^(٢) الكتاب وهي كونه سنناً، فإن كتب الحديث متنوعة على أقسام:

منها: الجوامع، وهو ما يوجد فيه جميع أقسام الحديث من العقائد والأحكام والرقاق والآداب والتفسير والتاريخ والمناقب والفتن، وقد صنف العلماء في كل فن من هذه الفنون تصانيف مفردة، وأحاديث الأحكام من كتاب الطهارة إلى كتاب الوصايا تسمى بالسنن كـ «سنن أبي داود» وغيره، والكتب المصنفة فيها غير محصور.

ومنها: المسانيد، وهو ما ذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة.

ومنها: المعاجم، وهو ما يذكر فيه الأحاديث على ترتيب المشايخ.

ومنها: الأجزاء، وهو ما يجمع فيه مرويات الرجل الواحد، سواء كان من الصحابة أو من المشايخ كـ «جزء حديث أبي بكر»، وكذا ما يجمع فيه روايات المسألة الجزئية كـ «جزء رفع اليدين».

(١) بل وهم السبكي وتبعه المؤلف، وإنما قال ابن خلكان: هذه النسبة إلى سجستان، الإقليم المشهور، وقيل: بل نسبته إلى سجستان أو سجستانه، قرية من قرى البصرة، والله أعلم بذلك. انظر: «وفيات الأعيان» (٢/٤٠٥).

(٢) انظر: «لامع الدراري» (١/١٤٢) وبعدها.

ومنها: الأربعينات، وهو ما يجمع فيه أربعون حديثاً.

ومنها: العلل، وهو أن يجمع في كل حديث أو باب طرقه واختلاف رواته، فإن معرفة العلل أجلّ أنواع الحديث.

ومنها: الأطراف، وهو أن يذكر طرف الحديث الدال على بقيته ويجمع أسانيده مستوعباً أو مقيداً بكتب مخصوصة.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) كِتَابُ (١) الطَّهَارَةِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، هذه العبارة في النسخة المكتوبة لمولانا أحمد علي المحدث السهارنفوري قبل «كتاب الطهارة».

وفي النسخة المصرية: حدثنا أبو علي محمد بن عمرو اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في المحرم سنة خمس وسبعين ومئتين.

وفي المجتبائية والكانفورية: أخبرنا الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي قال: أنا الإمام القاضي أبو عمرو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال: أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي قال: ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في المحرم سنة خمس وسبعين ومئتين.

وليس في النسخ القديمة شيء منها، ففيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) كِتَابُ الطَّهَارَةِ

قال في «القاموس»: الطهر بالضم: نقيض النجاسة، طهر كنصر وكرم فهو طاهر، وهكذا في «لسان العرب» وغيره من كتب اللغة، ولم يقل أحد

(١) بمعنى المكتوب حقيقة، ويطلق على ما يجمع شيئاً من الأبواب والفصول، وأجمل في «العرف الشذي» (ص ٢٩) و«معارف السنن» (١/٢٣) الكلام على التراجم. (ش).

(١) بَابُ التَّخْلِیِّ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ

١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ

منهم إن طهر من باب ضرب، فقول صاحب «غاية المقصود»: طهر من بابي قتل وضرب، صوابه من بابي قتل وكرم.

ولما كان ترتيب كتاب أبي داود - رحمه الله - على ترتيب السنن، وكان ترتيب السنن على ترتيب الأبواب الفقهية، قَدَّمَ الطهارة^(١)؛ لأنها شرط الصلاة التي هي أم العبادات وأهمها وعماد الدين.

(١) (بَابُ^(٢) التَّخْلِیِّ)

أي الدخول في الخلوة والتباعد عن الناس،
أصله: تخلو، لأنه من الخلوة أبدل واوه ياءً، وكسر
اللام لمناسبة الياء (عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ) أي حاجة التغوط

١ - (حَدَّثَنَا^(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ^(٤) مَسْلَمَةَ^(٥) بْنِ قَعْنَبٍ

(١) قدم على الوضوء آداب قضاء الحاجة، لأنه سبب الوضوء ومقدم عليه عادة بل استحباباً، صرح به بعض الفقهاء، وقد ذكر ابن العربي في «شرح الترمذي» (٢٨/١) ثلاثين أدباً للاستنجاء. (ش).

(٢) استعير من باب الدار، لأنه يدخل منه في البيت. (ش).

(٣) ثم لا فرق بين التحديث والإخبار عند قدماء المحدثين، ومنهم الإمام الزهري والإمام البخاري، قيل: وهو مسلك الأئمة الأربعة، وأما المتأخرون - ومنهم الإمام مسلم والنسائي - فيطلقون التحديث على السماع من لفظ الشيخ، والإخبار على القراءة على الشيخ. (ش). انظر: «فتح الباري» (١/١٤٥).

(٤) فيه بحث حذف الألف من الابن ذكره النووي، وأشكل بما في التنزيل من لفظ عيسى ابن مريم بإثبات الألف خطأ، ويجاب بأن رسم القرآن مخصوص به. (ش).

(٥) بفتح الميم وسكون السين. (ش).

الْقَعْنَبِيُّ^(١)، ثَنَا^(٢) عَبْدُ الْعَزِيزِ - يَعْنِي ابْنُ مُحَمَّدٍ - ،

الْقَعْنَبِيُّ^(٣) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَدَنِيِّ الْبَصْرِيِّ، ثَقَّةٌ عَابِدٌ، وَثَقَّهُ الْعَجَلِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ وَابْنُ قَانِعٍ، مَاتَ ٢٢١ هـ بِمَكَّةَ.

(ثَنَا^(٤) عَبْدُ الْعَزِيزِ^(٥) - يَعْنِي ابْنُ مُحَمَّدٍ -) بن عبيد الدراوردي نسبة إلى دراورد قرية بخراسان، وقال البخاري: درابجرد بفارس، كان جده منها، وقال أحمد بن صالح: كان الدراوردي من أهل أصبهان، نزل المدينة، فكان يقول للرجل إذا أراد أن يدخل: «اندرون»، فلقبه أهل المدينة الدراوردي، وقيل: إنه من أندرابه، ولهذا يقال: الأندراوردي.

يوثقه مالك، وقال أحمد: إذا حدّث من كتابه فهو صحيح، وإذا حدّث من كتب الناس فهو وهم، وكان يقرأ من كتبهم فيخطيء، وعن ابن معين: ثقة حجة، وقال أبو زرعة: سيّء الحفظ فربما حدّث من حفظه شيئاً فيخطيء، قال النسائي: ليس بالقوي، وفي موضع آخر: ليس به بأس، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث يغلط، روى له البخاري مقروناً بغيره، وقال العجلي: ثقة، وقال الساجي: كان من أهل الصدق والأمانة إلا أنه كثير الوهم، أحد الأعلام، توفي سنة ١٨٩ هـ.

وفائدة إيراد لفظ «يعني» دفع التوهم في ذلك، وغاية الاحتياط،

(١) صفة لعبد الله. (ش).

(٢) بحذف قال. (ش).

(٣) نسبة إلى جده. (ش).

(٤) مخفف حدثنا. (ش).

(٥) قال ابن رسلان: ليس في الرواية أحد اسمه عبد العزيز بن محمد غيره. (ش).

عن مُحَمَّدٍ - يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو - ، عن أَبِي سَلَمَةَ ، عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ :

فإنه لو قال : عبد العزيز بن محمد من غير ذكر لفظ «يعني» لتوهم بأن لفظ ابن محمد من قول أستاذه عبد الله بن مسلمة ، وليس كذلك ، بل هو قول المصنف ، فزاد لفظ «يعني» إيضاحاً بأن عبد الله بن مسلمة لم يقل : ابن محمد ، ولكن مراده هذا ، وهذا التوجيه^(١) يجري في سائر المواضع من السند التي يزيد فيها لفظ «يعني» .

(عن محمد - يعني ابن عمرو -) بن علقمة بن وقاص الليثي ، أبو عبد الله المدني ، أحد أئمة الحديث ، وقد تكلم فيه بعض المحدثين ، قال إبراهيم الجوزجاني : ليس بالقوي ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث يُسْتَضَعَفُ ، روى له البخاري مقروناً بغيره ، ومسلم في المتابعات ، وفائدة إيراد لفظ «يعني» قد ذكرناها فيما تقدم .

(عن أبي سلمة)^(٢) بفتح اللام ، ابن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ، أحد الفقهاء السبعة ، اختلف في اسمه ، مشهور بكنيته ، ثقة ، مكثر ، مات سنة ٩٤ هـ ، وقيل ١٠٤ هـ .

(عن المغيرة بن شعبة)^(٣) بن أبي عامر بن مسعود بن المعتب الثقفي ، صحابي ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، مات سنة ٥٠ هـ^(٤) .

(١) وهذا من دأب المحدثين ، صرح به النووي في مقدمة شرحه ، وكذا في مقدمة «البدل» . (ش) .

(٢) توهم فيه شارح الترمذي سراج أحمد السرهندي حيث قال : هو منصور بن سلمة الخزاعي ، وهو وهم ؛ إذ هو من الطبقة العاشرة ، فكيف يروي عن الصحابي ! وكذا في «الغاية» . (ش) .

(٣) قال الدارقطني : اختلف فيه على عمرو ، فروي عنه هكذا ، وروي عنه عن أبي هريرة ، والصواب حديث المغيرة . (ش) .

(٤) انظر ترجمته في : «أسد الغابة» (٤ / ١٨١) رقم (٥٠٧٢) .

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ». [ت ٢٠، ن ١٧، ج ٣٣١، دي ٦٦٠، حم ٢٤٨/٤، ق ٩٣/١، ك ١٤٠/١]

٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهْدٍ،

(أن النبي ﷺ كان إذا ذهب المذهب)^(١) معناه: إذا ذهب موضع الذهاب، وهو موضع يتغوط فيه، أو ذهب ذهاباً خاصاً لقضاء الحاجة (أبعد) أي عن أعين الناس في الذهاب حتى لا يراه أحد.

فدل هذا الحديث وأمثاله على أن الأدب لمن يريد قضاء الحاجة أن يتباعد عن الناس، حتى لا يُرى شخصه، ولا يُسمع صوت ما يخرج منه من الريح وإن كان التستر يحصل بالقرب.

٢ - (حدثنا مسدد) كمعظم (ابن مسرهد) بن مجرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن مطربل بن أرندل بن سرندل بن غرندل بن ماسك بن مستورد الأسدي البصري، أبو الحسن، ثقة، حافظ، من العاشرة، مات سنة ٢٢٨هـ، ويقال: اسمه عبد الملك بن عبد العزيز.

ومن لطائف هذه الأسماء ما صرح به جماعة من شُراح «الصحيحين» وغيرهما من أرباب الطبقات بأن هذه الأسماء إذا كتبت وعلقت على محموم كانت من أنفع الرقي، وَجَرَّبْتُ فكانت كذلك، وقال عاصم: إنها رُقِيَةٌ لِلْعَقْرَبِ أَي مَعَ الْبَسْمَلَةِ، قاله أبو نعيم «حاشية قاموس».

(١) قال صاحب «الغاية»: متعين في «الترمذي» المصدر، لأن لفظه: «إذا أتى حاجته أبعد في المذهب». قلت: واختار ابن رسلان في شرحه الظرف، إذ شرحه بقوله: «ذهب إلى المذهب»، وهو مكان الغائط، وفي «التقرير»: هو ظرف، ويحتمل كونه مصدراً على بُعد، كقوله: أرسلها العراك. (ش).

نا عيسى بن يونس، ثنا إسماعيل بن عبد الملك، عن أبي الزبير،
عن جابر بن عبد الله.....

(نا عيسى بن يونس) بن أبي إسحاق السبيعي بفتح المهملة وكسر
الموحدة، أبو عمرو الكوفي، سكن الشام، أحد الأعلام، ثقة، مأمون، من
الثامنة، مات سنة ١٩١هـ أو ١٨٧هـ.

(ثنا إسماعيل بن عبد الملك) بن أبي الصُّفير بالمهملة والفاء مصغراً كما
في «التقريب» و «المغني»، أو الصُّعير بمهملتين مصغراً كما في «الخلاصة»،
أبو عبد الملك الكوفي، ثم المكي. قال البخاري: يكتب حديثه، تركه
ابن مهدي، وكان سيئ الحفظ، رديء الفهم، يقلب ما روى، وقال
ابن الجارود: ليس بالقوي، وقال الساجي: ليس بذاك، وقال ابن العمار:
ضعيف، وهكذا نقل جرحه عن غيرهم كما في «تهذيب التهذيب»^(١).

(عن أبي الزبير) محمد بن مسلم بن تدرس بفتح المثناة وسكون الدال
المهملة وضم الراء، الأسدي، المكي، مولى حكيم بن حزام القرشي
الأسدي، روى له مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وروى
له البخاري متابعه، تكلم فيه شعبة، وقال الإمام الشافعي - رحمه الله -:
أبو الزبير يحتاج إلى دعامة، وهكذا تكلم فيه بعضهم، ووثقه الجمهور، قال
يعلى بن عطاء: حدثنا أبو الزبير، وكان أكمل الناس عقلاً وأحفظهم، وقال
عطاء: وكان أبو الزبير أحفظنا للحديث، وقال ابن معين والنسائي
وغيرهما: ثقة، وقال ابن المديني: أبو الزبير ثقة ثبت، فالحاصل أنه
اختلف في جرحه وتعديله، فجرحه بعض المحدثين ووثقه الجمهور، وكان
مدلساً، مات سنة ١٢٨هـ.

(عن جابر بن عبد الله)^(٢) بن عمرو بن حرام بمهملة وراء، الأنصاري،

(١) (٣١٦/١).

(٢) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١/٢٩٤) رقم (٦٤٧).

قال: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبَرَازَ انْطَلَقَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ». [جه ٣٣٥، دي ١٧]

الخزرجي، ثم السلمي بفتحيتين، صحابي ابن صحابي، واختلفت الروايات في شهوده بدرًا وأحدًا، ويقول: غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، أحد المُكثَرين عن النبي ﷺ، وقد كُفَّ بصره في آخر عمره، مات بالمدينة، وهو ابن أربع وتسعين سنة، هكذا قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» و «التقريب» و «الإصابة»، وهكذا صرح ابن الأثير في «أسد الغابة»، فما قال صاحب «غاية المقصود» في شرحه: «عن أربع وسبعين سنة» غلط، نقله^(١) عن «الخلاصة»، ولعله وقع الغلط في «الخلاصة» من الكاتب.

(قال) أي جابر: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبَرَازَ) بالفتح اسم لفضاء^(٢) واسع، وَخَطَأً الخطابي الكسرة؛ لأنه مبارزة في الحرب، وقال الجوهري بخلافه فجعله مشتركًا بينهما، وقال الفيروزآبادي: وكسحاب اسمٌ، وككتاب: الغائط، ومعنى الحديث أنه ﷺ إِذَا أَرَادَ قَضَاءَ الْحَاجَةِ (انطلق) في الصحراء وَتَبَعَدَ عَنِ النَّاسِ (حتى لا يراه أحد)^(٣) منهم، وهذا إِذَا كَانَ ﷺ فِي السَّفَرِ وَفِي الصَّحْرَاءِ وَقَبْلَ بِنَاءِ الْكُنْفِ فِي الْبُيُوتِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ فِي الْعِمْرَانِ فَثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْضِي حَاجَتَهُ فِي الْبَيْتِ كَمَا رَوَاهُ ابْنُ عَمْرٍو^(٤)، وَيَأْتِي فِي الرُّخْصَةِ فِي اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ.

(١) في الأصل: «حملة».

(٢) فكثروا به عن قضاء الحاجة كما كنوا عنه بالخلاء؛ لأنهم يتبرّزون في الأمكنة الخالية من الناس «ابن رسلان». (ش).

(٣) قلت: الظاهر أن غرض المصنف بهذا الحديث بيان الإبعاد في الحديث السابق، أورد عليه بعض الطلبة فكان حقه أن يذكر هذا الحديث، لا الأول، وتكرر هذا الإيراد في السنين العديدة، فكانهم يأخذون عن الأول فالأول. (ش).

(٤) وأيضاً لا يخالف ما سيأتي في حديث سباطة، (ش).

(٢) بَابُ الرَّجُلِ يَتَّبِعُ لِبَوْلِهِ

٣ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، نَا حَمَّادٌ،

(٢) (بَابُ الرَّجُلِ يَتَّبِعُ لِبَوْلِهِ)

قال في «القاموس»: بَوَّاه منزلاً وفيه أنزله كأبائه، والمكان حَلَّه وأقام كأبائه به وتبَّوَّأ، والمبءاءة: المنزل، وهكذا في غيره، ومعناه^(١) يتخذ ويطلب لبوله مكاناً ليناً سهلاً منحدرًا، كي لا يرجع البول إليه ولا يتطاير رشاشه عليه.

٣ - (حدثنا موسى بن إسماعيل) المنقري بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف، التبوذكي^(٢)، البصري، الحافظ، الحجة، أحد الأعلام، وقال ابن خراش: تكلم الناس فيه، وهو صدوق، مات سنة ٢٢٣هـ، قال الحافظ في «التقريب»: لا التفات إلى قول ابن خراش: «تكلم الناس فيه».

(نا حماد)^(٣) بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري، ثقة عابد، وتغير حفظه في آخره، قال الحافظ: قال ابن حبان: لم ينصف من جانب حديثه، واحتج في كتابه بأبي بكر بن عياش، فإن كان تركه إياه لما كان يخطيء فغيره من أقرانه مثل الثوري وشعبة كانوا يخطؤون، فإن زعم أن خطأه قد كثر حتى تغير فقد كان ذلك في أبي بكر بن عياش موجوداً.

(١) وقال في «التقرير»: والمعنى هناك على الطلب والتفحص له. (ش).

(٢) بفتح التاء نسب إليه، لأنه اشترى بتبؤذك داراً فنسب إليه، وقال: إني مولى بني منقر، إنما نزل داري قوم من تبؤذك فسموني التبوذكي، كذا في «ابن رسلان». (ش).

(٣) قال السيوطي: إن موسى إذا أطلق حماداً أراد به ابن سلمة، لأنه قليل الحديث عن ابن زيد حتى قيل: إنه لم يرو عن حماد بن زيد إلا حديثاً واحداً فقط، انتهى، كذا في «التقرير»، وكذا نقل ابن رسلان عن الذهلي وغيره، وانظر رواية موسى عن حماد بن زيد في «السنن» في «باب من نام عن صلاة أو نسيها»، (ش).

أَنَا أَبُو التِّيَّاحِ، حَدَّثَنِي شَيْخٌ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ

ثم قال الحافظ: وقد عرض ابن حبان بالبخاري لمجانبته حديث حماد بن سلمة حيث يقول: لم ينصف من عدل عن الاحتجاج به إلى الاحتجاج بفليح وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، قال البيهقي: هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه، فلذا تركه البخاري، وأما مسلم فاجتهد فأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثني عشر حديثاً أخرجها في الشواهد، مات سنة ١٦٧ هـ.

(أنا أبو التياح) بفتح المثناة والتحتانية الثقيلة، يزيد بن حميد الضبعي بضم المعجمة وفتح الموحدة، البصري، قال أحمد: ثقة ثبت، مات سنة ١٢٨ هـ.

(حدثني شيخ) وفي «مسند أحمد بن حنبل» عن أبي التياح قال: حدثني رجل أسود طويل، قال: جعل أبو التياح ينعتة أنه قدم مع ابن عباس البصرة، فكتب إلى أبي موسى: أن رسول الله ﷺ كان يمشي، فمال إلى دمث في جنب حائط فبال، ثم قال: «كان بنو إسرائيل إذا بال أحدهم فأصابه شيء من بوله يتبعه فقرضه بالمقاريض»، وقال: «إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله»، انتهى، فهذا شيخ مجهول^(١) لا يعرف اسمه ولا صفته.

(قال) أي الشيخ: (لما قدم عبد الله بن عباس) بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد قبل الهجرة بثلاث، وبنو هاشم بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم، وإنه كان له عند وفاة النبي ﷺ ثلاث عشرة

(١) واختلف في قبول روايته فقليل: يقبل مطلقاً، وقيل: لا مطلقاً، وقيل: فيه تفصيل، كذا في «التدريب» (٣١٦/١) (ش).

الْبَصْرَةَ فَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى،

سنة^(١)، وذكر خليفة أن علياً ولأه البصرة، فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل علي، مات بالطائف سنة ٦٨هـ^(٢) (البصرة)^(٣) فتح بائه أشهر من ضمه وكسره.

(فكان يحدث)^(٤) قال الشارح علي بن سليمان في «درجات مرقاة الصعود»^(٥): واسمه ضمير الشأن، إذ برواية البيهقي: «سمع أهل البصرة يحدثون عن أبي موسى عن النبي ﷺ وليس بموجه، بل الصواب أن اسم كان ضمير راجع إلى عبد الله بن عباس، أي كان ابن عباس يحدث ببناء المفعول بأحاديث يحدثونه أهل البصرة عن أبي موسى، والظاهر أن أبا موسى الأشعري لم يكن في ذاك الوقت موجوداً في البصرة، فلما جاء البصرة ابن عباس والياً عليها جعل أصحاب أبي موسى - رضي الله عنه - يحدثونه بأحاديث تلقوها منه.

(عن أبي موسى)^(٦) عبد الله بن قيس الأشعري مشهور باسمه وكنيته، لم يهاجر إلى الحبشة على قول الأكثر، قدم المدينة بعد فتح خيبر، صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب فقدموا جميعاً، واستعمله النبي ﷺ على بعض اليمن، واستعمله عمر على البصرة بعد المغيرة، ثم استعمله عثمان على الكوفة، وكان حسن الصوت بالقرآن، واختلف في موته من سنة ٤٢هـ إلى سنة ٥٣هـ، واختلفوا في أنه مات بالكوفة أو بمكة

(١) فهو أرجح ما قيل فيه، وما في «الرياض المستطابة» (ص ٢٠٤) غلط جداً. (ش).

(٢) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٨/٣) رقم (٣٠٣٧).

(٣) وقد يحذف الهاء مع الفتح والكسر، وأنكر الزجاج الفتح مع الحذف، وفي النسب يقال: بصري بالفتح والكسر. (ش).

(٤) وتوهم من قال: ببناء الفاعل. (ش).

(٥) (ص ٦).

(٦) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٦٢/٣) رقم (٣١٣٧).

فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَبِي مُوسَى يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى: أَنِّي كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَبُولَ فَأَتَى دَمِثًا فِي أَصْلِ جِدَارٍ فَبَالَ،

(فكتب عبد الله إلى أبي موسى يسأله عن أشياء) أي عن بعض الأحاديث التي حدثه أهل البصرة عن أبي موسى، فهذا يدل على أن أبا موسى لم يكن ثمة، ولو كان في البصرة لما احتاج ابن عباس إلى الكتابة.

(فكتب إليه)^(١) أي إلى ابن عباس (أبو موسى) في جوابه وفيه: (إني كنت مع رسول الله ﷺ ذات يوم) أي يوماً، فلفظ «ذات» مقحم زاده تأكيداً (فأراد أن يبول فأتى دمثاً)^(٢) ككتف على ما هو أشهر، محلاً ليناً سهلاً لئلا يرتدّ عليه رشاشة البول (في أصل جدار فبال) لعله جدار عادي لا يملكه أحد، إذ يضر البول بأصل البناء، وهو ﷺ لا يفعله بملك أحد إلا بإذنه، أو قعد قريباً منه حيث^(٣) لا يصيبه البول، أو علم^(٤) برضا صاحبه^(٥).

(١) فيه جواز الرواية بالكتابة، قال ابن رسلان: هو الصحيح المشهور بين أهل العلم وهو عندهم في المسند الموصول، لكن بشرط أن يعرف المكتوب إليه خط الكاتب، قال في «التدريب» (٥٧/٢): ومنهم من شرط البيّنة، وهو ضعيف. انتهى. (ش).

(٢) بكسر الميم فثاء مثلثة، وقيل: كالجلف «ابن رسلان». (ش).

(٣) تجوّز الراوي إذ عبّره بأصل الجدار، أو كان دمثاً تشرب البول فلم يضر الجدار، ولا يقال: إن فضلاته عليه السلام لما كانت ظاهرة على ما هو التحقيق، ولم يكن له رائحة كريهة فلا مانع منه، لأنه عليه السلام كان يعامل مع نفسه أفعال المكلفين لتعليم الأمة والتشريع، كذا في «التقرير». (ش).

(٤) وما قال صاحب «الدرجات» (ص ٦) في توجيهه: «إنه تعالى أعطى كل ملكه لنبهه، فكل من أقام في الأرض فهو عارية له» بعيد جداً. (ش).

(٥) وهم يتبركون ببوله. (ش).

ثُمَّ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ فَلْيَرْتَدِّ لِبَوْلِهِ مَوْضِعًا».
[حم ٤ / ٣٩٦ - ٤١٤]

(٣) بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ

٤ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهْدٍ، نَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ

قلت: ويمكن أن يكون جدار دار تهدم، وبقي من جدرانه شيء^(١).
(ثم قال: إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله موضعاً)، من الرود^(٢)
وهو الطلب، أي يطلب مكاناً ليناً لئلا يرجع إليه رشاش بوله^(٣).
ومناسبة الحديث للترجمة ظاهرة.

(٣) (بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ)

من الدعاء باسمه سبحانه وتعالى
(إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ)^(٤)، أي: إذا أراد
دخول مكان الخلوة عند قضاء الحاجة

٤ - (حدثنا مسدد بن مسرهد، نا حماد بن زيد) بن درهم الأسدي،
أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت فقيه، مات سنة ١٧٩ هـ وله ٨١ سنة

(١) وقال الشوكاني: الحديث ضعيف. (ش). انظر: «نيل الأوطار» (١/١١٦).

(٢) قال ابن رسلان: افتعال من الرياد. (ش).

(٣) قال ابن رسلان: وهذا أدب مجمع على استحبابه، ويؤخذ منه أن الرشاش لا يعفى
في الجسد والثوب، وهو مذهب الشافعي، وصحح النووي العفو للخرج،
وفي «الدر المختار» (١/٥٨٠ - ٥٨١): يعفى عندنا وإن كثر بإصابة الماء إلا في
الماء، فإن طهارته أوكد. (ش).

(٤) ممدوداً، الموضع الخالي، ثم نقل إلى موضع قضاء الحاجة، كذا في «ابن رسلان»،
وبسطه في «عارضه الأحوذى» (١/٢٠). (ش).

وَعَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ.....»

(وعبد الوارث) بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري مولاهم، أبو عبيدة التنوري البصري، أحد الأعلام، ثقة ثبت إلا أنه قدري، متعصب لعمر بن عبد، وكان حماد بن زيد ينهى المحدثين عن الحمل عنه للقدر، وقال يزيد بن زريع: من أتى مجلس عبد الوارث فلا يقربني، قال الحافظ في «تهذيب التهذيب»: قال عبد الصمد: إنه لمكذوب على أبي، وما سمعت منه يقول قط في القدر وكلام عمرو بن عبدة، مات سنة ١٨٠هـ.

(عن عبد العزيز) بن صهيب مصغراً، البناي بموحدة ونونين، نسبة إلى بنانة بن سعد بن لؤي بن غالب، ثم صار بنانة محلة بالبصرة لنزول هذه القبيلة بها، مولاهم، البصري، الأعمى، ثقة. قال الحازمي: وإنما قيل له البناي، لأنه كان ينزل سكة بنانة بالبصرة، مات سنة ١٣٠هـ.

(عن أنس بن مالك)^(١) بن النضر الأنصاري النجاري الخزرجي، أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، كنّاه رسول الله ﷺ أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها، أقام بعد النبي ﷺ في المدينة، ثم قطن البصرة، ومات بها سنة ٩٠هـ أو بعدها، قال علي بن المديني: كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة، له ألف ومئتان وستة وثمانون حديثاً.

(قال) أنس: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء)^(٢) أي إذا أراد دخول الخلاء، وفي «شرح الأبهري»^(٣): قال الشيخ: من يكره ذكر الله في تلك الحالة يفصل ويقول: أما في الأمكنة المَعْدَّة لذلك فيقوله قبيل دخولها، وأما في غيرها فيقوله في أوان الشروع كتشمير ثيابه مثلاً،

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١/١٤٨) رقم (٢٥٨).

(٢) يوضحه لفظ البخاري: «إذا أراد أن يدخل الخلاء». «ابن رسلان». (ش).

(٣) ذكره الحافظ في «الفتح» (١/٢٤٤). (ش).

٥ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍو - يَعْنِي السَّدُوسِي - قَالَ :
أَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ - هُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ - ، عَنْ أَنَسٍ
بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ» ،

٥ - (حدثنا الحسن بن عمرو - يعني السدوسي - ^(١) البصري ،
صدوق ، ولم يصب الأزدي في تضعيفه حيث ذكر في «الضعفاء» الحسن بن
عمرو السدوسي البصري ، منكر الحديث ، مات سنة ٢٢٤هـ .
(قال : أنا وكيع) بن الجراح بن مريح الرُّؤَاسِي بضم الراء والهمزة
ثم مهملة ، أبو سفيان الكوفي ، ثقة حافظ ، قال حسين بن حبان عن ابن
معين : كان وكيع يستقبل القبلة ، ويحفظ حديثه ، ويقوم الليل ، ويسرد
الصوم ، ويفتي بقول أبي حنيفة ، مات سنة ١٩٦هـ أو ١٩٧هـ .
(عن شعبة) بن الحجاج بن الورد العتكي مولا هم ، أبو بسطام
الواسطي ثم البصري ، ثقة حافظ متقن ، كان الثوري يقول : هو أمير
المؤمنين في الحديث ، قال الدارقطني في «العلل» : كان شعبة يخطيء في
أسماء الرجال كثيراً لتشاغله بحفظ المتون ، ولد سنة ٨٢هـ ومات
سنة ١٦٠هـ ، قال البخاري في «تاريخه» : وهو أكبر من الثوري بعشر سنين .
(عن عبد العزيز - هو ابن صهيب - ، عن أنس) بن مالك (بهذا
الحديث) أي المذكور سابقاً ولفظه : «كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء»
(قال) ضمير الفاعل إما أن يرجع إلى شعبة فيكون تقدير العبارة : قال شعبة
عن عبد العزيز : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ) ، أو يرجع إلى عبد العزيز فيكون
التقدير : قال شعبة : قال عبد العزيز مرة : اللَّهُمَّ ، ويحتمل أن يرجع إلى
رسول الله ﷺ .

(١) قال صاحب «الغاية» : نسبة إلى سدوس ، اسم رجل ، والتفسير من المصنف ، انتهى .
قلت : بل من اللؤلؤي . (ش) .

وَقَالَ شُعْبَةُ: وَقَالَ مَرَّةً: «أَعُوذُ بِاللَّهِ». [خ ١٤٢، ٦٣٢٢، م ٣٧٥،
ن ١٩، ت ٥، ج ٢٩٨]

وَقَالَ وَهَيْبٌ: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ:

(وقال شعبة: وقال) عبد العزيز (مرة) أخرى: (أعوذ بالله)، وهذا يدل على أن الأولى في الجملة الأولى أن يكون مرجع ضمير «قال» عبد العزيز أو شعبة.

(وقال وهيب)^(١) بن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم، أبو بكر البصري، صاحب الكرايس، قال معاوية بن صالح: قلت لابن معين: من أثبت شيوخ البصريين؟ قال: وهيب، وثقه أبو داود، وقال العجلي: ثقة ثبت، وقال أبو حاتم: ما أنقى حديثه! لا تكاد تجده يحدث عن الضعفاء وهو ثقة، وقال ابن سعد: كان قد سجن فذهب بصره، وكان ثقة حجة، وقال الآجري عن أبي داود: تغير وهيب بن خالد، وكان ثقة، وروى البخاري أنه مات سنة ١٦٥هـ، وكان متقناً.

(عن عبد العزيز) بن صهيب، هذا الذي ذكره إما أن يكون مروياً بالسند السابق، ويحتمل أن يكون ذكره تعليقاً، ولم نجد رواية وهيب في كتب الحديث.

وحاصل ما ذكره المؤلف في الحديثين أن عبد العزيز له أربعة أصحاب: حماد بن زيد، وعبد الوارث في الرواية الأولى، وشعبة، ووهيب في الرواية الثانية، والمراد بيان اختلاف ألفاظهم.

وتفصيل ذلك: أن حماداً وعبد الوارث اختلفا، فقال عبد الوارث عن عبد العزيز: «أعوذ بالله»، وقال حماد عنه: قال «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ»، وفي الرواية الثانية روى شعبة عن عبد العزيز، فمرة وافق شعبة حماداً،

(١) كتب في «التقرير»: ذكره تعليقاً، ولم يدر هل هو بالسند السابق أو لا؟. (ش).

فَلْيَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ.

٦ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَرْزُوقٍ،

فقال: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك»، ومرة وافق عبد الوارث، وهذا الاختلاف في لفظ التعوذ.

والاختلاف الثاني الذي يوهم من هذا الكلام: أن الاختلاف الواقع في الرواية الأولى بين حماد وعبد الوارث، هو الاختلاف منهما لا من عبد العزيز.

وأما الاختلاف المروي عن شعبة فصريح في أنه اختلاف من عبد العزيز، وأما لفظ وهيب فلم يوافق أحداً منهم، بل لفظه: (فليتعوذ بالله) بصيغة الأمر، وهذا يدل على أن هذه رواية مستقلة غير الحديث الأول، لم يرو فيها فعل النبي ﷺ، بل فيها أمرٌ بالتعوذ لمن أراد دخول الخلاء.

٦ - (حدثنا عمرو^(١) بن مرزوق) الباهلي ثقة، سئل عنه أحمد بن حنبل؟ فقال: ثقة مأمون، فَتَّشْنَا على ما قيل فيه فلم نجد له أصلاً، وعن ابن معين: ثقة مأمون وحمده جداً، وقال أبو حاتم: كان ثقة، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وقال سليمان بن حرب: جاء بما ليس عندهم فحسدوه، قال القواريري: كان يحيى القطان لا يرضاه في الحديث، وكان أبو الوليد يتكلم فيه، وقال ابن المديني: اتركوا حديث العَمْرَيْن: عمرو بن حكام، وعمرو بن مرزوق، وقال ابن عمار الموصلي: ليس بشيء، وقال العجلي: عمرو بن مرزوق، بصري، ضعيف، يحدث عن شعبة، ليس بشيء، وقال الحاكم عن الدارقطني: صدوق، كثير الوهم، وقال الحاكم: سيئ الحفظ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: ربما أخطأ، روى عنه البخاري مقروناً بآخر، مات سنة ٢٢٤هـ.

(١) قال ابن رسلان: تزوج أكثر من ألف امرأة، انتهى. وكان في مجلسه عشرة آلاف رجل، «تهذيب التهذيب» (٨/١٠١). (ش).

أَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ،

(أنا شعبة^(١) عن قتادة) بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب
البصري، ثقة ثبت، لكنه مدلس، ورُمي بالقدر، قاله يحيى بن معين، يقال:
وُلِدَ أُمُّهُ، مَاتَ سَنَةَ ١١٧ هـ، (عن النضر بن أنس) بن مالك الأنصاري،
أبو مالك البصري، ثقة، مَاتَ سَنَةَ بضع ومئة.

(عن زيد بن أرقم^(٢)) بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، صحابي
مشهور، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، وأول مشاهدته الخندق،
ونزل الكوفة وشهد صفين مع علي وكان من خواصه، قال خليفة: مَاتَ
بِالكوفة أيام المختار سنة ٦٦ هـ^(٣).

(عن رسول الله ﷺ قال: إن هذه الحشوش) بضم الحاء المهملة
وشينين معجمتين: المراد به الْكُنْفُ ومواضع قضاء الحاجة، واحدها
حش^(٤) مثلثة، وأصله جماعة نخل كثيف، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم
إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت (محتضرة) أي تحضرها الشياطين،
ولفظه «هذه» إشارة إلى ما هي كانت موجودة في الخارج في ذاك الوقت،
والمقصود بإيراد هذه الرواية بيان العلة للتعوذ.

(١) ذكر ابن رسلان الكلام في سنده ولم أتحصله. (ش).

(٢) ذكر الترمذي (٦/١) في هذا الحديث الاضطراب الوضيع، وذكر شيئاً منه صاحب
«الغاية» أيضاً، وفي «التقرير»: ذكر أبو داود من طرقها ما ترجح عنده، ولا اضطراب
بعد الترجيح. (ش).

[قلت: الحديث أخرجه الحاكم (١٨٧/١) من الوجهين، ثم قال: «كلا الإسنادين من
شرط الصحيح»، ووافقه الذهبي].

(٣) وفي «الغاية» سنة ٦٨ هـ. (ش). [انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/٢٣٢)
رقم (١٨١٩)].

(٤) وقال ابن رسلان: وأصل الحش البستان. (ش).

فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ». [جه ٢٩٦، حم ٣٦٩/٤، خزيمه ٦٩، ق ٩٦/١]

(٤) بَابُ كَرَاهِيَّةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ

(فإذا أتى^(١) أحدكم الخلاء) أي أراد إتيان الخلاء، وقد تقدم الكلام فيه (فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث).

(٤) (بَابُ كَرَاهِيَّةِ^(٢) اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ)

القبلة ما يُسْتَقْبَلُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا، والمراد بها هنا جهة الكعبة، فكما أمر في الصلاة بالاستقبال إليها تعظيماً واحتراماً لها، كذلك نُهي عن استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة احتراماً وتكريماً لها.

واختلف العلماء في ذلك على أقوال ومذاهب، قال العيني في «شرح البخاري»^(٣): ثم اعلم أن حاصل ما للعلماء في ذلك أربعة مذاهب، أحدها: المنع المطلق وقد ذكرناه، الثاني: الجواز مطلقاً، الثالث: أنه لا يجوز الاستقبال في الأبنية والصحراء، ويجوز الاستدبار فيهما وهو إحدى الروايتين عن أبي حنيفة - رحمه الله -، الرابع: أنه يحرم الاستقبال والاستدبار في الصحراء دون البنيان، وبه قال مالك والشافعي وإسحاق وأحمد في رواية، انتهى.

ثم ذكر العيني هنا ثلاثة مذاهب أخرى^(٤) لا نطوّل الكلام بذكرها.

(١) أعم من لفظ الترمذي «دخل»، قال ابن رسلان: احتجّ بظاهره جماعة، فأباحوه في الخلاء لحقيقة «أتى». (ش).

(٢) قلت: وظاهر صنع المصنف أن الاستقبال عنده مكروه مطلقاً، مرخص ضرورة، حيث ترجم بعد ذلك «باب الرخصة في ذلك». (ش).

(٣) «عمدة القاري» (٢/٣٩٤).

(٤) وذكر صاحب «الغاية» ثمانية مذاهب، وكذا في «الأوجز» (٤/١٦٢) (ش).

٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهْدٍ، ثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ^(١)،
عن الأعمش،

والحديث دليل على عدم جواز استقبال القبلة واستدبارها بالبول والغائط، سواء كان في الصحراء أو في البنيان^(٢)، وهو مذهب أبي حنيفة - رحمه الله -، وبه قال أبو أيوب الأنصاري ومجاهد وإبراهيم النخعي والثوري وأبو ثور وأحمد في رواية، ونسبه في «البحر» إلى الأكثر، ذكره الشوكاني في «النيل»^(٣).

٧ - (حدثنا مسدد بن مسرهد، ثنا أبو معاوية) بضم الميم وألف بعد العين، محمد بن خازم - بمعجمتين - التميمي السعدي مولاهم، الكوفي، الضرير، عمي وهو صغير^(٤)، أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره، وقد رمي بالإرجاء، وقال يعقوب بن شيبه: كان من الثقات، ربما دلّس، وكان يرى الإرجاء، وقال الآجري عن أبي داود: كان مرجئاً، وقال مرة: كان رئيس المرجئة بالكوفة، وذكرها ابن حبان في «الثقات»، وقال: كان حافظاً متقناً، ولكنه كان مرجئاً خبيثاً، مات سنة ١٩٥هـ، وله اثنتان وثمانون سنة.

(عن الأعمش) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم، أبو محمد، الكوفي، ثقة حافظ، لكنه يدلّس، ولد يوم قتل الحسين - رضي الله تعالى عنه -، ومات سنة ٤٧هـ، أو سنة ٤٨هـ^(٥).

(١) وفي نسخة أخرى «أبو معوذ» غلط. كذا في «غاية المقصود». (ش).

(٢) قال ابن دقيق العيد: اختلفوا في العلة، فقليل: كشف العورة؛ فيحرم الوطء أيضاً، وقيل: خروج النجس؛ فلا يدخل. (ش). (انظر: «إحكام الأحكام» ١/ ٥٣).

(٣) «نيل الأوطار» (١/ ١٠٣).

(٤) ابن ثمان سنين (ش).

(٥) أي بعد المئة. (ش).

عن إبراهيم،

(عن إبراهيم)^(١) بن يزيد بن قيس بن أسود النخعي بنون ومعجمة مفتوحتين، أبو عمران الكوفي، قال ابن معين: مراسيل إبراهيم أحب إلي من مراسيل الشعبي، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً، قال الحافظ أبو سعيد العلائي: هو أكثر من الإرسال، وجماعة من الأئمة صحّحوا مراسيله^(٢)، قال ابن المديني: لم يلق النخعي أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فقلت له: فعائشة؟ قال: هذا لم يروه غير سعيد بن أبي عروبة عن أبي معشر عن إبراهيم وهو ضعيف، ورواية سعيد عن أبي معشر ذكرها ابن حبان بسند صحيح إلى سعيد عن أبي معشر أن إبراهيم حدثهم: أنه دخل على عائشة فرأى عليها ثوباً أحمر، وقال ابن معين: أدخل على عائشة - رضي الله عنها - وهو صغير، ونقموا عليه قوله: «لم يكن أبو هريرة فقيهاً».

قال الذهبي: قلت: استقر الأمر على أن إبراهيم حجة، مات سنة ٩٦هـ، وهو ابن خمسين، قلت: قول علي بن المديني: إن إبراهيم لم يلق أحداً من الصحابة، وكذا قول أبي حاتم: لم يلق النخعي أحداً من الصحابة إلا عائشة ولم يسمع منها، وأدرك أنساً ولم يسمع منه، مات سنة ٩٦هـ، وولادته سنة ٥٥هـ عجيب، لأنه ذكره ابن حبان في «ثقات التابعين»^(٣)، وقال: سمع المغيرة بن شعبة، وأنس بن مالك، ودخل على عائشة وكان مولده سنة خمسين، ومات [سنة] خمس أو ست وتسعين.

وقال الترمذي في «كتاب العلل»^(٤): حدثنا أبو عبيدة بن أبي السفر

(١) نسبه ابن رسلان هكذا: إبراهيم بن يزيد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع، المعروف بالنخعي. (ش). [انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (١/١٧٧)].

(٢) قال ابن القيم: كل من له ذوق في الحديث إذا قال إبراهيم: قال: عبد الله، لا يتوقف فيه. (ش). [انظر: «زاد المعاد» (٥/٥٨٠)].

(٣) «كتاب الثقات» (٤/٨).

(٤) (٥/٧٥٥) في آخر كتاب «سنن الترمذي».

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ سَلْمَانَ^(١)

الكوفي، نا سعيد بن عامر، عن شعبة، عن سليمان الأعمش قال: قلت لإبراهيم النخعي: أسند لي عن عبد الله بن مسعود؟ فقال إبراهيم: إذا حدثتكم عن عبد الله فهو الذي سمعت، وإذا قلت: قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله، انتهى.

وقد عرفت أنه وُلد باعترافهم سنة خمس وخمسين وهو زمان جمع كثير وجم غفير من الصحابة في الكوفة والبصرة ومكة والمدينة وغيرها، كابن أبي أوفى وابن أنيس وأنس وأبي الطفيل وابن الأسقع وغيرهم كثيرون، بل أبو الطفيل وغيره ماتوا بعده بكثير، فكيف لا يسمع منهم مع وجود كثير منهم، والكوفة وغيرها مملوءة منهم؟

وفي «مسند الخوارزمي»^(٢) تصريح بسماعه عن أنس بن مالك في فرضية طلب العلم، فإنكارهم سماعه عن الصحابة ولقاءه لا يُعْبَأُ به.

(عن عبد الرحمن بن يزيد) بن قيس النخعي، أبو بكر الكوفي، وثقه ابن معين وابن سعد والعجلي والدارقطني، مات أو قتل في الجماجم سنة ٨٣هـ، قال الدارقطني: هو أخو الأسود وابن أخي علقمة وكلهم ثقات.

(عن سلمان) الفارسي أبو عبد الله ابن الإسلام، ويقال له: سلمان الخير، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وتوفي في خلافة عثمان^(٣) - رضي الله عنه - سنة ٣٦هـ. يقال: إنه بلغ ثلاث مئة وخمسين سنة، قال الحافظ في «تهذيب التهذيب»^(٤): وقرأت بخط أبي عبد الله الذهبي: رجعت عن القول بأنه قارب ثلاث مئة أو زاد عليها، وتبين لي أنه ما جاوز الثمانين، ولم يذكر مستنده في ذلك.

(١) من المُعَمَّرِينَ «أسد الغابة» (٢/٣٥٠). (ش).

(٢) وانظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/٦٨) رقم (٦١).

(٣) بالمدائن. (ش).

(٤) (٤/١٣٩)، وانظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٢/٣٤٧) رقم (٢١٥١).

قَالَ: قِيلَ لَهُ: «لَقَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ!»
 قَالَ: أَجَلٌ، لَقَدْ نَهَانَا ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ،
 وَأَنْ لَا نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ،

(قال) عبد الرحمن: (قيل له) أي لسلمان، والقائلون^(١) كفار المدينة، وهذا القول صدر منهم طعناً وتنقيصاً: (لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة)^(٢) بكسر الخاء والمد، أدب التخلي والقيود للحاجة، قال الخطابي^(٣): أكثرهم يفتحون الخاء، وقال الجوهري: بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، (قال) أي سلمان: (أجل) حرف إيجاب، أي: نعم يعلمنا كل شيء حتى الخراءة، أجاب على أسلوب الحكيم^(٤) ولم يلتفت إلى استهزائهم.

(لقد نهانا)^(٥) ﷺ أن نستقبل القبلة^(٦) بغائط^(٧) أو بول وأن لا نستنجي^(٨) لفظة «لا» زائدة (باليمن) أما النهي عن الاستنجاء باليمن، فقال النووي^(٩): وقد أجمع العلماء على أنه منهي عنه، ثم الجمهور على أنه نهى تنزيه وأدب لا نهى تحريم، وذهب بعض أهل الظاهر إلى أنه

(١) قال ابن رسلان: رجل يهودي. (ش).

(٢) قال ابن رسلان: هي الهيئة، أما نفس الحدث فيحذف التاء وبكسر الخاء وفتحها. (ش).

(٣) «معالم السنن» (١/١١).

(٤) يعني نحن نحتاج إليه أيضاً في أمور الدين لآداب الخلاء. «ابن رسلان». (ش).

(٥) وهذا مستدل من قال: إن النهي يختص بالاستقبال. «غاية المقصود». (ش).

(٦) قال ابن رسلان: احتج به المانعون مطلقاً، وهو قول أبي أيوب الأنصاري ومجاهد والنخعي والثوري وأبي ثور وأحمد في رواية. «ابن رسلان». (ش).

(٧) أصله المطمئن من الأرض، ثم صار كناية عن الخارج من الدبر، فالباء بمعنى في «ابن رسلان». (ش).

(٨) والاستنجاء مسح موضع النجوى، والنجوى: الخراء (الغائط). (ش).

(٩) «شرح صحيح مسلم» (٢/١٥٨).

وَأَنْ لَا يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ،

حرام، قال: وأشار إلى تحريمه جماعة من أصحابنا، ولا تعويل على إشارتهم، انتهى. وعلة النهي عن الاستنجاء باليمين احترامها.

(وَأَنْ لَا يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ)^(١) لفظة «لا» ها هنا أيضاً زائدة، وقد سقط عن بعض النسخ.

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال، قال الشوكاني في «النيل»^(٢): وقد ذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو ثور إلى وجوب الاستنجاء، وأنه يجب أن يكون بثلاثة أحجار أو ثلاث مسحات، وإذا استنجى للقبل والدبر وجب ست مسحات لكل واحد ثلاث مسحات، قالوا: والأفضل أن يكون بست أحجار، فإن اقتصر على حجر واحد له ستة أحرف أجزاءه، وذهب مالك وداود إلى أن الواجب الإنقاء، فإن حصل بحجر أجزاءه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهبت العترة وأبو حنيفة إلى أنه ليس بواجب، انتهى.

فالنهي الذي ورد في هذا الحديث عند الحنفية محمول على أن في غالب الأحوال لا تحصل التنقية إلا بها، وأما إذا حصلت التنقية بأقل منها، أو كانت الحالة أنه لم يتلطح المحل بالنجاسة، ولا يحتاج إلى الاستنجاء كما يشاهد في بعض الأحيان، فحينئذ لو اكتفى على حجرين أو حجر أو لم يستنج أصلاً فالظاهر أنه لا يكره ذلك.

ونظير قولنا في عدم وجوب التلث قول الشافعية في غسل الطيب عن المحرم، فإنه ﷺ قال في رجل جاءه وعليه جبة متضمخة بطيب:

(١) قال ابن القصار: ذكر الثلاثة باعتبار الأغلب، فإن لم تحصل التنقية بها يحتاج إلى الزيادة، وإن اكتفى بحجر له أحرف يجوز. وبسطه ابن رسلان، وقال ابن العربي في «العارض» (١/٣٣): في الحديث ست مسائل. (ش).

(٢) «نيل الأوطار» (١/٩٦).

«أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات»، قال النووي: إنما أمر بالثلاث مبالغة في إزالة لونه وريحه، والواجب الإزالة، فإن حصلت بمرة كفته ولم تجب الزيادة، انتهى.

وقد أشبع الكلام في هذه المسألة العلامة العيني في شرحه على البخاري ذيل حديث أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود يقول: «أتى النبي ﷺ الغائط، فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار، فوجدت حجرين والتمست الثالثة فلم أجدها، فأخذت روثة فأتيته بها، فأخذ الحجرين، وألقى الروثة، وقال: هذا ركس».

قال العلامة العيني^(١): قال الخطابي: فيه إيجاب عدد الثلاثة في الاستنجاء إلى آخر ما نقل عن الخطابي، ثم أجاب عنه بقوله: قلت: لا نسلم أن فيه إيجاب عدد الثلاث بل كان ذلك للاحتياط، لأن التطهير في الواحد أو الاثنين لم يكن محققاً، فلذلك نص على الثلاث، لأن في الثلاث يحصل التطهر غالباً، ونحن نقول أيضاً: إذا تحقق شخص أنه لا يطهر إلاً بالثلاث يتعين عليه الثلاث، والتعيين ليس لأجل التوقيت فيه، وإنما هو للإنقاء الحاصل فيه، حتى إذا احتاج إلى رابع أو خامس وهلم جراً يتعين عليه ذلك، على أن الحديث متروك الظاهر، فإنه لو استنجى بحجر له ثلاثة أحرف جاز بالإجماع.

وقوله: وليس في قوله: «فأخذ الحجرين» دليل على أنه اقتصر عليهما لجواز أن يكون بحضرته ثالث، فيكون قد استوفاهما عدداً ليس كذلك، بل فيه دليل على ذلك، لأنه لو كان الثلاث شرطاً لطلب الثالث، فحيث لم يطلب دل على ما قلناه، وتعليقه بقوله: لجواز أن يكون بحضرته

(١) «عمدة القاري» (٢/٤٣٢).

ثالث، ممنوع، لأن قعوده عليه الصلاة والسلام للغائط كان في مكان ليس فيه أحجار، إذ لو كانت هناك أحجار لما قال له: «ائتني بثلاثة أحجار»، لأنه لا فائدة لطلب الأحجار وهي حاصلة له، وهذا معلوم بالضرورة.

وقوله: ولو كان القصد الإنقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة، قلنا: إن ذكر الثلاث لم يكن للاشتراط بل للاحتياط إلى آخر ما ذكرناه الآن، قوله: ونظيرها العدة بالأقراء، غير مسلم، لأن العدد فيه شرط بنص القرآن والحديث، ولم يعارضه نص آخر بخلاف العدد ها هنا، لأنه ورد: «من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج».

قلت: أخرجه أبو داود في باب الاستتار في الخلاء، وابن ماجه في باب الارتياح للغائط والبول، وأحمد أيضاً^(١).

قال الشوكاني^(٢): أخرجه ابن حبان والحاكم والبيهقي، ومداره على أبي سعيد الحبراني الحمصي، وفيه اختلاف، وقيل: إنه صحابي، قال الحافظ: ولا يصح، والراوي عنه حصين الحبراني وهو مجهول، وقال أبو زرعة: شيخ، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وذكر الدارقطني الاختلاف فيه في «العلل»، انتهى.

قلت: وأيضاً يدل على ذلك ما أخرجه أبو داود في «باب الاستنجاء بالأحجار» عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار يستطيب بهن، فإنها تجزىء عنه»، قال الشوكاني: روى أحمد والنسائي وأبو داود والدارقطني

(١) انظر: «سنن أبي داود» رقم (٣٥) و«سنن ابن ماجه» رقم (٣٤٩٨) و«مسند أحمد» (٣٧١/٢).

(٢) «نيل الأوطار» (٩٣/١).

أَوْ يَسْتَنْجِي بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ». [م ٢٦٢، ت ١٦، ن ٤١، ج ٣١٦]

وقال: إسناده صحيح حسن، فإن العلة التي ذكرت في الحديث تدل على أنهم أمروا بالاستطابة بثلاثة أحجار، لأن هذا العدد يكفي في غالب الأحوال لحصول الإنقاء، وهذا هو الذي تقول به الحنفية، ويقولون لمن أوجب ذلك: إن الحديث متروك الظاهر عندكم أيضاً، فإنه لو استنجى بحجر له ثلاثة أحرف جاز عندكم، فعلم من هذا أن تثليث الأحجار عندكم غير واجب.

(أو يستنجى برجيع) كأمير: عذرة^(١) وروث، سمي به إذ رجع عن كونه طعاماً أو علفاً (أو عظم) والاستنجاء برجيع أو عظم يكره اتفاقاً إلا أن البعض قالوا: لو استنجى برجيع أو عظم لا يطهر محل النجاسة، لأنه ورد في رواية الدارقطني^(٢): «إنهما لا تطهران»، وعندنا يكره ذلك، فلو استنجى بهما أحد يجوز ذلك مع الكراهة.

وحاصل البحث في ذلك أن عندهم قليل النجاسة و كثيرها يمنع الصلاة، فإذا استنجى أحد بثلاثة أحجار أو بحجر واحد له ثلاثة أحرف يطهر محل الاستنجاء بذلك، ولو لم يستنج بثلاثة أحجار أو بحجر له ثلاثة أحرف لا يطهر محل الاستنجاء، وإن حصلت التنقية بالكلية كما تحصل بثلاثة أحجار، واستدلوا على هذا بمفهوم ذلك الحديث، وقالوا: لما وقع التنصيص بأن الروث والعظم لا يطهران فغيرهما من الحجر والمدر وما يلحقهما يطهران بشرط أن يبلغ العدد الثلاث.

وأما عندنا معشر الحنفية، فالاستنجاء سواء كان بحجر أو مدر أو روث أو بعر أو عظم: غير مطهر، بل مُنَقٍّ ومقلِّل للنجاسة، ولهذا يبقى

(١) إن أريد به الأعم فذاك، وإن اختص بالروث، فعذرة الإنسان وغيرها في حكمه. (ش).

(٢) وأجاب عنه الزيلعي بأن فيه سلمة بن رجاء الكوفي وهو ضعيف. (ش).

[انظر: «سنن الدارقطني» ٥٦/١، و«نصب الراية» ٢١٩/١].

٨ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّفِيلِيُّ قَالَ: ثَنَا
ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ،

المحل بعد الاستنجاء نجساً، ولكن الله سبحانه وتعالى لما رأى ضعفنا وعجزنا وأراد اليسر بنا عفا عنا ذلك القدر من النجس، فإذا استنجى أحد بشيء منها يبقى المحل نجساً بعد الاستنجاء، فإن بدن الإنسان إذا تنجس بنجاسة رطبة لا يتطهر إلا بالماء أو ما في معناه، فكذا هذا المحل لا يتطهر إلا بالماء أو ما في معناه، حتى لو أن الذي لم يستنج بالماء دخل في الماء القليل أفسده، فعلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إنهما لا تطهران»، لا يخالف الحنفية، فإنهم قائلون بأنهما لا تطهران كما أنهم قائلون بأن الحجر والمدر أيضاً لا يطهران.

وأما الاستدلال بالمفهوم فلا يعتبر عندنا، ووجه كراهة الاستنجاء بالرجيع نجاسته، وكراهة الاستنجاء بالعظم كونه زاد الجن، كما ورد في الأحاديث.

٨ - (حدثنا عبد الله بن محمد) بن علي بن نفيل، بنون وفاء مصغراً، القضاعي (النفيلي) أبو جعفر الحراني، الحافظ، أحد الأئمة، ثقة مأمون، مات سنة ٢٣٤هـ.

(قال: ثنا ابن المبارك) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الأعلام وشيوخ الإسلام، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، ولد سنة ١١٨هـ، ومات ١٨١هـ.

(عن محمد بن عجلان) القرشي، أبو عبد الله المدني، أحد العلماء العاملين، وثقه أحمد وابن معين، وذكره البخاري في «الضعفاء»، قال في «ميزان الاعتدال»^(١): وقد تكلم المتأخرون من أئمتنا في سوء حفظه، قال يحيى القطان: كان مضطرباً في حديث نافع، قال مالك بن أنس: لم يكن

(١) (٦٤٤/٣).

عن الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ.....»

ابن عجلان يعرف هذه الأشياء ولم يكن عالماً، مكث ابن عجلان في بطن أمه ثلاث سنين، فَشَقَّ بطنها لما ماتت، وأُخرج وقد نبتت أسنانه، وكان عجلان مولى لفاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، توفي سنة ١٤٨ هـ.

(عن القعقاع بن حكيم) الكنانى المدني، قال أحمد وابن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، (عن أبي صالح) السمان الزيات، اسمه ذكوان المدني، ثقة ثبت، وكان يجلب الزيت إلى الكوفة، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني، مات سنة ١٠١ هـ.

(عن أبي هريرة) ^(١) الدوسي اليماني صاحب رسول الله ﷺ وحافظ الصحابة، كناه أبا هريرة، قيل لأجل هرة كان يحمل أولادها، واختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً ^(٢)، توفي سنة ٥٧ هـ، وهو ابن ثمان وسبعين.

(قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم) كلام تأنيس، كما أن الوالد يؤدّب ولده ^(٣)، كذلك أنا أعلمكم أمور دينكم وأؤدّبكم بآداب الشرع. (فإذا أتى ^(٤) أحدكم) أي أراد

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١١٩/٥) رقم (٦٣٢٨).

(٢) أشار النووي إلى خمسة وثلاثين قولاً، واختلف في صرفه ومنع الصرف أيضاً، ذكر القولين القاري في «المراقبة» (١٣٨/١). (ش).

(٣) قال ابن رسلان: اختلفوا في أن التعليم مستحب أو واجب كما يجب عليه النظر في ماله، وفيه دليل على أن حق الشيخ كحق الوالد بل أولى منه، ولذا قالوا: إن عقوبه لا يغفر بالتوبة. (ش).

(٤) هو أعم من لفظ دخل فإنه يشمل الصحراء. «ابن رسلان». (ش).

الْغَائِطُ، فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا، وَلَا يَسْتَطِبُّ
يَمِينَهُ»

(الغائط) أي إتيان الغائط (فلا يستقبل^(١) القبلة) وقد تقدم الكلام عليه
(ولا يستدبرها).

قال العيني^(٢): احتج أبو حنيفة - رحمه الله - بهذا الحديث على عدم
جواز استقبال القبلة واستدبارها بالبول والغائط، سواء كان في الصحراء
أو في البنيان، أخذاً في ذلك بعموم الحديث، انتهى^(٣).

والرواية الثانية عن الإمام الأعظم - رحمه الله تعالى - أن
الاستدبار غير منهي عنها لحديث ابن عمر الآتي قريباً «قال: لقد ارتقيت
على ظهر البيت فرأيت رسول الله ﷺ على لبنتين مستقبل بيت المقدس
لحاجته».

قال الحلبي في «شرحه الكبير على المنية»^(٤): والصحيح الأول، لأنه
إذا تعارض قوله عليه السلام وفعله رجح القول، لأن الفعل يحتمل
الخصوص والعذر وغير ذلك، وكذلك إذا تعارض المحرم والمبيح رجح
المحرم، انتهى.

(ولا يستطب يمينه)^(٥) أي: لا يستنج باليمين.

(١) بكسر اللام على الجزم لأنه نهي. «ابن رسلان». (ش).

(٢) «عمدة القاري» (٣٩٣/٢).

(٣) وأجاب عنه ابن رسلان بثلاثة أجوبة، أحسنها: أن الغائط حقيقة في المكان الواسع،
والثاني: أن حقيقة الاستقبال يكون في الصحراء. (ش).

(٤) (ص ٣٨).

(٥) قال ابن رسلان: الاستطابة والاستنجاء يكونان بالحجارة والماء، والاستجمار يكون
بالحجارة فقط. (ش).

وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرَّمَّةِ. [م ٢٦٥،
ن ٤٠، ج ٣١٣، حم ٤٣٧/٥، خزيمة ٧٤]

٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهْدٍ، ثَنَا سُفْيَانُ،

(وكان) أي رسول الله ﷺ (يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث)^(١)
بفتح الراء وسكون الواو: رجميع ذات الحوافر (والرمة) جمع رميم
وهو العظم البالي، قال في «المجمع»^(٢): ونهى عنه لاحتمال كونها نجسة
ميتة أو لأنها لا تقوم مقام الحجر لملاستها، قلت: وقد وقع التصريح بعله
النهي عنه، لأنها زاد إخوانكم من الجن وهي أولى بالبيان.

٩ - (حدثنا مسدد بن مسرهد، ثنا سفيان)^(٣) بن عيينة بن أبي عمران
ميمون الهلالي مولاهم، أبو محمد الأعور الكوفي، أحد أئمة الإسلام.

قال في «ميزان الاعتدال»^(٤): أجمعت الأمة على الاحتجاج به وكان
يدلس، لكن المعهود منه أنه لا يدلس إلا عن ثقة، وقال أحمد: كنت
أنا وابن المديني فذكرنا أثبت من يروي عن الزهري، فقال علي: سفيان،
فقلت أنا: مالك، فإن مالكا أقل خطأ، وابن عيينة يخطيء في نحو من
عشرين حديثاً عن الزهري، ثم ذكرت ثمانية عشر منها، فقلت: هات
ما أخطأ فيه مالك فجاء بحديثين أو ثلاثة، فرجعت فإذا ما أخطأ فيه سفيان
أكثر من عشرين حديثاً، قال أحمد: وعند مالك عن الزهري نحو من ثلاث

(١) وفي رواية البخاري: «ألقى الروثة وقال: هذا ركس»، وكذا في رواية الترمذي،
وأغرب النسائي فقال: الركس طعام الجن. (ش).

(٢) (٣٨٥/٢).

(٣) ذكر النووي في سفيان ثلاثة أوجه: ضم السين والفتح والكسر، والأول أشهر؛ وفي
عيينة ضم العين وكسرها. (انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» ١/٢٢٤). (ش).

(٤) (١٧٠/٢).

عن الزُّهْرِيِّ،

مئة حديث، وكذا عند ابن عيينة عنه نحو ثلاث مئة، وروى محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي عن يحيى بن سعيد القطان قال: أشهد أن سفيان بن عيينة اختلط سنة ١٩٧هـ، فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء، قلت: سمع منه فيها محمد بن عاصم، ويغلب على ظني أن سائر شيوخ الأئمة الستة سمعوا منه قبل سنة سبع^(١)، وأنا أستبعد هذا الكلام من القطان، وأعدّه غلطاً من ابن عمار، مع أن يحيى متعنّت جداً في الرجال وسفيان ثقة مطلقاً، انتهى ملخصاً.

وردّ ذلك الاستبعاد الحافظ العسقلاني في «تهذيب التهذيب»^(٢) وقال: وهذا الذي لا يتّجه غيره، لأن ابن عمار من الأثبات المتقنين، وما المانع أن يكون يحيى بن سعيد سمعه من جماعة ممن حج في تلك السنة واعتمد قولهم وكانوا كثيراً، وقد وجدت عن يحيى بن سعيد شيئاً يصلح أن يكون سبباً لما نقله عنه ابن عمار في حق ابن عيينة، وذلك ما روى أبو سعد بن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد»: أن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: قلت لابن عيينة: كنت تكتب الحديث، وتحدث اليوم، فتزيد في إسناده أو تنقص منه، فقال: عليك بالسماع الأول، فإني قد سمنت، وقد ذكر أبو معين الرازي أن هارون بن معروف قال له: إن ابن عيينة تغير أمره بأخرة، وأن سليمان بن حرب قال له: إن ابن عيينة أخطأ في عامة حديثه عن أيوب، انتهى ملخصاً، ولد سنة ١٠٧هـ، ومات سنة ١٩٨هـ، وله إحدى وتسعون سنة.

(عن الزهري) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن

(١) أي: سنة سبع وتسعين ومئة.

(٢) (١٢٠/٤).

عن عطاء بن يزيد، عن أبي أيوب روايةً.....

شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري، أبو بكر المدني، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، متفق على جلالته وإتقانه، قال في «الميزان»^(١): محمد بن مسلم الزهري الحافظ الحجة، كان يُدَلِّسُ في النادر، قال الحافظ: قال خليفة: ولد سنة ٥١هـ، وقال يحيى بن بكير: سنة ٥٦هـ، وقال الواقدي: سنة ٥٨هـ، وكانت وفاته سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومئة.

(عن عطاء بن يزيد) الليثي ثم الجُنْدُعي بمضمومة ونون ساكنة فضم دال وبعين مهملة، ثقة، توفي سنة ١٠٥هـ أو ١٠٧هـ، وهو ابن ثمانين سنة.

(عن أبي أيوب)^(٢)، هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري النجاري الخزرجي المدني، شهد العقبة وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها، نزل عنده رسول الله ﷺ لما قدم المدينة حتى بنى بيوته ومسجده، ولزم الجهاد بعد رسول الله ﷺ إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢هـ، ودفن إلى أصل حصن بالقسطنطينية، وأهل الروم يستسقون به.

(رواية) أي عن النبي ﷺ هي من صيغ الرفع، نصب مصدراً بفعل حذف عنه أي: رواه رواية، قال الحافظ في «شرح النخبة»^(٣): ويلتحق بقولي: «حكماً» ما ورد بصيغة الكناية في موضع الصيغ الصريحة بالنسبة إليه ﷺ، كقول التابعي عن الصحابي: يرفع الحديث أو يرويه أو ينميه أو رواية أو يبلغ به أو رواه، انتهى. فهذه صيغ الرفع حكماً، فالحديث الذي يقول التابعي فيه عن الصحابي من هذه الألفاظ يكون مرفوعاً حكماً.

(١) (٤٠/٤).

(٢) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٤/٣٨١) رقم (٥٧١٥).

(٣) (ص ٧٨).

عن الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، عن مَرْوَانَ الْأَصْفَرِ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ثُمَّ جَلَسَ يَبُولُ إِلَيْهَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَلَيْسَ قَدْ نُهِيَ عَنْ هَذَا؟ قَالَ: بَلَى، إِنَّمَا نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ فِي الْفَضَاءِ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ

(عن الحسن بن ذكوان) بفتح معجمة وسكون كاف، أبو سلمة البصري، صدوق يخطيء، ضعفه كثير من المحدثين، ورمي بالقدر، وكان يُدلس.

(عن مروان الأصفر) أبو خلف البصري، يقال: هو مروان بن خاقان، وقيل: سالم، ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات» (قال) أي مروان: (رأيت ابن عمر)^(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستُصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادة، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر، مات سنة ٧٣ هـ في آخرها.

(أناخ راحلته مستقبل^(٢) القبلة ثم جلس) أي ابن عمر (يبول إليها) أي متوجهاً إلى الراحلة، فكان متوجهاً بالبول إلى الكعبة، (فقلت: يا أبا عبد الرحمن، أليس قد نهي عن هذا) أي عن الاستقبال بالبول إلى القبلة؟ (قال) أي ابن عمر: (بلى، إنما نهي عن ذلك) أي عن الاستقبال بالبول إلى القبلة (في الفضاء) أي الصحراء والأرض الواسعة (فإذا كان بينك وبين القبلة

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٤٢/٣) رقم (٣٠٨٢).

(٢) بالنصب على الحال من المستتر «ابن رسلان»، وما حكى العيني يدل على أنه جلس مستقبل بيت المقدس، فتأمل، ونحو أبي داود أخرجه الحاكم والبيهقي. (ش).

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِبَوْلٍ، فَرَأَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ بِعَامٍ يَسْتَقْبِلُهَا». [ت ٩، جه ٣٢٥، حم ٣/٣٦٠، ق ١/١٩٢، ك ١/١٥٤]

١٤ - حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: نَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ،
عَنْ رَجُلٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً
لَا يَرْفَعُ ثَوْبَهُ.....

